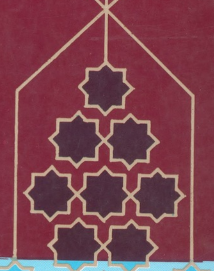
تربية الأولاد والآباء

في الإسلام

"حقوق الأبناء على الآباء
ومضامينها التربوية في الإسلام"



الدكتور
المبروك عثمان أحمد





تربية الأولاد والآباء
في الإسلام

تربية الأولاد والآباء في الإسلام

«حقوق الأبناء على الآباء ومضامينها التربوية في الإسلام»

الدكتور
المبروك عثمان أحمد

دار قتيبة

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - ص.ب: ١٤/٦٣٦٤ دمشق - ص.ب: ١٣٤١٤

الاهـــداء

إلى بناتي...

وولدي:

علي

وسراج

جزاءً بما صبروا...

وإلى زملائي محبة وتقديراً.

شكـر وتقديـر

بعد أن أنجز هذا البحث بتوفيق من الله تعالى يسعدني أن أتوجه بالشكر الجزيل والثناء الجميل للأستاذ الدكتور/ نبيل عبد الحليم متولي الذي أشرف على هذا البحث ومنحه جزءاً كبيراً من وقته ولما قدمه من توجيهات وحسن رعاية للبحث طيلة معايشته له.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الدكتور علي أحمد بابكر مدير جامعة أم درمان الإسلامية المشرف الثاني على هذه الرسالة.

كما لا يفوتني أن أشكر الأستاذ الدكتور/ حيدر خوجلي عميد كلية أصول الدين والتربية. وكذلك الدكتور/ عثمان أحمد عبد الوهاب. كذلك يشرفني أن أتقدم بالشكر والثناء إلى الأستاذ الدكتور/ محمد أحمد الشريف أمين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الذي كان دائماً يوجه إلى البحث العلمي والاطلاع وزيادة المعرفة. كما يسرني أن أتقدم بالشكر إلى جميع الإخوة الأساتذة بكلية الدعوة الإسلامية وأخص بالذكر الدكتور: يوسف أحمد الثلب الذي شجعني كثيراً على مواصلة هذا البحث.

ولا أنسى الدكتور مبارك إدريس تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته.

وأخيراً أشكر كافة الإخوة الذين مدوا إليّ يد المساعدة في إنجاز هذا البحث.

والله ولي التوفيق. الباحـث

الفصل الأول

مشكلة البحث وأهميته

ويتضمن هذا الفصل:

مقدمة.

مشكلة البحث.

هدف البحث.

الدراسات السابقة.

أهمية البحث.

مصطلحات البحث.

حدود البحث.

المنهج.

خطة البحث.

المقدمة

تحتل الأسرة مركزاً هاماً بين المؤسسات الاجتماعية التي تعتني بتربية النشء، فيرى البعض أن المنزل هو العامل الوحيد للحضانة والتربية المقصودة في المراحل الأولى، ولا تستطيع أي مؤسسة عامة أن تقوم مقام المنزل في هذه الشؤون، وما دور الحضانة ومؤسسات رعاية وإيواء الأطفال التي تنشئها الدولة والهيئات إلا لتدارك الحالات التي يحرم فيها الأطفال من أسرهم، ولا يمكن لهذه المؤسسات مهما حرصت على تجويد أعمالها أن تحقق ما يحققه المنزل في هذه الأمور[١].

فالأسرة قد أصبحت بمثابة الوسط الذي اصطلح عليه المجتمع لإشباع غرائز الإنسان ومختلف دوافعه الطبيعية وبواعثه الاجتماعية، وذلك مثل: حب الحياة، وبقاء النوع، وتحقيق الغاية من الوجود الاجتماعي، وإشباع الدوافع الغريزية الجنسية، وتحقيق العواطف والإنفعالات الاجتماعية، مثل عواطف الأبوة والأمومة والأخوة والغيرية وما إلى ذلك[٢].

---

(١) علي عبد الواحد وافي: الأسرة والمجتمع. ط ٧ (دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧) ص ٢٢.

(٢) زيدان عبد الباقي: علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٤) ص ٣١١.

وتأكيداً لدور الأسرة، بما فيها من الآباء والأمهات، في رعاية وتنشئة أبنائهم، يقول رسول الله ﷺ:

«ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، ألا فكلكم راع ومسؤول عن رعيته»[1].

وهذا الحديث يتضمن تأكيداً قاطعاً لمسؤولية الوالدين على رعاية أبنائهما وتعهدهما بالتربية الحسنة والتوجيه السليم والعناية المتكاملة التي تتيح لهم أفضل السبل للنمو السوي في جميع جوانب الشخصية.

ويؤكد المعنى السابق ويزيد عليه قول رسول الله ﷺ:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[2].

وهنا يؤكد الرسول المربي عليه السلام على أثر البيئة الأسرية في التربية وتحميل الوالدين تبعات مسؤولية رعاية وتنشئة أبنائهم، وتحملهم لتبعات أي خطأ أو تقصير أو إهمال، فالطفل يولد على الفطرة[3]، أي بقوى واستعدادات وميول ومواهب تؤهله لتكوين شخصية معينة، وتعتبر بيئته الأسرية مسؤولة إلى أبعد حد عن مدى صلاح أو طلاح تنشئته وتكوينه.

وتتضمن مسؤولية الآباء حماية الأبناء من كل ما يحيط بهم من أخطار وشرور، وأيضاً تبصيرهم بالحلال والحرام، وكل ما يؤدي إلى الجنة وكل ما

---

(١) البخاري، جـ ٩، ص ٧٧.

(٢) مسلم، جـ٨، ص٥٢، جمعاء: كاملة الخلقة لجميع اعضائها. جدعاء: ناقصة.

(٣) اختلف المفسرون في معنى الفطرة على أقوال متعددة، ويمكن أن ترجع إلى ثلاث اتجاهات، أقواها ما عرضه الإمام القرطبي في تفسيره (جـ ٦ ص ٥١٠٧ كتاب الشعب) وجاء فيه أن الفطرة هي الإسلام، بمعنى أن الطفل يولد سليماً من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله سبحانه على ذرية آدم حين استخرجهم من صلبه وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا ففي الجنة، سواء كانوا أولاد مسلمين أو أولاد كفار.

يباعد عن النار، لقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة...﴾[1].

وجاء لفظ «أهليكم بالجمع ليشمل الزوجة والأولاد. وتزداد مسؤولية الآباء في أيامنا هذه، لتداخل عوامل ومؤثرات كثيرة في عملية التربية، والتي قد تؤثر بالسلب أكثر من الإيجاب، مثل التليفزيون والمذياع والمجلات الخليعة والقصص الماجنة التي تتسرب إلى أيدي الأطفال والمراهقين. فإذا لم يكن الآباء حذرين ويقظين، لم يستطيعوا إنقاذ أبنائهم من احتيال شياطين الإنس والجن»[2].

وعلى الرغم من التقدم العلمي الكبير، في العصر الذي يطلقون عليه «عصر الانفجار المعرفي»، وفي ظروف التخصص العلمي الدقيق في شتى المعارف والمجالات، وثقل كاهل الآباء والأمهات بأعباء الحياة اليومية وتزايد مساهمة المؤسسات التعليمية في توجيه ورعاية وتعليم الأبناء ممن هم في سن مراحل التعليم، ... وبالرغم من كل ذلك فإن دور الآباء تجاه تربية ورعاية أبنائهم، صغاراً أم كباراً، لم تتقلص، ولم تضعف، بل إنها زادت، وألقت على الآباء مسؤوليات حماية أبنائهم من عوامل الفساد، وترشيدهم إلى ما ينفعهم في أمور الحياة الدنيا والآخرة.

فالإسلام، والعلم الحديث، يلقي على الشباب والشابات الذين هم في سن الزواج والراغبين فيه، مسؤولية مناسبة كل منهما للآخر، من حيث المستوى الاقتصادي ـ الاجتماعي، والإيماني، وبعض العوامل الأخرى. يقول رسول الله ﷺ: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) عبد الرحمن النحلاوي: أصول التربية الإسلامية وأساليبها (دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩ هـ) ص ١٢٤.

تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1].

وفي حديث آخر: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[2]. وقال أيضاً: «الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»[3] وأحاديث أخرى تضع للشباب والشابات الشروط الواجب توفرها في الزوج والزوجة، حتى يقوم البيت على أسس متينة، لا تعصف بها الأهواء والمشكلات اليومية: كما أشار الرسول عليه السلام إلى ضرورة مراعاة العوامل الوراثية والتي قد تسبب أمراضاً للأبناء، فقال: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم»[4].

وتستمر واجبات الآباء تجاه أبنائهم مع تكون الجنين، ثم بعد الميلاد، ثم في مرحلة سني المهد (من الميلاد حتى عامين)، ثم في مرحلة الطفولة المبكرة والوسطى والمتأخرة (حتى ١١ عاماً)، ثم في مرحلة المراهقة المبكرة والوسطى والمتأخرة (حتى ٢١ عاماً)، وتستمر حتى بعد الزواج واستقرار أبنائهم في منازلهم واستقلالهم عن والديهم.

وهذا هو ما أرشد إليه ديننا الإسلامي الحنيف، وما جاءت به نتائج العلم الحديث، لكي توجد الأسرة المتماسكة، والتي هي نواة المجتمع الإسلامي الصحيح والقوي والمتماسك. فهل نحن اتبعنا ذلك؟.

وما هي الشواهد الواقعية التي تدلنا على أن هذه التوجيهات هي الأفضل لبناء الأسرة السليمة وبالتالي المجتمع القوي؟.

وإن واقع الحال ينطق بسوء العلاقات الزوجية، وتردي القيم الأخلاقية،

---

(١) أخرجه الترمذي في النكاح جـ ٥ ص ٣٠٥، وابن ماجة في النكاح (ونسنك، جـ ٢، ص ١٦٧).

(٢) فتح الباري، جـ ١١، ص ٣٦، النكاح، باب الأكفاء في الدين.

(٣) مسلم بشرح النووي، جـ ٣، ص ٦٥٦، كتاب الرضاع باب الوصية بالنساء، ولمزيد من التفاصيل يراجع:
حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، ط ٥ (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢) ص ٩١ - ٩٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة في النكاح، ٤٦ (ونسنك، جـ ٦، ص ٤٧٥).

وانحراف الأطفال والشباب عن الطريق السوي المستقيم، وسواء أكان ذلك في المجتمعات الغربية، التي ابتعدت عن قيمها الدينية وهجرتها ونبذتها وحصرتها داخل جدران الكنائس، أو في المجتمعات العربية التي أهملت اتباع ما أرشدت إليه التربية الإسلامية، والشريعة الإسلامية.

وخير دليل على ذلك هو لغة الأرقام، ولنقرأ الإحصاءات ونتعرف على ما تعنيه:

١ ـ ذكر نائب وزير الصحة السوفيتي «الكسندر برانوف» أن نحو سبعة ملايين عملية إجهاض تجري سنوياً في الاتحاد السوفيتي. مشيراً إلى أن حوالي نصف تلك العمليات يحدث أثناء الأشهر الأولى للحمل. واعترف نائب وزير الصحة بأن هذا المعدل المرتفع للإجهاض يعود لارتفاع نفقات المعيشة.

إنه وأد من نوع جديد، قتل خشية إملاق، أين هذا مما جاء به الإسلام من حفظ حق الجنين وتشريع الأحكام التي توفر له السلامة والحماية[١].

٢ ـ أوضحت إحصائية صدرت مؤخراً عن جمعية تهتم بالأطفال في بريطانيا[٢]، أن واحداً من بين ستة أطفال موجودين في رعاية الجمعيات الاجتماعية في بريطانيا معرض للاعتداء الجنسي. وأشارت الإحصائية إلى أن ٥١٠٠ طفل من مجموع الأطفال البالغ عددهم ٣٩ ألفاً يعانون من خطر الاعتداء الجنسي، وبينت الإحصائية أن هذه الجرائم تحصل على أيدي المربين والتربويين الذين يخونون الأمانة الموكولة إليهم، وعزا الأخصائيون ذلك إلى عدم وجود الوازع الديني.

٣ ـ أظهرت دراسة أعدها باحثون في جامعة جون هوپكنز في بالتيمور

---

(١) أم جابر: «٧ ملايين جريمة قتل سنوياً، مجلة منار الإسلام، أبو ظبي، العدد (١)، السنة (١٥)، محرم ١٤١٠ هـ اغسطس ١٩٨٩، ص ١٠٩.

(٢) أم جابر: الأطفال والحضارة، مجلة منار الإسلام، ع (١)، السنة (١٥)، محرم ١٤١٠ ـ اغسطس، ١٩٨٩، ص ١١٠.

ـ بولاية مريلاند[1]. ونشرت أمس الأول في مجلة الصحة العامة، أن القتل هو السبب الأول لوفاة الأطفال الأمريكيين الرضع. وأعرب الباحثون عن الذهول لهذه النتائج التي تظهر للمرة الأولى، وقالوا إنه بين العامين ١٩٨٠ و ١٩٨٥ قتل ١٢٥٠ طفلاً رضيعاً ـ لا يتجاوز عمر الواحد منهم عاماً واحداً. ويرتفع معدل هذه الجرائم إلى ٥,٦٨ لكل مائة ألف نسمة إلى أعلى بقليل من معدل الوفيات الناجمة عن حوادث السير. وأوضحت الدراسة أن ٤٠٪ من الأطفال توفوا لسوء المعالجة: منهم ٧٪ بسبب الإهمال، و ١١٪ قتلوا خنقاً، و٣٪ قتلوا غرقاً، و٣٪ قتلوا طعناً. كما أن معدل انتحار الأطفال بين ١٠ و ١٤ عاماً تضاعف بين ١٩٨٠ و ١٩٨٥ ليصل إلى ١,٦١ لكل مئة ألف من السكان، أما طريقة الانتحار فتمت بإطلاق الرصاص أو الشنق.

٤ ـ أصدر المعهد القومي الأمريكي لمكافحة المخدرات ووزارة التعليم الأمريكية[2] تقريراً عن تورط تلاميذ المدارس الثانوية في تناول المشروبات الكحولية وتعاطي المخدرات والممارسات غير المشروعة التي وصلت إلى ٥٠٪ بين هؤلاء التلاميذ. هذا بالإضافة إلى تزايد الحمل السفاح بين الطالبات والذي وصلت نسبته إلى ٩٦ حالة حمل بين كل ألف طالبة، منهن ٤٠٪ تتراوح أعمارهن بين الخامسة عشرة والتاسعة عشرة.

٥ ـ وفي فرنسا[3] ذكرت مجلة اكسبريس الأسبوعية في عددها الأخير نقلاً عن تقرير للإدارة المركزية للبوليس القانوني أنه تم خلال الأشهر الستة الأولى للعام الماضي ١٩٨٨ تسجيل ٧٤ حادثة خطف وقتل لأطفال دون الخامسة عشرة ومن الجنسين، وأشار نفس التقرير إلى أن هذا الرقم كان في عام ١٩٨٧ م ٨٩ طفلاً، وقالت مجلة لوفيجارو الأسبوعية في تقرير لها عن الموضوع أن هناك

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٢) هيئة التحرير: أبناء المسلمين الأمريكيين في خطر، مجلة منار الإسلام، ع (١)، السنة (١٥)، اغسطس ١٩٨٩ ص ١٢٩.

(٢) أم جابر: مجلس حرب مصغر للتصدي لظاهرة اختطاف الأطفال في فرنسا. مجلة منار الإسلام أبو ظبي، ع (٧)، السنة (١٤)، رجب ١٤٠٩ هـ فبراير ١٩٨٩ م، ص ١١٣.

حوالي ألفي طفل من الجنسين دون الخامسة عشرة يتعرضون لعمليات اغتصاب وحشية سنوياً في فرنسا. وآخر هذه الحالات الطفلة لود ثيل (٩ سنوات) التي عثر على جثتها مساء يوم الأربعاء الماضي بعد اختطافها وتعرضها للاغتصاب.

٦ ـ وفي أمريكا[١]، تقوم سلطات المدارس بتفتيش التلاميذ قبل بدء اليوم الدراسي بحثاً عن السلاح، ويمر هؤلاء أمام جهاز للكشف عن المعادن عند المدخل الرئيسي للمدرسة. وأصبحت هذه الأجهزة شيئاً مألوفاً في المدارس في فيلادلفيا، وديترويت، ونيويورك، وفيرفاكس بضواحي واشنطن. وقد ذكر مركز الأمن القومي المدرسي أنه قد وقع ٣٦ ألف حادث يتسم بالعنف في المدارس الأمريكية عام ١٩٨٦ وتراوحت الحوادث بين العراك بالأيدي إلى عمليات إطلاق النار، وقد تمت مصادرة ٧٠ ألف قطعة سلاح من بينها ١٧٠٠ مسدس وبندقية.

٧ ـ نشرت إحدى الصحف المصرية الصادرة في ١٨ مارس ١٩٨٩ قصة فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاماً تدير شقة أمها لتعاطي المخدرات، وضبط بالشقة عدد من الفتيان والفتيات يتعاطون الهيروين وغيره. وكانت أمها الممثلة، قد انفصلت عن أبيها الممثل، قد سافرت خارج البلاد للمشاركة في إنتاج عمل فني وتركتها وحيدة في الشقة على صغر سنها[٢].

هذه أمثلة بسيطة لحوادث كثيرة ومنتشرة في دول الغرب ودول الشرق، وبعضها تحجب وكالات الإعلام عن نشره خوفاً من الفضائح، أو تشويهاً لسمعة المجتمع، وبعض هذه الممارسات تتم في الخفاء لا يعلم عنها رجال الشرطة والآداب شيئاً.

وهذه الحوادث تنبيء عن غياب الوازع الديني لدى أفراد لم يتلقوه منذ صغرهم من آبائهم، كما تعبر عن سوء العلاقات الزوجية والاختلافات في

---

(١) أم جابر: التلاميذ والحضارة. «مجلة منار الإسلام»، ع (١١) السنة (١٤)، ذو القعدة ١٤٠٩ ـ يونيه ١٩٨٩ م، ص ١١١.

(٢) عاطف شحاتة زهران: الأسرة المسلمة والقيم التربوية الغائبة. «مجلة منار الإسلام» ع (٤)، السنة (١٥)، ربيع الآخر ١٤١٠ هـ نوفمبر ١٩٨٩ م، ص ١١٦.

أساليب التربية عما جاء به الإسلام وما قررته علوم التربية، كما تعبر عن عدم تحمل الآباء لمسؤولياتهم تجاه أبنائهم سواء عن جهل بهذه المسؤوليات، وهذا هو الأعم، أو عن نسيان لهذه المسؤوليات في جو ينشغل فيه الآباء بالسعي نحو جمع المال واكتنازه.

وأما عن الدراسات العلمية التي تناولت مشكلات الأطفال والمراهقين سواء في دول الغرب أو المنطقة العربية، فإنها كثيرة، وكلها اتجهت لتحديد أهم المشكلات التي يعاني منها المراهقون والشباب، وكذلك الأطفال، وأرجع الباحثون العوامل المسؤولة عن هذه المشكلات إلى عدم تفهم الآباء لدورهم التربوي تجاه أبنائهم، وأن ما يتبعونه من أساليب تربوية يجانبها الصواب في كثير من المواقف.

وقد أورد العقيد القذافي في الفصل الثالث:

الركن الاجتماعي للنظرية العالمية الثالثة عن تربية الأطفال حيث يقول: (إن الاستغناء عن دور المرأة الطبيعي في الأمومة، أي أن تحل دور الحضانة محل الأم في التربية هو بداية الاستغناء عن المجتمع الإنساني وتحويله إلى مجتمع بيولوجي وإلى حياة صناعية.

إن فصل الأطفال عن أمهاتهم وحشرهم في دور الحضانة هو عملية تحويلهم إلى ما يشبه أفراخ الدجاج تماماً، حيث تشكل دور الحضانة ما يماثل محطات التسمين التي تجمع فيها الأفراخ بعد تفقيسها - وإن بني الإنسان لا تصلح له وتناسب طبيعته وتليق بكرامته إلا الأمومة والأبوة الطبيعية أي إن الطفل تربيه أسرته، وأن ينشأ في أسرة فيها أمومة وأبوة وأخوة.

لذلك فقد أصدرت اللجنة الشعبية العامة بالجماهيرية العظمى القرار رقم (٤٥٣) لسنة ١٩٨٥ م والتشريعات الملحقة به والذي يتضمن (وإن من أبرز ما تتميز به الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع أنها نظمت العلاقات في المجتمع على أساس تأكيد روح التكافل والتضامن بين المواطنين والتعاون بينهم في السراء والضراء.

وفي إطار هذا المفهوم الإسلامي يرتكز مجتمعنا الجماهيري على فلسفة أن الطفل تربيه أسرته. وأما الذين لا أسر لهم ولا مآوي فالمجتمع هو وليهم، ولمثل هؤلاء يقيم المجتمع المؤسسات الاجتماعية.

مما سبق يتضح بجلاء أهمية الدور التربوي للآباء في مساعدة أبنائهم على تخطي العقبات التي تقف في طريق نموهم، كما يتضح ضرورة تقديم النصح والمشورة للآباء لتعريفهم بواجباتهم تجاه أبنائهم، وأهم الأساليب التربوية التي يجب أن تتبع مع الأطفال والمراهقين. وذلك كله في ضوء معطيات العلم الحديث وكذلك معطيات التربية الإسلامية بمصدريها الثابتين: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

وهذا يدفعنا لعرض مشكلة البحث.

مشكلة البحث:

تناول هذا البحث واجبات الآباء تجاه أبنائهم كما يراها الإسلام وفيما يخص جوانب التربية الجسمية، والفسيولوجية، والاجتماعية، والإنفعالية، والعقلية، والإيمانية. وقد تمت مناقشة ذلك حسب المراحل العمرية التالية وهي: -

ما قبل الإنجاب، ما قبل المدرسة، المدرسة الابتدائية، والمراهقة.

هدف البحث:

سعى البحث إلى تحديد واجبات الآباء تجاه أبنائهم في الإسلام بمصدريه القرآن الكريم والسنة النبوية، في جوانب التربية الجسمية والاجتماعية والإنفعالية والعقلية والإيمانية. وتمّ تناول مناقشة هذه الجوانب في المراحل العمرية التالية: ما قبل الإنجاب، ما قبل المدرسة، المدرسة الابتدائية، والمراهقة.

الدراسات السابقة:

لقد جاء هذا البحث لسد النقص الشديد في الكتب والمطبوعات والبحوث والدراسات الجادة حول موضوع هذه الدراسة والذي لاحظه الباحث في المكتبة العربية والإسلامية فالباحث لم يجد أي دراسة علمية تناولت واجبات الآباء التربوية في مختلف الجوانب التربوية، وفي جميع مراحل العمر المختلفة من وجهة النظر الإسلامية ومناقشة ذلك في ضوء العلم الحديث، وإبراز أهمية المعالجة الإسلامية للموضوع. وكل ما كُتب في هذا المجال يتمثل في الآتي: -

١ - مقالات عديدة ومختصرة في مجالات إسلامية، أو اجتماعية تتناول الموضوع من جانب واحد أو جزء منه بشكل لا يتسم بالعلمية والشمولية.

٢ - لم يتوصل الباحث إلى دراسات خاصة لمرحلة المراهقة باعتبارها مرحلة صعبة في نمو الفرد النفسي والاجتماعي وهو ما يضع على الوالدين مسؤولية كبيرة نحو هذه المرحلة.

ويعتقد الباحث أن ابتعاد الباحثين عن تناول هذا الموضوع قد يرجع إلى أن القرآن الكريم والسنة النبوية تناولا مسؤولية الآباء تجاه أبنائهم في ضوء أسس عامة تنفع لجميع مراحل العمر تقريباً، ولا تخص مرحلة معينة دون أخرى. وهذا قد يكون هو السبب الذي حدى بمن كتب في هذا الموضوع أن يتجنب تناول كل مرحلة عمرية على حدة، سواء من حيث الخصائص التربوية أو المسؤولية الأبوية نحوها.

وقد شعر الباحث في إجراء هذه الدراسة بهذه الصعوبة، وبخاصة عند التعرض إلى مرحلة المراهقة بالذات. غير أنه بتوفيق من الله وبتوجيه وتشجيع من الأستاذين المشرفين أمكن إتمام هذا البحث بالشكل الذي يعتقد فيه الباحث أنه يضيف جديداً للمكتبة الإسلامية والبحوث العلمية.

أهمية البحث:

١ - يعتبر هذا البحث إضافة علميةً جديدةً في مجال التربية الإسلامية،

والتي تفتقر إلى مثل هذه المعالجة العلمية الشاملة.

٢ ـ يستفيد من هذا البحث، وبشكل رئيس الآباء الذين تقع عليهم مسؤولية رعاية وتوجيه أبنائهم، حيث يتعرفون على واجباتهم نحوهم في مراحلهم العمرية المختلفة، وفي مختلف جوانب التربية.

٣ ـ يستفيد من البحث المربون والأخصائيون والاجتماعيون الذين يتعاملون مع التلاميذ في المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية، من خلال تعرفهم على مسؤوليتهم تجاه هؤلاء التلاميذ، من وجهة نظر الإسلام وعلم النفس والتربية.

٤ ـ يقدم البحث جهداً متواضعاً في موضوع التربية الجنسية، يجمع فيه بين وجهة نظر علماء النفس والتربية، ومصادر التربية الإسلامية.

٥ ـ يستفيد منه الباحثون في التعرف على الجوانب التي ربما لا تزال تحتاج إلى دراسة بشأن واجبات الآباء تجاه أبنائهم من وجهة نظر الإسلام.

٦ ـ إن هذه الدراسة هي أول دراسة منهجية تتناول حقوق الأبناء على الآباء من وجهة النظر الإسلامية. وقد تعوَّد المربون والآباء في الوطن العربي أن يسمعوا فقط بحقوق الآباء على الأبناء. وهذه الدراسة تبيّن لهؤلاء أن للأبناء حقوقاً بقدر ما عليهم من واجبات نحو آبائهم.

٧ ـ أن كتب التربية وعلم النفس العربية تعتمد كثيراً على الفلسفات الأوروبية في صياغة أهداف ونظم التعليم في الأقطار العربية. فأسماء مثل جون ديوي، وفروبل، وجان جاك روسو، وبستالوزي، يعرفها كُلُّ التربويين العرب، ولكن أغلبهم يجهل أن للإسلام إطاراً فكرياً وتنظيمياً لأهداف التربية الإنسانية، وبصورة خاصة لبناء الإنسان العربي المسلم. وهذه الدراسة تبيّن أن تراثنا الإسلامي مليء بالعلم والخبرة والحكمة التي تضيء درب أجيالنا على طريق الحق والإيمان.

٨ ـ تبين هذه الدراسة أن الإسلام الذي هو من عند الله يدعو دائماً لما

يأتي العلم بعد ذلك معززاً له ومؤيداً لمبادئه. إن الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم والتي طبقها ووضحها الرسول عليه الصلاة والسلام في سنته القولية والفعلية هي أسمى ما وصلت إليه النظريات والتجارب العلمية بعد ذلك.

مصطلحات البحث:

مراحل النمو:

يسود اعتقاد في ميدان التربية وعلم النفس أن معرفة بعض مفهومات النمو الأساسية تشكل عاملاً هاماً من عوامل فهم سلوك المتعلم في الأوضاع التربوية المختلفة، لأن العملية التربوية مسعى معقد، يتطلب معرفة كيف يحدث التعلم، وكيف يرتبط بعمليات النمو الجسدي والنفسي والمعرفي والاجتماعي. والوقوف على هذه المعرفة يُمكن المربيين من تنظيم عملية التعليم على نحو يعزز النمو السوي ويعمل على تطوير شخصية صحية متكاملة[١].

ويقصد بمرحلة النمو:

مجموعة التغييرات الحادة التي تتناول أنماط السلوك أثناء فترات النمو المختلفة، وبهذا المعنى تشير المرحلة إلى:

مجموعة من الظواهر أو الأنماط السلوكية التي تقترن معاً أثناء حدوثها، بحيث يمكن تصنيفها منطقياً، وعزوها إلى مرحلة نمو معينة فتحددها وتميزها من غيرها من المراحل[٢].

تقسيم مراحل النمو:

اختلف الباحثون في تقسيمهم لمراحل النمو، ولكن هناك ثلاثة أسس

---

(١) عبد المجيد نشواتي: علم النفس التربوي، ط ٣ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧) ص ١٤٧.
(٢) المراجع السابق مباشرة، ص ١٥٠.

يمكن تقسيم مراحل النمو في ضوئها، وهي (الأساس العضوي، والأساس التربوي، والأساس التحليلي).

أما الأساس العضوي: فيقابله التقسيم الآتي:

(أ) ـ **مرحلة ما قبل الميلاد:** وتبدأ من بداية تكوين البويضة وتلقيحها حتى الولادة، ومدتها في المتوسط ٢٨٠ يوماً.

(ب) ـ **مرحلة الطفولة:** وتنقسم إلى عدة مراحل تفصيلية.

ـ **مرحلة المهد:** من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية.

ـ **مرحلة الطفولة المبكرة:** من بداية السنة الثالثة وحتى نهاية السنة الخامسة.

ـ **مرحلة الطفولة الوسطى:** وتضم السنوات ٦، ٧، ٨.

ـ **مرحلة الطفولة المتأخرة:** وتضم السنوات ٩، ١٠، ١١.

(جـ) ـ **مرحلة المراهقة:** وتقسم إلى:

ـ **مرحلة المراهقة المبكرة:** وتضم السنوات ١٢، ١٣، ١٤.

ـ **مرحلة المراهقة الوسطى:** وتضم السنوات ١٥، ١٦، ١٧.

ـ **مرحلة المراهقة المتأخرة:** وتضم السنوات ١٨، ١٩، ٢٠.

(د) ـ **مرحلة الرشد:** وتبدأ من سن ٢١ وحتى سن الستين.

حدود البحث:

تمتد مراحل نمو الإنسان من لحظة الإخصاب وحتى الشيخوخة، ونظراً لأن البحث يهدف إلى بيان واجبات الآباء تجاه أبنائهم، فإن المرحلة العمرية التي تقف عندها تلك الواجبات بشكل رئيسي، هي نهاية مرحلة المراهقة. لذا فإن الباحث سوف يقتصر في بحثه على دراسة مراحل النمو الآتية:

مرحلة ما قبل الميلاد، مرحلة ما قبل المدرسة، مرحلة المدرسة الابتدائية، مرحلة المراهقة.

المنهج:

اتبع الباحث منهج البحث الوصفي، والذي يتسم بالتحليل المنطقي العلمي المبني على أسس ومعايير، لظاهرة نمو الإنسان، ومعرفة خصائص كل مرحلة من مراحل نموه، ثم التعرف على واجبات الآباء تجاه هذه الخصائص حتى يتم نمو الطفل خالياً من الأمراض والعيوب الجسمية والاجتماعية والخلقية والإيمانية.

خطة البحث:

بناء على هدف البحث، فقد قسم الباحث البحث إلى عدة فصول. تبدأ **بالفصل الأول**، والذي يمثل تمهيداً للبحث وهو بعنوان (مشكلة البحث وأهميته)، ثم جاء **الفصل الثاني** بعنوان (حقوق الأبناء في مرحلة ما قبل الإنجاب) حيث تناول موضوع الزواج في الإسلام والهدف منه، ومعايير اختيار الأم، وحالة الأم النفسية أثناء الحمل، والزواج المبكر وسلبياته.

أما **الفصل الثالث** فهو بعنوان (واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة) واشتمل على ثلاثة جوانب من التربية وهي: التربية الجسمية والتربية الاجتماعية والتربية الوجدانية، وأعقبها بتعليق عام على الفصل.

والفصل الرابع فهو بعنوان (واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المدرسة الابتدائية) واشتمل على جوانب التربية الجسمية، والاجتماعية، والإيمانية، والعقلية.

والفصل الخامس فهو بعنوان (واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المراهقة) واشتمل على معنى البلوغ والمراهقة، والتربية الجسمية بما فيها من النمو الجسمي، والنمو الفسيولوجي ومظاهر اهتمام الإسلام بهما، واشتمل كذلك على التربية الاجتماعية، والتربية الجنسية.

والفصل السادس والأخير فهو بعنوان (التوصيات) وقسم تبعاً لمراحل النمو، فقدمت التوصيات في مرحلة ما قبل الإنجاب، ثم مرحلة ما قبل المدرسة، ثم مرحلة المدرسة الابتدائية، ثم مرحلة المراهقة.

الفصل الثاني

حقوق الأبناء على الآباء
في مرحلة ما قبل الانجاب

ويتضمن هذا الفصل:

الزواج في الإسلام والهدف منه.

معايير اختيار الأم.

حالة الأم النفسية أثناء الحمل.

الزواج المبكر وسلبياته.

تتعدد المؤسسات الاجتماعية من حيث علاقتها بالطفل الناشىء، وتزداد وتقل درجات تأثيرها عليه. وهذه المؤسسات تبدأ بالمنزل، ثم المدرسة، وجماعات الرفاق، ووسائل الإعلام المختلفة، والمؤسسات الدينية (المسجد، الكنيسة)...، إلخ. ويضع علماء التربية وعلم النفس المنزل (الأسرة) في المكانة الأولى من حيث أثره القوي والمستمر على الطفل.

وترجع أهمية الأسرة في حياة الطفل من حيث نموه وتشكيل ميوله واتجاهاته إلى عدة أسباب منها[1]:

١ ـ تتميز عملية النمو في السنوات الأولى بسرعتها، والتي تتفوق على ما يليها من سنوات، وما يحدث في الطفل من تغيرات يكون أبقى وأثبت مما يقابله في المراحل التالية.

٢ ـ ميل الطفل في سنواته الأولى إلى الاعتماد على والديه، ومن حوله، اعتماداً شديداً، مما يجعل نزعة المحاكاة والتقليد لديه قوية، فيتأثر بما حوله.

٣ ـ ينمو الضمير في فترة الخمس سنوات الأولى من حياة الطفل، ولذا فإن لهذه الفترة أثر واضح في الجوانب الخلقية.

---

(١) فرنسيس عبد النور: التربية والمناهج (دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧)، ص٩٣.

ويبدو تأثير الأسرة على الطفل أكثر في النواحي (أو الجوانب) الآتية[1].

١ ـ الناحية الجسمية:

حيث يؤثر المستوى الاقتصادي الاجتماعي في النمو الجسمي للطفل بما يوفره من مسكن وطعام وإمكانيات ترفيهية.

٢ ـ الناحية العقلية:

حيث يتدرب الطفل على الملاحظة والانتباه باستخدام حواسه. وكذلك يميز بين الأشياء. ومن أسرته يرث جانباً كبيراً من الذكاء، والذي يتوقف نموه على ما توفره الأسرة من ظروف تساعد الطفل على استخدامه. كذلك يؤثر المستوى الثقافي للأسرة بما يسمع من أحاديث ومناقشات، وما توفره من مجلات وكتب.

٣ ـ الناحية الخلقية:

ويتمثل ذلك في أمرين[2]: الأمر الأول وهو الميراث الخلقي الذي ينحدر عن الآباء والأجداد، ويبدو ذلك في حرص كثير من الأسر على انتخاب الأزواج من سلالات عريقة في الفضل والمجد، والبعض يتجه لفضائل خلقية معينة. وهنا يبدو قول الرسول محمد ﷺ مؤيداً لذلك الأمر ومعضداً له، حيث يقول[3]:

«تخيروا لنطفكم، وانكحوا الأكفاء، وانكحوا إليهم».

«ففي هذا الحديث توجيه إلى العناية في اختيار الزوج زوجه من أصل طيب حتى تأتي من الزواج ذرية طيبة صالحة. ويحتمل أن يشير هذا الحديث

---

(١) نفس المرجع السابق، ص ٩٤.

(٢) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس جـ ٢، ط ٩ (دار المعارف القاهرة، ١٩٧٥) ص ٢٦٩.

(٣) أخرجه ابن ماجة في النكاح، ٤٦ (ونسنك، جـ ٦، ص ٤٧٤).

أيضاً إلى أهمية أثر البيئة، لأن الاختيار قد يكون على أساس الأصل الطيب من الناحية الوراثية، كما قد يكون أيضاً من الناحية الخلقية والدينية، حتى ينشأ الأطفال في رعاية أم حسنة الأخلاق والدين»[1].

والأمر الثاني لأثر الأسرة على الطفل، هوالتوجيه الخلقي. حيث تلتقي معاً ينابيع الخُلق، وهي الوراثة والمنزل والمدرسة، والأصدقاء، وهؤلاء جميعاً نجدهم في الأسرة. فالطفل يتعلم آداب السلوك والعلاقات الاجتماعية، فينشأ على حب التعاون أو الأنانية، وعلى العطف أو القسوة، وعلى احترام الغير والطاعة، أو على الصلف والعصيان، وعلى الصدق والإخلاص، أو على الكذب والنفاق، وعلى الاعتماد على النفس أو التواكل على الغير، كل هذا حسب ما يقع في خبرته من أخلاق أفراد الأسرة التي ينشأ فيها، وعلى رأسهم الأم والأب.

يقول الرسول محمد ﷺ في شأن أهمية تأثير الأسرة في الطفل:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[2].

ويقول الأستاذ إيرنست وود Ernest Wood: «إن الحياة العائلية المضطربة، والمشاحنات بين الوالدين، والمشاكسات الدائمة داخل جدران المنزل، تؤثر تأثيراً بليغاً في تكوين ميول الطفل، وقد تؤدي بعض الحالات التي تنشأ في البيت إلى تكوين شخصية تَنْفُر من الحياة وتكرهها، ولا ريب في أن أثر هذه الشخصية سوف يظهر في الأعمال المدرسية كماً وكيفاً»[3].

ويؤكد هذا المعنى أحد الباحثين[4]، حيث يرى أن الأسرة هي مربى

---

(١) محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس (دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩) ص ٢٦٢.
(٢) مسلم، جـ٨، ص ٥٢.
(٣) صالح عبد العزيز: التربية وطرق التدريس، جـ٢ ط ٩، مرجع سابق، ص ١٧١.
(٤) محمود قمبر: ذاتية الطفل والنظرية التربوية في الإسلام، بحث منشور في المجلد التاسع، جامعة قطر، مركز البحوث التربوية، ١٩٨٥، ص ٢٠١ نقلاً عن.

الطفل الأول وفيها تبدأ وتنمو تنشئته الاجتماعية، ويصطبغ تطبيعه بلون الأسرة وما يتوافر لها من صلاح أو فساد، فكما أن الجنين يعتبر جزءاً من نسيج الأم، فإن الطفل ونفسيته تظل طوال السنوات الأولى جزءاً من نفسية الأسرة، ولهذا فإن كثيراً من الأعراض المرضية التي يصاب بها الطفل ليست أمراضاً حقيقية ولكنها أعراض الحياة الأسرية تنعكس بشكل مرضي على نفسية الطفل.

يتضح مما سبق الدور المتعاظم الذي يقوم به المنزل في التأثير على الطفل في مراحل سنواته الأولى. وقد ترتب على ذلك حرص كثير من الشباب المقبل على الزواج، التمهل في اختيار الزوج، والزوجة المناسبة، لكي ينشأ الأطفال في بيئة صحية مناسبة. وهذا ما سنتناول عرضه في هذا الفصل، حيث نتناول في النقطة الأولى: الزواج في الإسلام والهدف منه، حيث يمثل الأساس الذي يقوم عليه البناء كله، ثم ننتقل إلى مناقشة النقطة الثانية وهي معايير اختيار الأم وارتباط ذلك بالحالة الصحية والخلقية للأبناء. ثم ننتقل لمناقشة قضيتين هامتين تقعان في فترة ما قبل الإنجاب، وهما حالة الأم النفسية أثناء الحمل والولادة، وكذلك الزواج المبكر ومحاذيره البيولوجية والاجتماعية والنفسية.

أولاً: الزواج في الإسلام والهدف منه:

من المعلوم لدى علماء النفس أن الدافع الجنسي من الدوافع الفسيولوجية الفطرية القوية التي تلح في طلب الإشباع، وخاصة في مرحلة الشباب. حيث يكون الإنسان في أوج قوته ونشاطه. وقد يشتد إلحاح الدافع الجنسي على الشباب في بعض الأوقات لدرجة تسبب كثيراً من الإزعاج والاضطراب بسبب الصراع الذي يعانيه في التغلب على هذا الدافع ومقاومته. ولا شك أن الزواج، والزواج المبكر، هو الوسيلة المثلى للتخلص من شدة إلحاح الدافع الجنسي وما يسببه من صراع نفسي[1].

وقد جاء الإسلام متفقاً مع هذه الفطرة الإنسانية، فنجد القرآن الكريم

---

(١) محمد عثمان نجاتي: الحديث النبوي وعلم النفس، مرجع سابق، ص ٥٤.

يؤكد على وجود الدافع الجنسي والغريزة الجنسية، ويدعو إلى إشباعها وتفريغها بالطريق الحلال المشروع، وهو الزواج.

قال تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1].

وقال تعالى:

﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾[2].

وقال تعالى:

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾[3].

وليس هذا كلاماً فحسب، وإنما نجد التطبيق العملي في سنة رسول الله ﷺ، فهو يحث المسلمين على الزواج، فإنه سيكاثر بهم الأمم يوم القيامة.

قال رسول الله ﷺ:

«النكاح من سنتي. فمن لم يعمل بسنتي فليس مني، وتزوجوا، فإني مكاثر بكم الأمم، ومن كان ذا طول فلينكح، ومن لم يجد فعليه بالصيام، فإن الصوم له وجاء»[4].

ونهى رسول الله ﷺ عن الرهبانية واعتزال النساء لما فيهما من خروج على الفطرة السليمة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.

(٢) سورة النحل، آية: ٧٢.

(٣) سورة النساء، آية: ١.

(٤) أخرجه ابن ماجة عن عائشة، جـ١، الحديث رقم ١٨٤٦.

النبي ﷺ: يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها (وجدوها قليلة)، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، ولكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني»(١).

وحديث آخر يؤكد المعنى السابق، عن أبي ذر، قال: دخل على رسول الله ﷺ رجل يقال له عكاف بن بشر التميمي فقال له النبي ﷺ: «يا عكاف هل لك من زوجة؟» قال: لا، قال: «ولا جارية؟» قال: ولا جارية. قال: «وأنت موسر بخير؟» قال: وأنا موسر بخير. قال: «أنت إذن من إخوان الشياطين. لو كنت في النصارى كنت من رهبانهم. إن سنتنا النكاح. شراركم عزابكم، وأراذل موتاكم عزابكم. أبا لشيطان تمرسون. ما للشيطان من سلاح أبلغ في الصالحين من النساء إلا المتزوجون أولئك المطهرون المبرؤون من الخنا. ويحك يا عكاف إنهم صواحب أيوب وداود ويوسف وكرسف». فقال له بشر بن عطية: ومن كرسف يا رسول الله؟. قال: «رجل كان يعبد الله بساحل من سواحل البحر ثلاثمائة عام يصوم النهار ويقوم الليل، ثم إنه كفر بالله العظيم في سبب امرأة عشقها وترك ما كان عليه من عبادة الله عزّ وجلّ، ثم استدرك الله ببعض ما كان منه فتاب عليه، ويحك يا عكاف تزوج وإلا فأنت من المذبذبين»(٢).

ودعوة الإسلام للزواج وعدم الرهبانية، وضع لها أنسب وأبسط الظروف لكي تتم على أحسن وجه. فقد دعا الإسلام إلى تبسيط المهور وعدم المغالاة فيها تيسيراً على الشباب الراغب في الزواج، وكذلك دعا الإسلام الآباء إلى

---

(١) البخاري، جـ٧، ص٢.

(٢) أحمد: جـ٥، صح. ص١٦٣ - ١٦٤.

البحث عن الشباب المتدين ليزوجوه بناتهم.

فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[1].

وعن سهل بن سعد أن النبي ﷺ جاءته امرأة فقالت: جئت لأهب لك نفسي، فنظر إليها رسول الله ﷺ، فصعَّد النظر إليها وصوبه، ثم طأطأ رأسه. فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست. فقام رجل من أصحابه فقال: يا رسول الله إن لم تكن لك حاجة فزوجنيها. فقال رسول الله ﷺ: «هل عندك من شيء؟» قال: لا والله يا رسول الله. قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟» فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً. قال: «انظر ولو خاتماً من حديد». فذهب ثم رجع فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزاري فلها نصفه. فقال رسول الله ﷺ «ما تصنع بإزارك، إن لبسته لم يكن عليها منه شيء. وإن لبسته، لم يكن عليك منه شيء». فجلس الرجل حتى طال مجلسه، ثم قام فرآه رسول الله ﷺ مولياً فأمر به فدعي، فلما جاء قال: «ماذا معك من القرآن». قال: معي سورة كذا وسورة كذا عدَّدها. قال:

«اتقرؤهن عن ظهر قلب». قال: نعم، قال: «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن»[2].

وحذر الإسلام من ترك هذه الفطرة الأولية، وكذلك حذر من انتهاج طرق غير شرعية لإشباعها، ووضع الحدود الواضحة والبينة لكي يسير عليها أفراد المجتمع المسلم. وليس المقام هنا لذكر تلك الحدود، وإنما نَذْكر ونُذَكّر ببعض الانحرافات الجنسية التي شاعت في بعض المجتمعات الغابرة. فقد

(١) أخرجه الترمذي في النكاح، جـ ٥، ص ٣٠٥، وابن ماجة في النكاح (ونسنك، جـ ٢، ص ١٦٧).

(٢) أخرجه الشيخان ومالك وأبو داود والترمذي (ناصف، جـ ٢ صح. ص ٢٩٨ - ٢٩٩).

شاع في أقوام سابقة الجنسية المثلية، وهي ميل الفرد جنسياً إلى فرد من نفس جنسه، ويسمى في الرجال باللواط، وفي النساء بالسحاق. وأشار القرآن الكريم إلى ذلك في واقعة قوم لوط: قال تعالى:

﴿ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين * إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء، بل أنتم قوم مسرفون﴾[1].

﴿أتأتون الذكران من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجِكم، بل أنتم قوم عادون﴾[2].

ومن الأحاديث النبوية في هذا المقام:

قال رسول الله ﷺ: «إن أخوف ما أخاف على أمتي عمل قوم لوط»[3].

وفي حديث طويل لعن رسول الله ﷺ من عَمِل عَمَلَ قوم لوط، فقال: «. . . لعن الله من وقع على بهيمة، لعن الله من عَمِل عَمَلَ قوم لوط (وذكرها ثلاثاً)»[4].

ونهى عن الاتصال الجنسي بالمحارم، فقال ﷺ:

«من وقع على ذات محرم فاقتلوه»[5].

وإذا كانت هذه هي مبادىء الإسلام ومفهومه لمبدأ الزواج، باعتباره فطرة إنسانية (دافع فطري أولى): **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾**[6]، فما الهدف الذي يسعى الإسلام لتحقيقه من وراء الدعوة للزواج المشروع؟.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٨٠ ـ ٨١.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) الترمذي في الحدود، جـ ٦، ص ٢٤١.

(٤) أحمد، جـ ١، ص ٣١٧، والبيهقي جـ ٨، ص ٢٢٤.

(٥) البيهقي، جـ ٨، ص ٢٣٧.

(٦) سورة الروم، آية: ٣٠.

يكاد يتفق معظم الدارسين على أن هدف الزواج في الإسلام يتحدد في ضوء الآية الكريمة:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(١) وكذلك الآية:

﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾(٢).

فغاية الزواج في الإسلام هي أن يسكن أحد الزوجين إلى الآخر، أي يطمئن كل منهما إلى الثاني. وعبر عن هذه الغاية بالسكنى ـ بدل الاطمئنان ـ ليفيد أن الزوجة هي بمثابة السكن. والسكن هنا ليس بالمادي، ولكنه السكن النفسي، فالزوجة بمثابة السكن الذي يأوي إليه الزوج بعد تعب ومشقة الحياة وكدها وهمها. والإيواء للسكن يكون عن رغبة صادقة في إزالة آثار المشقة، وبالتالي يكون اللقاء بين الزوجين، لقاء بمن يحب، ويطمئن إليه ولا يخشى منه إثارة القلق والاضطراب.

وعلى ذلك فإن الزواج ليس مجال قلق ومجادلة، وليس مجال مناكفة ومشاكسة، وليس مجال مساومة، وليس مجال أخذ ورد، وشد وجذب. وأي شيء يخرج الزواج عن هذه الغاية، يجعل الزوجية مثاراً للقلق واضطراب النفس البشرية، وهذا لا يقره الإسلام بما قرر من غاية للزواج، وجعلها آية من آيات الله في خلقه.

وإذن ليس غاية الزواج في الإسلام إشباع الغريزة الجنسية للزوجين، وإنما ترتفع عن المتعة واللذة المادية وتصل إلى مرتبة أعلى من ذلك، إنها علاقة مودة ورحمة وسكن يشعر فيها الزوجان بالأمن والطمأنينة وهذا بين في الآية:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾(٣).

---

(١) سورة الروم، آية: ٢٣.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٨٩.

(٣) سورة الروم، آية: ٢١.

بل إن الإسلام يرتفع بهذه العلاقة بين الزوجين إلى مستوى الصدقة والعمل الصالح الذي يؤجر عليه المسلم. قال رسول الله ﷺ: «... وفي بضع أحدكم صدقة» قالوا: يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر»[1].

وكما أن الزواج يحقق المتعة المادية، فإنه كذلك يحقق إشباع دافع الأمومة، بما تبديه الأم من حب وحنان وعطف ورعاية لأطفالها. وهذه المشاعر لا شك أن لها الأثر الطيب في نفوس الأبناء، فينشأون في ظل حياة مستقرة آمنة، تنعكس عليهم وعلى سلوكياتهم صغاراً أو كباراً.

هذا بالإضافة إلى أن الزواج يحقق مجموعة أخرى من الوظائف أو المهام منها[2]:

١ ـ **المحافظة على النوع الإنساني**: وهذا يتحقق من إنجاب البنين والبنات، مما يترتب عليه واجبات المحافظة على هذا النسل من جميع النواحي الجسمية والعقلية والخلقية والاجتماعية. وجاء القرآن بهذه الوظيفة في سورة النحل: قال تعالى: **﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً، وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة﴾**[3].

٢ ـ **المحافظة على الأنساب**: حيث يفتخر الأبناء بانتسابهم إلى آبائهم، مما ينعكس أثره على استقرارهم النفسي. وإذا ما تصورنا مجتمعاً لا يقر بمبدأ الزواج. فسوف نرى تداخل الأنساب والأعراق وفساد الأخلاقيات وإباحة الفساد.

٣ ـ **سلامة المجتمع من الأمراض**: حيث يأمن أفراد المجتمع من شر

---

(١) مسلم، جـ٧، ص. ص ٩١ ـ ٩٢، وأبو داود وأحمد (ونسنك. جـ١ ص ١٨٧).

(٢) عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام** جـ١، ط ٢ (دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨) ص. ص ٣١ ـ ٣٤.

(٣) سورة النحل، آية: ٧٢.

الأمراض الفتاكة التي تأتي من ممارسة الزنى، ومن هذه الأمراض: الزهري، والسيلان، وأخيراً ظهر مرض الإيدز الذي فتك بالمجتمعات المنحلة (في الشرق والغرب) التي أباحت ممارسة الفاحشة والشذوذ الجنسي.

٤ ـ **تعاون الزوجين في بناء الأسرة وتربية الأولاد:** فكل من الزوجين يتحمل نصيباً في إقامة هذا الصرح. ورغم المشقة التي يتحملها الزوجان في تحقيق هذه المهمة إلا أن ذلك الجهد يكون محبباً إليهما، وخاصة إذا تم في إطار روح التعاون والمحبة والسلام بينهما.

٥ ـ **إشباع عاطفة الأمومة والأبوة:** والتي تحيط الأبناء بالحب والحنان والرعاية، ولا شك أن هذه العاطفة التي أودعها الله الخالق الحكيم القدير، هي التي جعلت الأبوين يتحملان مشقة إنجاب الأولاد ورعايتهم وتربيتهم، ولذا أوجب الله على الأبناء رد هذا الجميل بحسن التعامل معهما، حيث قال تعالى: **﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً﴾**[(١)].

ولنا في أحاديث رسول الله ﷺ عبرة لأولي الألباب، منها على سبيل المثال ـ لا الحصر:

قال رسول الله ﷺ: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف» قيل من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»[(٢)].

وعن عبدالله قال: سألت النبي ﷺ: أي العمل أحب إلى الله؟ قال: «الصلاة على وقتها. قال: ثم أي؟ قال: «ثم بر الوالدين». قال: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله»[(٣)].

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣ ـ ٢٤

(٢) مسلم، جـ٨، ص ٥.

(٣) البخاري، جـ ٩، ص ٢.

وفي ختام مناقشة الزواج في الإسلام والهدف منه، يمكن طرح قضية جدلية مثارة على كثير من ألسن الناس بمختلف طبقاتهم وثقافاتهم، وهي:

هل الزواج بأخرى، يفسد الزواج ويخرجه عن الهدف الموضوع له، وهو السكن والمودة والرحمة؟.

ننتقل بعد ذلك لمناقشة النقطة الثالثة حتى تكتمل صورة الزواج في الإسلام، وما يترتب عليه من حقوق للأبناء على الآباء.

العوامل التي تساعد على تحقق هدف الزواج في الإسلام:

هناك عدد من العوامل التي تعمل أو تساعد على تحقق الهدف من الزواج في الإسلام، وتقع بعض هذه العوامل تحت عناوين مختلفة في الدراسات الإسلامية مثل (شروط عقد الزوجية، القوامة، العلاقة بين الزوجين. . .)، وقد آثرنا أن نجمع عدداً منها ونضعه تحت هذا العنوان. ومن هذه العوامل(*): -

١ ـ سيادة علاقة الود والرحمة بين الزوجين.
٢ ـ الإشهاد والإشهار.
٣ ـ الاستمرار والتأبيد.
٤ ـ النفقة والقوامة.
٥ ـ الحشمة والوقار.

ونبدأ في شرح كل عامل من هذه العوامل الخمسة، ودوره في الوصول لهدف الزواج في الإسلام.

١ ـ سيادة علاقة الود والرحمة بين الزوجين:

ويرسم القرآن الكريم هذه الصورة الوارفة الظلال في الآية الكريمة:

(*) قد توجد عوامل أخرى، ولكن هذه العوامل الخمسة تمثل من وجهة نظرنا أهم هذه العوامل.

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[1] فمحور العلاقة يقوم على الأنس والاستقرار والرحمة والود والتحمل والمواساة، لأنها علاقة النفس بالنفس في حال رفقها وتعاطفها[2].

ويترتب على سيادة الود والرحمة بين الزوجين، قيام المشاعر المشتركة بينهما وتوحدهما. ويلعب الضمير الديني هنا دوره حيث «إن التدين عامل إيجابي في الإلفة والانسجام والتآزر والتساند... فهو إيمان بمُثُل وقيم في الحياة، وليس من بينها المال والجاه وعرض الدنيا، بل في مقدمتها: الإنسانية في المعاملة والتهذيب في السلوك، وتقدير الإنسان لذات الإنسان وابتغاء الإخاء في الله...»[3].

ويحدد البعض[4] طريق الوصول إلى هدف الزوجية في أمرين: الأمر الأول: أن يحفظ الرجل على المرأة حياءها، وبالتالي يحفظ كرامتها كأنثى. ويتجلى ذلك في أن يعبر لها عن تقديره إياها بمنحة يتقدم بها إليها حين الرغبة في إتمام الزواج بها، وهو ما يسمى بالمهر، وتوكيداً لهذه المنحة وأثرها في رفع معنويات المرأة، ثم في منزلتها بعد ذلك لدى الزوج، جعل القرآن الكريم هذه المنحة (النِحلة) حقاً للمرأة لا يسترد الرجل بعضها إلا عن طيب نفس ورضاء خالص منها يقول الله تعالى:

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾[5].

والأمر الثاني: أن الحقوق بين الزوجين تكون متكافئة ومتعادلة بحسب طبيعة كل منهما. والتعادل في الحقوق تعني إسهام الرجل والمرأة فيها سواء،

---

(١) سورة الروم، آية: ٢١.
(٢) إبراهيم حميد حسين: التكافل الاجتماعي في مجال الأسرة (مطبوع على الآلة الكاتبة، ص ١٦.
(٣) محمد البهي: الإسلام في حياة المسلم ط ٢ (مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٧٣) ص ٢٣٦.
(٤) المرجع السابق، ص. ص ٦٤ - ٦٦.
(٥) سورة النساء، آية: ٤.

وليس أن تكون كل حقوق الرجل وواجباته هي ذات حقوق المرأة وواجباتها. فالرجل عليه الإنفـاق مثلاً، ودور المـرأة في رعايـة أولادها وتنشئتهم... وهكذا... ويأتي هذا الأمر في الآيتين الكريمتين:

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾(١).

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف، وللرجال عليهن درجة﴾(٢).

وتأكيداً لروح الود والرحمة وسيادة الانسجام بين الزوجين والمشاعر المشتركة بينهما، فإن القرآن أوصى بعدم الإضرار بهذه العلاقة، وأن يتحلى كل من الطرفين بالصبر والتؤدة والتسامح والعفو: يقول تعالى:

﴿وعاشروهن بالمعروف، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾(٣).

٢ - الإشهاد والإشهار:

فالإسلام يشترط لقيام الترابط بين الزوجين، ألا يتم في السر والخفاء، حتى لا يكون كالجريمة، بل لا بد من صريح القول والقبول وشهادة الشهود، لدرجة يحسنُ معها دق الطبول تأكيداً لانتشار الخبر وزيادة الإعلان واستجابة لطبيعة السرور والفرح. فأي تزواج فيه شك أو غموض أو مساس بكرامة الرحم وقدسية النسب، تزاوج مرفوض من أساسه، يقول الله تعالى:

﴿... كتاب الله عليكم، وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين، فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة، ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة، إن الله كان عليماً حكيماً﴾(٤).

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.
(٣) سورة النساء، آية: ١٩.
(٤) سورة النساء، آية: ٢٤.

٣ ـ الاستمرار والتأبيد:

فقد اشترط الفقهاء توفر النية والتأبيد والاستمرار في الحياة الزوجية، أما التوقيت فلا يقوم عليه زواج ولا بناء أسرة. فإن صرح فيه بأن يكون زواجاً مؤقتاً بزمن معين، فَقَدْ فَقَدَ قدسيـة العقد وحرمته الملزمة للاستقرار والسكن وركون كل من الزوجين للآخر ليقيما حياتهما الزوجية، ولا بعتديـا على حياة غيرهما من الأبناء(١).

٤ ـ النفقة والقوامة:

وقد اشترط الفقهاء تأمين النفقة وتوحيد القيادة حتى يتوفر الجو الآمن للزوجين والناشئة، ولكي تتحدد المسؤولية ويكون لكل فرد في الأسرة دوره وموقعه الذي لا يعتدي به على الآخرين ولا يتكل فيه على غيره. ومن هنا كان الإنفاق واجباً على الزوج وفي عنقه حيث قال الله تعالى:

﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده﴾(٢). لكي تتفرغ الأم للإشراف على أولادها والعناية بنفسها وهندامها وبشاشتها وعطرها، وحتى لا يأخذ نضارتها إرهاق العمل، وقيود مواعيده، ومعاناة الكسب والتحصيل المادي، وبذلك يجب على المجتمع حماية المرأة من ضرورة الكد والكسب والسعي في طلب الرزق. وفي هذا السياق جعل القرآن القوامة على المرأة انطلاقاً من المحافظة على النظام وتحديد المسؤولية والالتزام بها، وهو ما جعل الرسول ﷺ يأمر الرجال إذا اجتمعوا أن يؤمروا واحداً منهم، حتى لو التقى اثنان في سفر فأحدهما أمير للآخر.

---

(١) محمد أبو زهرة: **الإسلام وتنظيم الأسرة** (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥) ص ١١٤.
ـ صلاح الفوال: **التصوير القرآني للمجتمع** جـ١ (القاهرة، ١٩٨٦).
ـ بدران أبو العينين: **حقوق الأولاد في الشريعة الإسلامية**، (دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٧١).

(٢) سورة البقرة، آية: ٤٧.

وإذا كان هذا هو حال القوامة في المجتمع بصفة عامة، فإنه أمر مطلوب في المنزل، وقرر ذلك القرآن الكريم في وضوح تام، حيث قال الله تعالى:

﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من أموالهم﴾(١).

والقوامة هنا تعني مراعاة الرجال لأمور الأسرة، وليست سلطة يستبد بها الرجل. فقد كلف القرآن الرجل بأمور تتفق وطبيعته، وكذلك المرأة، ويتضح ذلك من النص القرآني:

﴿بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾.

أي بسبب ما تميزت به طبيعة أحدهما عن طبيعة الآخر، وبالتالي بسبب تكفل الرجال بالإنفاق على الأسرة الذي هو وليد المفارقة بين الطبيعتين(٢).

وحرصاً من الإسلام على عدم تعدي أحد الزوجين على الآخر في الحقوق والواجبات ـ وخاصة من جانب الرجال ـ فقد أكد على مبدأ التكافؤ في الحقوق والواجبات بينهما، فقال تعالى:

﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾(٣).

فشخصية المرأة قبل الزواج، هي بعد الزواج، فلها حرية الرأي وحرية القول، وحرية الاعتقاد، وحرية التصرف في مالها الخاص حتى ما يصل إليها من زوجها لا يحل أن يسترجع شيئاً منه، إلا برضا وطيب نفس منها، قال تعالى:

﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة، فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مرئياً﴾(٤).

كذلك أكد الإسلام على أن تميز الرجال على النساء **﴿وللرجال عليهن**

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٤.

(٢) محمد البهي: الإسلام في حياة المسلم، سابق، ص ١٣٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

(٤) سورة النساء، آية: ٤.

درجة﴾[1] لا يعطي الحق لهم بالاستبداد في الرأي والسلطة، وإنما هذه الدرجة كانت بشأن توجيه الأسرة وتدبير شؤونها ورعايتها. فإذا وجد أحد الزوجين أن الحياة الزوجية يهددها الخطر، ولا يتحقق فيها السكن والاطمئنان: ﴿فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[2].

وقال تعالى:

﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنّ فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف، ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه، ولا تتخذوا آيات الله هزواً، واذكروا نعمة الله عليكم، وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به...﴾[3].

٥ - الحشمة والوقار:

يقول الله تعالى:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون * وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن...﴾[4]. ذلك أنه من حق الرجل كما هو حق المرأة أن يطمئن كل منهما ويثق في شريك حياته، وأن يتوفر لكل منهما الحصانة ضد الإغراء والسقوط والاضطراب والتوتر ومصادرة العواطف، والقرآن عندما يقرر ذلك المبدأ ويثير قضية الحشمة ويتحرج من الاختلاط، ويأمر بغض الأبصار، ويحرم التبرج، ما ذلك إلا لأنه يريد للضمائر أن تسكن وللأرواح أن تستقر وللبيوت أن تهدأ.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.
(٢) سورة البقرة، آية: ٢٢٩.
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٣٢.
(٤) سورة النور، آية: ٣٠ - ٣١.

ثانياً: معايير اختيار الأم:

وضعت جميع الشرائع نظماً وقواعداً لاختيار الزوجة المثالية، والإسلام من بين هذه الشرائع قد وضع قواعد وأسساً لو اهتدى الناس بهديها وساروا على نهجها كان الزواج في غاية التفاهم والمحبة والوفاق، وكانت الأسرة ـ بما فيها ـ من الأبناء ـ قمة الإيمان الصحيح والجسم السليم والخلق القويم والعقل الناضج والنفس المطمئنة الصافية.

والنقاط التالية تتناول هذه القواعد:

١ ـ الاختيار على أساس الدين:

والمقصود بذلك هو الفهم الحقيقي للإسلام، والتطبيق العملي، وآدابه، والالتزام الكامل بمنهج الشريعة ومبادئها الخالدة، فعندما يكون الخطيبان على هذا المستوى من الفهم، يمكن أن تطلق على أحدهما أنه ذو دين وخلق فاضل، وعندما يكونان على خلاف ذلك يمكن أن تحكم على أحدهما بانحراف السلوك وفساد الأخلاق والبعد عن الإسلام مهما ظهر للناس منهما من التقوى والصلاح[1].

وعلينا ألا نخدع بالمظاهر، مثل ارتداء الحجاب أو النقاب أو تربية اللحية أو حمل المسابح أو ترديد الكلمات الرنانة في المناسبات... ولكن علينا أن نتحرى الدقة في السؤال والبحث. وقد بين لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذا الأمر، عندما جاءه رجل يشهد لرجل آخر فقال له عمر: أتعرف هذا الرجل؟ فأجاب: نعم. قال: هل أنت جار له؟ تعرف مدخله ومخرجه، فأجاب الرجل: لا، قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق، فأجاب الرجل: لا. قال عمر: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يعرف به ورع الرجل: فأجاب الرجل: لا. فصاح به عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد يرفع رأسه تارة ويخفضه أخرى فرد الرجل نعم. قال له عمر: اذهب فإنك لا

(١) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٣.

تعرفه والتفت إلى الرجل وقال له ائت بمن يعرفك[1].

فعمر رضي الله عنه لم ينخدع بشكل الرجل ومظهره ولكنه عرف الحقيقة بموازين صحيحة كشفت عن حاله ودلت على تدينه وأخلاقه، وهذا معنى قوله عليه الصلاة والسلام (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم)[2]. لهذا أرشد الرسول ﷺ لمن يطلب الزواج أن يظفر بذات الدين، لتقوم الزوجة بواجب الزوجية في أداء حق الزوج والأولاد والبيت على النحو الذي أمر به الإسلام. وهذا مصداقاً لحديث رسول الله ﷺ: «تنكح المرأة لأربع، لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»[3].

ويوضح الرسول المعلم ﷺ أسباب هذا التفضيل على أساس الدين فيقول: «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها، وبارك لها فيه»[4].

وقال الرسول ﷺ في حديث آخر: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير»[5].

فالرسول ﷺ يبين أن أعظم فتنة على التربية والأخلاق أن تقع الفتاة المؤمنة في يد خاطب متحلل أو زوج ملحد لا يرقب في مؤمنة إلا ولا ذمة، ولا يقيم للشرف والغيرة والعرض وزناً ولا اعتباراً ومما لا شك فيه أن الأولاد عندما

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. ط ٣ (دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧) ص ٢٠٦.

(٢) أخرجه أبو داود عن أبي هريرة، جـ ٢، الحديث رقم ٢٠٤٧، كما أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجة والدرامي (ونسنك، جـ ٢، ص ١٦٦).

(٣) فتح الباري، جـ ١١، ص ٣٦، النكاح، باب الأكفاء في الدين.

(٤) الطبري.

(٥) البخاري، جـ ٣، ص ٢٧١.

ينشؤون على الانحراف والاباحية ويتربون على الفساد والمنكر تكون الكارثة الكبرى(١).

إذن فالرسول ﷺ عندما يبين المعيار الحقيقي للزاوج ويجعل الدين أساساً له، فإنه يحقق السعادة الكاملة للبيت والتربية الفاضلة للأولاد والشرف الثابت والاستقرار المنشود للأسرة(٢).

٢ ـ الاغتراب في الزواج(٣):

كذلك من توجيهات الإسلام تفضيل المرأة الأجنبية عن الرجل على النساء اللاتي من نسبه أو أقاربه حرصاً على نجابة الولد وضماناً لسلامة جسمه من الأمراض السارية أو العاهات الوراثية وتوسيعاً لدائرة التعارف الأسرية وتمتيناً للروابط الاجتماعية، ففي هذا تزداد أجسامهم قوة ووحدتهم تماسكاً وصلابة، وتعارفهم سعة وانتشاراً، والرسول ﷺ يحذر من الزواج بذوات النسب والقرابة لكي لا ينشأ الولد ضعيفاً وتنحدر إليه عاهات أبويه وأمراض أجداده (تخيروا لنطفكم. وانكحوا الأكفاء وانكحوا إليهم)(٤).

وهذا ما أثبته علم الوراثة فيما بعد، أن الزواج بالأقارب يجعل النسل ضعيفاً من ناحية الجسم والذكاء ويورث صفات خلقية ذميمة وعادات اجتماعية سيئة، وهذه الحقيقة قررها الإسلام منذ أربعة قرناً أو أكثر.

٣ ـ سلامة الزوجين من الأمراض:

روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ (تخيروا

---

(١) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣٨.
(٢) التصوير القرآني للمجتمع، مرجع سابق جـ ١، ص ٥٤.
(٣) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ٤١.
(٤) أخرجه ابن ماجة في النكاح، ٤٦ (ونسنك، ج ٦، ص ٤٧٤).

لنطفكم وانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم)[1] فالحديث يطلق بحيث تندرج تحته سلامة الزوجين من الأمراض المعدية والوراثية.

ويمكن الاستفادة بما توصلت إليه أبحاث العلماء في الطب البشري، للتعرف على سلامة البدن في كلا الزوجين قبل ارتباطهما، فالأمراض إن كانت معدية انتقلت من أحدهما إلى الآخر، وإن كانت وراثية انتقلت منهما إلى الطفل، وبعض الأمراض الوراثية في الوالدين حين تلتقي في الطفل يحدث بينهما تفاعلات تؤدي في الغالب إلى وفاة الطفل مبكراً، فمثلاً مرضُ (قصر السلاميات) يوجد في الإنسان الكثير من العوامل المميتة ومنها الجين الذي يتسبب في قصر سلاميات الأصابع حتى تبدو كأنها مكونة من عقلتين فقط. فإذا حدث بين رجل وامرأة ارتباط زوجي وكان كل منهما يحمل هذه العلامة، فإن ذلك يؤدي إلى تكوين جنين لا يحمل أصابع في يديه أو رجليه ويحدث ذلك في مرحلة مبكرة لا تزيد على عام بعد ولادته تقريباً، كما أنه قد يوجد لهذين الأبوين أجنة سلاميات أصابعها كثيرة مثل الأبوين وتعيش عيشة عادية أو أفراد ليس بها أثر لهذا التشوه، وتبين هذه الحالة أن كلًّا من الأبوين يحمل عاملاً مميتاً بصورة فردية، وإذا تصادف وجود هذين العاملين في جين واحد تسبب في موته[2].

وكذلك (مرض البله المصحوب بالعمى في الأطفال) وهي حالة ناتجة عن طفرة منتجة موجودة بصورة فردية، فإذا كان كلّا الأبوين حاملاً لهذه الطفرة بحالة فردية نتج فرد حامل للعاملين وفي هذه يصاب الطفل بالعمى إلى جانب نقص في قواه العقلية ويموت بعد ولادته بعامين أو ثلاثة.

لهذا يحسن بالزوجين أن يستفيدا من نتائج التحليل المعملي الطبي، لكي يتجنبا الزواج المؤدي إلى أطفال مشوهين أو مصابين بالجذام والبرص

---

(١) ابن ماجة، النكاح، ٤٦ (ونسنك، ج ٦، ص ٤٧٤).

(٢) عدنان السبيعي: سيكلوجية الأمومة والطفولة. جـ٢ (الشركة المتحدة للتوزيع، القاهرة، د.ت).

ـ محمد السيد محمد الزعبلاوي: **الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ط٢ (مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥) ص ١٩٧.

والجنون ....و .... ، وهذا كله يؤثر على الحالة النفسية للزوجين مما لا يتحقق معه الهدف من الزواج في الإسلام، وهو السكن والمودة والرحمة[1].

والزواج على ضوء الشروط الصحية له أسسه العلمية، فإذا كانت الأسرة هي الأداة البيولوجية التي تحقق إنجاب النسل واستمرار حياة المجتمع، وهي الوسيلة التي تنتقل من خلالها الخصائص الوراثية من جيل إلى جيل، فإن سلامة الوالدين ـ لاشك ـ الصحية تؤدي إلى نسل سليم.

فالخصائص الوراثية تنتقل من الأبوين إلى الأبناء عن طريق الصفات التي تحملها الجينات. ويبدأ الجنين بالتقاء خلية واحدة يسهم بها الأب وبخلية واحدة تسهم بها الأم وهو ما يطلق عليه الزيجوت وهذه الجينات هي التي تحدد الصفات الموروثة.

وقد كان جالتون أول من دعا إلى حركة تحسين النسل في نهاية القرن التاسع عشر وهو أول من أطلق على الدراسات العلمية التي تهدف إلى تطبيق برنامج يضمن لكل طفل تكويناً ووراثياً سليماً (علم تحسن النسل) ويهتم هذا العلم بإعداد الرأي العام حتى ينظر إلى الزواج والإنجاب نظرة إنسانية سامية وإقناع المقبلين على الزواج بأن الوراثة الصالحة والاستعداد الجسمي السليم هو حجر الزاوية في الحياة الأسرية السعيدة. وأهم فروع هذا العلم تحسين النسل الوقائي الذي يرمي إلى تبصير الآباء بأخطار الإدمان على الخمر وتعاطي المخدرات، وقد ثبت علمياً بأن المشروبات الكحولية تؤثر على خلايا المخ وتضر بكافة خلايا الجسم، كما تؤدي المخدرات إلى انهيار القوى العقلية والجسمية وكلاهما تترتب عليه وراثة ضعيفة. وهناك مخاطر أخرى تتمثل في الأمراض التناسلية التي تصيب الرجل والمرأة وتؤدي أحياناً إلى العقم أو الإجهاض أو تعريض الطفل لتشوهات ولادية مختلفة.

---

(١) جون كنجر وآخرون: **سيكلوجية الطفولة والشخصية**. ترجمة أحمد عزت سلامة، وجابر عبد الحميد جابر (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٠ م ص ٨٩.

ويقرر كثير من العلماء أن ضعف النسل وانحطاط قدرته العقلية يرجع في كثير من الأحيان إلى عوامل وراثية، ولهذا السبب ينصحون بعدم الزواج من الأقارب خاصة إذا كانت درجة القرابة وثيقة، حيث تنتقل إلى الذرية كل الصفات السيئة في الأحوال القريبة وبعض الخصائص في الأحوال البعيدة. ويعتبر تنظيم النسل معياراً صحياً في المقام الأول، فهو إجراء يدخل في اعتباره صحة الأم ويسعى إلى توفير الولادة المأمونة والنمو الصحي للأطفال الأسوياء من ناحيتين[1]:

حيث يتعلم الأبوان طريقة تنظيم إنجاب الأطفال على فترات متباعدة بحيث يولدون عندما تكون الأم في حالة صحية ونفسية ملائمة لاستقبال الطفل الجديد، وعندما تصبح ظروف الأسرة مناسبة بتوفير الرعاية المناسبة للأطفال وإشباع حاجاتهم المختلفة.

والثانية مساعدة الزوجين في علاج العقم حتى يتمتعا بعواطف الأبوة ويكتمل بناء الأسرة، ولقد نظمت الطبيعة فترات متباعدة لإنجاب النسل عن طريق الهرمونات والبرولكتين الذي لا يؤثر فقط في تدفق لبن الأم بل يعمل كذلك على منع عملية تكوين البويضة التي تتحول بعد عملية الإخصاب إلى جنين[2].

وهناك دليل آخر يؤيد ميل الطبيعة إلى إنجاب النسل على فترات متباعدة، فتشير البحوث الطبية إلى ارتفاع معدل وفيات الأطفال الذين يولدون خلال فترات متقاربة للحمل، وتشير إحدى الدراسات المركزة أن نسبة الوفيات تصل إلى ٥ و ١٪ عندما تكون الفترة بين الحمل سنة واحدة وتنخفض النسبة إلى ١٪ عندما تكون المدة بين الحمل وآخر لا تقل عن سنتين، ويقول الباحث: إن تكرار الولادة يؤثر على صحة الأم وبالتالي تضعف قدرتها على حماية الأطفال الذين يولدون في فترات متقاربة دون أن تتوفر لها فرصة ملائمة لاسترداد قوتها.

---

(١) محمد حسن: الأسرة ومشكلاتها (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١ م) ص ٧٢.

(٢) فرانسيس ل. ايلغ، لويز ب. ايمز: سلوك الطفل. ترجمة فاخر عاقل، ط ٢ (دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧ م) ص ١١٤.

ومن المسلّم به أن المرض يؤثر تأثيراً بالغاً في حياة الزوجين سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو الجو النفسي المحيط بها[1].

ثالثا: حالة الأم النفسية أثناء الحمل والولادة

لاشك أن الحمل والولادة من الأمور التي تهم الزوجين والمجتمع أيضاً والحالة النفسية للأم لها تأثير كبير على نمو الجنين، وهنا للأب دور كبير في علاقته بزوجته لأن ذلك ينعكس على الجنين نفسه، فمن الضروري توافر الاستعداد الحيوي اللازم لعملية الإخصاب وتوافر الاستعداد النفسي لتحمل مسؤولية الأبوة والرغبة في الطفل والاستعداد لمواجهة أي مشكلات أو طوارىء أثناء الحمل.

والاستعداد النفسي يتضمن النضج الانفعالي والاجتماعي والاستعداد لتحمل مسؤولية الأبوة ويقول الأستاذ العالم (هيلين دويتش) إن هناك فرقاً بين الأب البيولوجي والأب النفسي[2]. ويقصد بالأب البيولوجي الأب والأم ـ اللذين انجبا الطفل أما الأب النفسي فيقصد به من يقوم بعملية الأبوة والأمومة والرعاية النفسية والتربوية بوجه عام، ولهذه الأبوة دور اجتماعي هام يقوم به الراشدون، وينطبق هذا على الأب البديل والأم البديلة والمدرس والمدرسة والطبيب وكل من له دور في تربية الطفل ورعاية نموه النفسي، ويحب الطفل ويقدره ويحترمه كشخص وأن يحب صحبته وتربيته ويفهم سلوكه ويمده بالرعاية والدعم اللازم وأن يستجيب لحاجات الطفل قبل حاجاته الخاصة وأن يستقبله ويسعد به، ويجب في سبيل تحقيق ذلك أن يتحلى بالصبر.

والتخطيط لعملية الحمل وتنظيم النسل أمر يحتاج إلى عناية من جانب الرجل والمرأة كما يحتاج إلى استشارة الاخصائيين، لأن هناك عوامل كثيرة تدخل في الحساب، مثل سن الأب والأم وصحتهما العامة، والوضع

---

(١) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس (مطبعة الأهرام التجارية، القاهرة، د.ت.) ص ٢٤١.
(٢) عدنان السبيعي: سيكلوجية الأمومة والطفولة، مرجع سابق، ص ٤٥.

الاقتصادي، وكذلك ثقافة الوالدين.. إلخ. هذه الأمور يتقرر في ضوئها متى يبدأ تكوين الأسرة وعدد الأطفال والفترة بين كل طفل وآخر وحتى أنسب الشهور لعملية الإنجاب[1].

وبالحمل والولادة تدخل الأم في دور اجتماعي جديد هو دور الأمومة لما يصاحب ذلك من ضرورة تعلم معايير اجتماعية جديدة، وهذا الأمر يحتاج إلى امرأة ترضى عن دورها كأنثى، حيث تكون عملية الحمل والولادة ترضي عندها شيئاً ما وتشبع لديها حاجاتها.

أما إذا لجأت الأم إلى وسائل منع الحمل فإنها قد تصاب باضطرابات نفسية إذا حدث حمل رغم إرادتها، وهكذا ينعكس على الجنين والوليد حيث يصل هذا الوليد إلى العالم الخارجي وهو غير مرغوب فيه.

فمن الضروري التوافق في عملية الحمل والولادة سواء كان ذلك مخططاً أم غير متوقع، وهذا التوافق يشمل إعداد المنزل، وعمل حساب من سيرعى الوليد ـ إذا كانت الأم تعمل ـ حيث إن الولادة تستلزم إحداث تغييرات في حياة الأسرة وعاداتها، فحرية الحركة بالنسبة للوالدين سوف تحدد بعض الشيء، ونومهما سوف يتخلله الكثير من الاستيقاظ لتلبية نداء الطفل[2] وهكذا.

وجدير بالأم أن تعنى بجنينها وتبتعد به عن جميع الاضطرابات النفسية، ويجب على الوالدين ألا يلقيا العبء كله في تفسير انواع الشذوذ على عامل الوراثة، حيث اثبتت التجارب أن كثيراً من الأمراض كان يعتقد أنها وراثية ثم اتضح أنها كانت نتيجة لعوامل بيئية، ويجب على الأم أن تتخذ جميع الوسائل الوقائية جسمياً ونفسياً، لأن ذلك يعين الطفل على أن يبدأ حياته بداية جديدة.

كما يجب أن تحدد العلاقات الجنسية أثناء الحمل إلى أقل ما يمكن

---

(١) عبد اللطيف فؤاد: أصول علم النفس جـ ١ (وكالة المطبوعات الكويت، ١٩٧١)، ص ٨١.

(٢) عبد الجليل محمد المحجوب: هكذا نربي. الشركة التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٧ م) ص ١٤٥.

خاصة في الثلث الأول من أشهر الحمل لكي لا يكون ذلك سبباً في احتمال الإجهاض وفي الثلث الأخير منه كي لا يكون سبباً في انتقال العدوى. وعلى المجتمع أن يهتم بالأم الحامل ويرعاها طبياً ونفسياً واجتماعياً بحيث يحاط الجنين بأحسن ظروف ممكنة لإكمال عجلة النمو.

رابعاً: الزواج المبكر وسلبياته

تسعى كثير من الأسر في مجتمعاتنا العربية، وخاصة الريفية إلى تزويج بناتها في سن مبكرة، بل إنها قد تلجأ إلى التزوير في شهادات الميلاد، وتقديم الرشوة لعقد القران قبل السن القانونية. والزواج المبكر له مخاطره ومحاذيره البيولوجية والاجتماعية والنفسية، والتي يجب مراعاتها بدقة عند الإقدام على الزواج.

١ - محاذير الزواج المبكر بيولوجياً:

وهذه المحاذير على أنواع، فمن المعلوم أن النضج والنمو لا يكتملان في جسد المرأة قبل بلوغها سن الثانية عشرة كنمو العظام ونمو الأعضاء.. إلخ، وزواجها قبل هذه السن يشكل خطراً على وظائفها البيولوجية، أما الخطر الأكبر فهو الذي يهدد الأطفال الذين يتم إنجابهم قبل بلوغها هذه السن، لأنها بيولوجياً غير معدة للإنجاب وهذا الخطر يتجسد في إنجابها أطفالاً متخلفين جسدياً وعقلياً، أطفالاً قاصري النمو وغير طبيعيين وهذا الخطر في إنجابها أطفالاً في سن المراهقة يعادل الخطر في إنجاب المرأة أطفالاً في سن متأخرة من العمر[١].

٢ - محاذير الزواج المبكر اجتماعياً:

إن الإقدام على الزواج المبكر يعني بناء مؤسسة، ومعلوم أن بناء أي

---

(١) محمد رفعت: كيف تربين أولادك (دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٧) ص ٢١.

مؤسسة من المؤسسات الأخرى ـ وهي أقل أهمية بالطبع ـ تتطلب إعداداً ومعرفة وتقنيات ومهارة، فكيف بمؤسسة الزواج التي بني عليها الجنس البشري، أي الإنسان الذي هو أهم قيمه وأهم عنصر، ويفترض فيمن يقوم على إنشاء مؤسسة الزواج أن يحصل على معرفة وإعداد للاضطلاع بهذه المهمة فمثلاً: قضية إنجاب الأطفال أنها ليست وظيفة بيولوجية بل هي أيضاً وظيفة تتطلب معرفة وقوانين معينة، معرفة نفسية وتربوية وصحية واجتماعية وعلى العموم تتطلب معارف عدة لا بد من أن يعيها الأب والأم حتى تسهل عليها عملية تربية أطفالها، والزواج المبكر يقلل من حظوظ اطلاع الزوج والزوجة على هذه المعارف والتقنيات وبالتالي تكون النتائج وخيمة تبدأ من المشكلات التي ستنتج عن العلاقات بين أفراد الأسرة بسبب الجهل. وكيف أن أسرة من هذا النوع ستنتج أفراد غير متكيفين أو مصابين بكثير من العقد والمشاكل النفسية، ولقد ذكرت الدكتورة مريم سليم في مجلة المرأة نقلاً عن «الكفاح العربي ٥٩١ السنة ١٦»، أن إنشاء أسرة يتطلب أعداداً حتى في أبسط الأمور؛ غذاء الأسرة مثلاً: المطلوب أن تعرف المرأة كيف يجب أن تختاره متنوعاً حاوياً لكل الفيتامينات اللازمة، وأن تعرف كيفية حفظه سليماً صحياً. وإنشاء أسرة يتطلب إعداداً في نواح عديدة فكيف يتسنى لمراهقة في السادسة عشرة أن تلم بالمعارف المطلوبة، والنتيجة حتماً غياب مثل هذه الأمور عن الأسرة وبالتالي تصبح وظيفة الأسرة بيولوجية فقط[1].

٣ ـ محاذير الزواج المبكر نفسياً:

تقول الدكتورة مريم سليم في نفس العدد: تتعرض الفتاة التي تتزوج مبكراً للإرهاق النفسي والجسدي والعقلي لأنها عندما تصبح في عمر الخامسة والثلاثين تكون قد انجبت عدداً كبيراً من الأطفال، إذاً هي تستهلك كل حيويتها وطاقتها مبكراً وكثيراً ما تحدث مثل هذه الحالات في مجتمعنا وينتج عنها مشاكل اجتماعية كثيرة منها أن الزوج لا يعود يرى في هذه الزوجة المرأة الملائمة له،

---

(١) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس. مرجع سابق، ص ١٢٤.

وهو الذي تطور اجتماعياً ومهنياً وما زال في أوج حيويته، والمرأة هنا خاسرة.

وخلاصة القول أن هناك آراء كثيرة حول الزواج المبكر في فترة المراهقة فبعضها يقول إن العمر الزمني ليس دليلاً على النضج وبعضها يرى إن النضج يتم في التاسعة عشرة إلا أن نمو الحوض لدى بعض الفتيات يستمر حتى الخامسة والعشرين، وبعضها يقول إن الولادة تكون أيسر بين سن السادسة عشرة والثانية عشرة، وبعضها يحذر من الحمل قبل السادسة عشرة لأنه قد يصاحبه مضاعفات صحية وأن الفتاة في سن ومرحلة لا تسمح لها بعد بالقيام بدور الأمومة الكاملة كما أسلفنا القول في ذلك. وفي الغالب تميل الأم إلى الاستجابة لخبرة الحمل بطريقتها الخاصة التي تتفق إلى حد كبير مع سمات شخصيتها قبل هذه الخبرة، وتختلف النساء في الاستجابة الجسمية لخبرة الحمل مثلما يختلفن في الاستجابة النفسية لهذه الخبرة، فكثير من السيدات يعانين في الشهور الأولى من التقيوء والإغماء والتوتر، وهذا يرجع إلى قلق المرأة وخوفها من الحمل، وتشير بعض الدراسات إلى أن الأم التي ترغب في الحمل تقل مخاوفها منه تكون موفقة أكثر من زميلتها التي لا ترغب في الحمل وتخافه(١).

والحمل من أول مرة يزيد من سعادة المرأة لأنها تطمئن إلى خصوبتها وهذا يضيف إلى سعادة الزوجين هناء وبهجة ويقوي الرباط القائم بينهما.

والحمل يعبر عن حيوية الزوج ورجولته بالإضافة إلى أن الحمل يزيد من التزاماته ويعتبر بداية نمط جديد من الحياة يحتاج إلى تعلم جديد وتوافق. وتحتاج الأم الحامل إلى قدر كبير من المساندة الانفعالية حيث تحتاج إلى ما يطمئنها ما عساه أن يكون لديها من أفكار خاطئة أو خرافية عن خبرة الحمل والولادة وما عساه أن يفقدها الجنين أو يؤدي إلى تشويهه.

كما تحتاج الأم إلى قدر كبير من المعلومات الخاصة بعملية الولادة الطبيعية وهذا بالطبع يأتي عن طريق القراءة أو ملاحظة صديقاتها أو قريباتها، وإذا صاحب الحمل ظروف اقتصادية قاسية وأعباء ثقيلة قد يثقل ذلك كاهل الأم

---

(١) أحمد عزت راجح، المرجع السابق مباشرة، ص ٢٨.

ويؤثر فيها تأثيراً نفسياً، وفي بعض حالات الزواج غير الموفق يزيد الحمل الأمور تعقيداً والحياة تعاسة، فلدى بعض الأمهات تعتبر عملية الولادة خبرة عادية إلا أنها ليست سهلة تماماً، ولدى بعض الأمهات قد تظهر لديهن ردود فعل انفعالية قد تكون بسيطة لا تدعو إلى القلق وقد يصل إلى درجة الاكتئاب، ونحن نعلم أن الولادة العسرة أو التي تتم عن طريق الجراحة قد تترك آثاراً نفسية سيئة لدى الأم تجعلها تخشى أن تكرر الحمل مرة أخرى[1].

تعليق عام:

حرص الإسلام على قيام الأسرة على أسس متينة وسليمة، لأنها هي الدعامة الأولى التي يتشكل منها صرح المجتمع، ووضع على كاهلها أعباء تربية النشيء، وإعدادهم كي يتولوا، في المستقبل مسؤولية تطوير مجتمعهم.

واتضح ذلك في توجيهات الرسول المعلم ﷺ، حيث أكد على الأثر الكبير الذي تتركه الأسرة في الطفل، فقال عليه الصلاة والسلام: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه، ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»[2].

ودعا الرسول ﷺ إلى تحمل الأب والأم مسؤوليتهما في تربية أولادهما، فقال: «ألا كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[3].

والوسيلة المشروعة لإقامة الأسرة المسلمة هي الزواج، لذا نجد الإسلام يدعو الشباب إلى الزواج، ويطلب من المجتمع تذليل الصعاب أمامهم، عن

(١) محمد حسن: الأسرة ومشكلاتها، مرجع سابق، ص ٨١.
(٢) مسلم، جـ٨، ص ٥٢.
(٣) البخاري، جـ ٩، ص ٧٧.

طريق توفير المسكن المناسب والتقليل من المهور، وتخفيف الأعباء على الزوج والبحث عن الشاب المتدين الذي يحفظ كرامة وشرف بناتهم.

وفي هذا السياق، فقد أقامت بعض الجماعات الإسلامية بالسودان ومصر حفلات زواج جماعية تخفيفاً على الزوجين وأهلهما من المصروفات التي لا فائدة منها، وكذلك الدعوة إلى إحياء المظاهر الإسلامية الجميلة التي تركها المجتمع وانشغل بتقليد المجتمعات غير الإسلامية، في الصرف ببذخ على إقامة الحفلات التي يتخللها ارتكاب المحرمات.

كذلك حرص الإسلام على إقامة البيت المسلم على أساس من المودة والرحمة وجعله سكناً لكل من الزوجين. ولا شك أن هذا الهدف الأسمى للزواج في الإسلام، لا يتحقق في وجود المشاجرات والمشاحنات بين الطرفين، والتي قد تنتج من تدخل أطراف أخرى في النزاعات الأسرية.

وحرصاً من الإسلام على هدوء بيت المسلم وجعله سكناً فقد أمر الشباب بعدم تعرضهم لما يثير الفتنة والنظر إلى مفاتن المرأة، وجاء ذلك في سورة النور: قال الله تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ★ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو...﴾**[(١)]

ودعا المرأة إلى لبس الحجاب وإخفاء زينتها وعدم وضع الروائح المثيرة للفتنة «أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهي زانية»[(٢)].

كما نهى الإسلام عن الاختلاط، واختلاء الرجل بالمرأة، فإن ذلك دافع لإثارة الشهوات: «..لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما»[(٣)]، وفي حديث آخر عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا يخلون رجل بامرأة إلا

---

(١) سورة النور، آية: ٣٠ - ٣١.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي وأحمد (جـ ٤ ص ٤١٤) والدارمي (ونسنك، جـ ٢، ص ٣٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي (الشيباني، جـ ٣، ص ٤٤).

ومعها محرم». فقال رجل: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتبت في غزوة كذا وكذا. قال «فانطلق فحج مع امرأتك»[1].

ونصح الرسول ﷺ الرجال المتزوجين، إذا ما تعرضوا لرؤية امرأة جميلة تثير فيهم شهوتهم الجنسية، بأن يواقعوا زوجاتهم، فإن ذلك يخمد شهوتهم، ويعينهم على السيطرة عليها. . قال الرسول ﷺ «إذا أحدكم اعجبته امرأة فوقعت في قلبه فليعمد إلى امرأته فليواقعها فإن ذلك يرد ما في نفسه»[2].

والباب مليء بالنصائح والأوامر والنواهي، والتي من شأنها جميعاً، العمل على استقرار البيت المسلم وجعله أكثر استقراراً وأمناً، وجعل العلاقات الزوجية أكثر مودة ورحمة.

وإذا كان الإسلام قد شجع الشباب على الإقدام على الزواج ورفض الرهبانية، فإنه شجع الآباء والأمهات على الإنجاب وحسن التربية «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم»[3].

وهذا يذكرنا بدعوى «تحديد النسل»، و «تنظيم النسل»، والتي تتبناها أجهزة الدولة في معظم الدول النامية، والتي تتميز بارتفاع معدل المواليد. وهذا الأمر ـ تنظيم النسل على مستوى قومي ـ قد بات معروفاً للجميع، من كثرة المناقشات التي دارت حوله، ومفادها أن تنظيم النسل، موضوع يختص بكل أسرة وظروفها، والحالة الصحية للأم، وأيضاً إتمام مدة الرضاعة لكل طفل وهي عامان.

وفي مقام اختيار الزوجة المناسبة التي ترعى زوجها وأطفالها، فبالإضافة إلى ما ذكرناه من شروط وتوجيهات وضعها الإسلام، وأشار إليها وقائع البحث العلمي الحديث، فإنه يطيب لنا أن نعرض لرأي أحد الباحثين المسلمين وهو

---

(١) أخرجه الشيخان (الشيباني، جـ٢، ص١٦).

(٢) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي (ناصف، جـ٢، ص٣٣١).

(٣) أخرجه أبو داود عن معقل بن يسار، جـ٢، الحديث رقم ٢٠٥٠.

ابن الجزار القيرواني (٢٨٥ ـ ٣٦٩هـ، ٨٩٥ ـ ٩٨١م) حيث أشار في كتابه (سياسة الصبيان وتدبيرهم) إلى حرصه على مراعاة خاصتين في اختيار الزوجة وهما[1]:

الأولى: جسمية صحية، وهي استقامة البدن وخلوه من لأمراض.

والثانية: نفسية، وهي الذكاء والفطنة، حيث إن الطفل سيرث صفات أمه، يرث شكلها (جمالها) وقوة بدنها، كما يرث ذكاءها وأخلاقها.

يقول ابن الجزار: إن الذي يحتاج إليه من المرأة عند طلب الولد هما أمران: أحدهما من البدن، والآخر من النفس، وذلك أول صلاح الولد، والأساس الذي يبنى عليه تأديبه وتربيته. فالذي من البدن، اعتدال مزاج الطفل وهيئته، وأن تكون المرأة خيِّرة صحيحة البدن، وأما الذي من النفس فصحة القريحة وقوة الذهن وتهذيب الخاطر، فهو الذي يحتاج إليه من المرأة وذلك أنه ليس من سقم البدن وفساد القريحة عادة.

---

(١) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم تحقيق الحبيب النصيلة، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨، تونس، ص ٥٩ نقلاً من: علي ادريس: سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني.
ـ بحث منشور في: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: من أعلام التربية العربية الإسلامية المجلد الثاني، ١٩٨٨، ص. ص ٦٥ ـ ٨٣.

الفصل الثالث

واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة من الميلاد حت ست سنوات

ويتضمن الفصل:

التربية الجسمية.

التربية الاجتماعية.

التربية الوجدانية.

تعليق عام.

في هذا المرحلة التربوية الهامة ينتقل الطفل «من بيئة جسم أمه إلى بيئة العالم الخارجي، وهكذا يخرج إلى العالم كامل التكوين من الناحية الجسمية، بمعنى أن أجهزة جسمه كاملة النمو وعلى استعداد للعمل»[1].

«ثم تتلقاه الأسرة التي ينتمي إليها، ويعيش بين ظهرانيها مع أفرادها في سنيه الأولى، ويقع تحت تأثيرهم»[2]، «وتمثل أخطر الفترات التي تؤثر في تكوين شخصيته وتحديد ملامحها الرئيسية»[3]. ويؤكد علماء النفس والتربية على أهمية هذه الفترة، نظراً لأنها الفترة التي يتم فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي[4]. كما أن إعداد الأطفال وتربيتهم في هذه الفترة، هو إعداد لمواجهة التحديات الحضارية، التي تفرضها حتمية التطور[5]. ويضيف البعض لتلك الأهمية. يكون الجهاز العصبي للطفل مرناً في هذه السن، مما يجعله شديد التأثر بمن حوله يقلدهم في كثير من أمورهم، وتنطبع نفسه بما

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ٩٥.

(٢) فرنسيس عبد النور: التربية والمناهج، مرجع سابق، ص ٩٣.

(٣) سيد إبراهيم الجيار: التربية ومشكلات المجتمع (مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٧) ص ٣٦.

(٤) فاخر عاقل: علم النفس التربوي، ط ٣ (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢)، ص ١١٤.

(٥) حامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكلوجية النمو، ط ٣ (عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤) ص ١٣.

انطبعت عليه نفوسهم حتى يصبح (الولد سر أبيه)[1].

وليس معنى تلك الأهمية المتزايدة لهذه المرحلة في حياة الطفل، أن شخصية الطفل تتحدد بصورة لا يمكن معها إحداث أي تغيير فيما بعد، ولكن المقصود أن الملامح الرئيسية للطفل تتحدد بدرجة كبيرة خلال تلك الفترة المبكرة التي يعتبر البيت هو المجال الحيوي الرئيسي للتربية[2].

ومن هنا تتضح خطورة دور الأسرة، ممثلاً في الوالدين، وضرورة تحملهما لمسؤولية الرعاية التربوية على وجهها الصحيح، وحرصهما على توفير المناخ الملائم نفسياً ومادياً لنمو الطفل نمواً متكاملاً سوياً[3].

ووجه رسول الله ﷺ المسلمين إلى حسن رعاية أبنائهم وبخاصة الفتيات، وكان يعد من يحسن رعاية بناته بالمغفرة والفوز بالجنة.

★ عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «من كانت له أنثى فلم يئدها ولم يهنها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله الجنة»[4].

★ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءتني امرأة ومعها ابنتان تسألني فلم تجد عندي غير تمرة واحدة فأعطيتها فقسمتها بين ابنتيها ثم قامت فخرجت. فدخل النبي ﷺ، فحدثته، فقال: «من بُلِيَ من هذه البنات فأحسن إليهن كن له ستراً من النار»[5].

وحث الرسول ﷺ المسلمين على حسن تأديب الأبناء، ورغبهم فيه بما يعود عليهم من ثواب عظيم.

---

(١) معروف زريق: كيف نربي أبناءنا. ط ٢ (دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣) ص ٢١.
(٢) سيد إبراهيم الجيار: التربية ومشكلات المجتمع، مرجع سابق، ص ٣٦.
(٣) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية (الدار العربية للكتاب، ليبيا - تونس، ١٩٨٤) ص ٥٤.
(٤) أخرجه أبو داود (ناصف، جـ ٥، ص ٧).
(٥) أخرجه الشيخان والترمذي (ناصف، جـ ٥، ص ٧).

★ عن جابر بن سمرة أن النبي ﷺ قال: «لأن يؤدب الرجل ولده خير من أن يتصدق بصاع»[1].

★ وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «ما نحل والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»[2].

ويمكن تبيان رعاية الوالدين لأولادهم في الإسلام في مرحلة ما قبل المدرسة من خلال الأبعاد التربوية الأساسية الآتي:
أولاً: التربية الجسمية. ثانياً: التربية الاجتماعية. ثالثاً: التربية الوجدانية.

وفي كل بعد من الأبعاد الرئيسية السابقة نتناول عدداً من النقاط التي تندرج تحت كل بعد، وذلك من خلال الرجوع إلى مصادر التربية الإسلامية.

ولنبدأ بالبعد الرئيسي الأول وهو:

أولاً: التربية الجسمية

بداية فسوف يقوم الباحث بتحديد المقصود بالتربية الجسمية بصفة عامة، سواء في هذه المرحلة من النمو، أو في غيرها، ثم بعد ذلك نخص الحديث عن هذه المرحلة بالذات.

يقصد بالتربية الجسمية، كما تتفق عليها المصادر، وبحكم ما كانت تهدف إليه في الماضي، بأنها «تلك العملية التي يقوم الفرد (أو من يرعاه) خلالها بنشاط جسماني منظم بهدف تنمية قدرات الجسم المختلفة، وزيادة كفاءته الحركية، وما يرتبط بذلك من اكتساب مهارات حركية معينة، واتباع عادات صحية سليمة وذلك للتكيف مع متطلبات الحياة في مجتمعه»[3].

---

(١) أخرجه الترمذي (ناصف، جـ ٥، ص ٨).
(٢) أخرجه الترمذي (ناصف، جـ ٥، ص ٨).
(٣) محمود أبو سمرة: التربية الجسمية في القرآن والسنة، بحث منشور في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادىء (المنظمة، تونس، ١٩٨٧) ص ٥٣٣.

وبتخصيص الحديث عن التربية الجسمية في مرحلة ما قبل المدرسة وواجبات الآباء نحوها في ضوء الإسلام يمكن إفراد هذه النقاط:

١ ـ تقبل الطفل.

٢ ـ إختيار اسم حسن.

٣ ـ الختان.

٤ ـ الرضاعة.

٥ ـ اللعب.

٦ ـ آداب الطعام والشراب.

ويبدو أن النقطتين الأولى والثانية لا تنتميان إلى التربية الجسمية، وهذا حق، إلا أن الباحث رأى أنهما مرتبطتان بلحظة خروج المولود من رحم أمه إلى الحياة الدنيا، وأن أفضل موضع لهما في مرحلة النمو الأولى والتي تبدأ من الميلاد وحتى تمام سن الخامسة.

١ ـ تقبل الطفل:

وتكمن أهمية هذه النقطة بالرجوع لما كان يحدث في المجتمعات القديمة من سوء استقبال للطفل المولود بصفة عامة، سواء أكان ذكراً أم أنثى. فتُحدثنا كتب تاريخ التربية في العصور القديمة، أن المجتمع الاسبرطي أوجب توقيع الكشف الطبي على المولود، من قبل لجنة حكومية، لتبين مدى ملاءمته للحياة. فإن كان مشوهاً أو ضعيفاً أو غير معروف الأب، فإن مصيره الوأد. وكذلك الحال في المجتمع الأثيني والروماني خاصة في أواخر العصر الامبراطوري، حيث كان الأب يبيع أولاده من شدة الفقر، وكذلك كانوا يتركون بلا مأوى أو رعاية أبوية نظراً لانتشار ظاهرة التفكك الأسري والانحلال الخلقي[١].

---

(١) يمكن مراجعة:

(أ) فتحية حسن سليمان: التربية في المجتمعين اليوناني والروماني (دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠).

واستمر هذا الوضع مع مر العصور إلا أنه تحسن قليلاً في بعض الفترات وتأخر في البعض الأخر. وقبل مجيء الإسلام، كان العرب ينظرون نظرة تشاؤمية عند ولادة البنت، وفي حالات أخرى كان مصير هذه الطفلة البريئة الوأد، ويصور هذا الموقف أحسن تصوير القرآن الكريم، فيقول الله تعالى في سورة النحل:

﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم★ يتوارى من القوم من سوء ما بشر به. أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون﴾(١).

ويقول أيضاً:

﴿وإذا المؤودة سئلت★ بأي ذنب قتلت﴾(٢).

ولكن عندما جاء الإسلام، أوضح أن لله ملك السموات والأرض، وله أن يعطي وله أن يأخذ، وإذا أخذ لا يُسأل عن ذلك. وهو الذي يهب الذكور والإناث، ولا يملك أحد غيرِه التدخل في تحديد جنس الجنين.

فيقول الله تعالى مؤكداً على هذه الحقائق:

﴿لله ملك السموات والأرض، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور★ أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً، ويجعل من يشاء عقيماً، إنه عليم قدير﴾(٣).

ويقول أيضاً:

= (ب) بول منرو: **المرجع في تاريخ التربية**، ترجمة صالح عبد العزيز ط ٢ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨).

(جـ) عبد الله عبد الدائم: **التربية عبر التاريخ** (دار العلم للملايين بيروت، ١٩٧٣).

(١) سورة النحل، آية: ٥٨ ـ ٥٩.

(٢) سورة التكوير، آية: ٨ ـ ٩.

(٣) سورة الشورى، آية: ٤٩ ـ ٥٨.

﴿إن الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام﴾[1].

ولذلك كان على المسلم إذا رزق بمولود أن يحمد الله عليه ويشكره، ويدعو الله تعالى أن يبارك فيه ويجعله قرة عين له؛ يقول تعالى:

﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾[2].

ويقول تعالى على لسان سيدنا زكريا عليه السلام: ﴿قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة، إنك سميع الدعاء﴾[3].

وتزداد مكانة الأولاد عند آبائهم فتزداد الدنيا بهاء وبهجةً وسروراً، يقول الله تعالى:

﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾[4]....

وهكذا يأتي القرآن الكريم ليؤكد على حرص الإسلام على المساواة بين البنات والبنين لدى الآباء، وكذلك الرضا بما وهب الله، والشكر له، والدعاء بأن يجعلهم الله ذرية طيبة.

أما الأحاديث فتأتي كذلك في نفس النهج لتحفز الآباء على مزيد من الرعاية والإحسان والتقبل للبنات.

يقول رسول الله ﷺ: «من كانت له ثلاث بنات فصبر عليهن، وسقاهن وكساهن من جدته (أي ماله) كُن له حجاباً من النار»[5].

ويقول أيضاً: «من عال جاريتين حتى تبلغا، جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين - وضم أصابعه»[6].

---

(1) سورة لقمان، آية: ٣٤.
(2) سورة الفرقان، آية: ٧٤.
(3) سورة آل عمران، آية: ٣٨.
(4) سورة الكهف، آية: ٤٦.
(5) رواه الإمام أحمد.
(6) رواه مسلم، ومذكور في النووي، ص ٢٢٧، طبعة دار العلم للملايين.

٢ ـ اختيار اسم حسن:

واختيار الاسم له تأثيره النفسي على الفرد، لذا أوجب الإسلام على الآباء بحسن اختيار الأسماء. يقول رسول الله ﷺ: «إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وبأسماء آبائكم، فأحسنوا اسماءكم»[١]. وأوصى الرسول عليه السلام: -

(أ) اختيار أحسن الأسماء ، والتي منها: عبد الله وعبدالرحمن (ما عبد وما حمد).

(ب) عدم تسميته بأسماء الله الحسنى: كأحد، والصمد، والخالق، . . .

(ج) عدم تسميته ما عبد لغير الله: كعبد الكعبة، وعبد الرسول، وعبد المسيح.

(و) أن يتجنب الأسماء التي فيها تشاؤم أو تميع مثل: حزن، هيام، هيفاء، ناريمان، سوسو، لولو، فوفو، . . .

وفي هذا المقام يوجد العديد من الأحاديث التي تؤكد هذه الوصايا، وهي مذكورة في مراجع كثيرة[٢].

٣ ـ الختان:

شرع الإسلام الختان للمسلمين وجعله من الفطرة، حيث قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس: الختان، والاستحداد، وقص الشارب، وتقليم

---

(١) رواه أبو داود. مذكور في عبد الله علوان، ص ٨٢.

(٢) راجع:

(أ) عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**. جـ ١، ط ٢ (دار السلام، بيروت، ١٩٧٨) ص. ص ٨١ ـ ٩٢.

(ب) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٧٢.

الأظافر، ونتف الإبط»[1]. وفي هذه الفطرة اتباع لما فعله سيدنا إبراهيم عليه السلام، ونحن أمرنا باتباع ملة إبراهيم حيث قال تعالى:

﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾[2]..

وجاءت الأحاديث لتؤكد وجوب ختان الطفل المسلم، ومن هذه الأحاديث: عن عثيم بن كليب عن أبيه عن جده، أنه جاء إلى النبي ﷺ: فقال: قد أسلمت. قال الرسول: «ألق عنك (أي احلق) شعر الكفر واختتن»[3].

وفي حديث آخر، عن علي رضي الله عنه قال: وجدنا في قائم سيف رسول الله ﷺ في الصحيفة: «أن الأقلف (أي غير المختتن) لا يترك في الإسلام حتى يختتن»[4].

وقد عدد الفقهاء ومعهم الأطباء فوائد كثيرة لاختتان الرجل، منها ما هو شرعي، كاتباع فطرة الله، والامتثال لأوامره، وتميز المسلم عن الملل الأخرى، ومنها ما هو، صحي، كالنظافة وتعديل الشهوة، والتخلص من المفرزات الدهنية، وتجنب الإصابة ببعض الأمراض[5].

من ذلك نخلص إلى أن من واجبات الآباء تجاه أبنائهم أن يبادروا باختتانهم في اليوم السابع من الميلاد، ولهم في ذلك أجر من الله تعالى، لأن عدم فعلهم يوجب عليهم الإثم.

---

(١) مسلم، جـ١، ص١٥٣.
(٢) سورة النحل، آية: ١٢٣.
(٣) رواه أحمد وأبو داود، مذكور في عبد الله علوان، ص١٠٣.
(٤) رواه البيهقي، مذكور في عبد الله علوان، ص١٠٣.
(٥) للنظر في مشروعية الختان وأحكامه يمكن الرجوع إلى:
(أ) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، جـ١، مرجع سابق.
(ب) ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر) **تحفة المودود بأحكام المولود** (المكتبة التجارية، القاهرة، ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧).
(جـ) عبد الفتاح أحمد فؤاد: في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام (منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣).

٤ ـ الرضاعة:

يتحدث علماء نفس الطفولة المعاصرين عن الرضاعة الطبيعية وأهميتها سواء للطفل أو الأم.

فيؤكد بعضهم على أهمية دور الأم في إرضاع طفلها رضاعة طبيعية، وأن الرضاعة من الثدي خير وسيلة لتغذية الطفل من جميع الأوجه، فمن الناحية الصحية، نجد أن الطبيعة (قدرة الله وحكمته) قد هيأت كل الظروف الملائمة لتغذية الطفل. ويبدو ذلك واضحاً في ارتفاع نسبة الإصابات بالأمراض بين الأطفال ووفياتهم في الأطفال الذين يتغذون برضاعة صناعية[١].

أما من الناحية النفسية (السيكلوجية) فالطفل في أمس الحاجة إلى الأمومة الوثيقة الاتصال به، أي إنه في حاجة إلى الحب والدفء العاطفي والاتصال اللمسي بدرجة لا تقل عن التغذية الجسمية. إن الرضاعة وهز الطفل ومداعبته وملامسته كلها حاجات نفسية وضرورية لإشباع أعمق الحاجات النفسية عنده[٢].

وقد تلجأ الأمهات إلى التغذية الصناعية لاعتقادهن بأن الرضاعة الطبيعية تفسد قوامهن، مع أن الحقيقة عكس ذلك تماماً. فيرى العلماء أن إرضاع الطفل من الثدي يعمل على انقباض جدران رحم الأم بعد ما يكون قد اتسع اتساعاً كبيراً خلال فترة الحمل، وهذا يعمل بالطبع على سرعة استعادة وضع الرحم إلى طبيعته الأولى مرة أخرى، أي إنه يحفظ قوام الأم الطبيعي[٣].

أما بالنسبة لموضوع الفطام، فإن علماء النفس يقررون «إن أول موقف

---

(١) بنجامين سيرك: **دستور الأم**. ترجمة كمال سعيد، جـ ١ (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥) ص ٦٦.

(٢) ملاك جرجس: **مشاكل الأطفال النفسية**، جـ ٢ (كتاب اليوم الطبي، يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم، العدد (٨٧)، ١٥ يونيه ١٩٨٩) ص ١٢٠.

(٣) روبرت شيدر: **الطفل في السنوات الخمس الأولى**. ترجمة محمد مصطفى الشعبيني وآخرون (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦) ص ٨٠.

صدمي إحباطي يتعرض له الطفل في حياته هو موقف الفطام»[1]. فهو قد تعود أن يحصل على غذائه من أمه، بكل ما يعنيه ذلك من ارتباطه بها سيكولوجياً، ثم فجأة، يجد أن هذا الوضع قد تغير، وعليه أن يقبل وضعاً جديداً ينطوي على ابتعاد نسبي عن الأم[2].

وينصح هؤلاء العلماء بأن يتم الفطام تدريجياً، بمعنى أن الطفل يتدرج في الانتقال بين الاعتماد التام على لبن ثدي الأم إلى الطعام الخارجي، وهذا التدرج لا يفيد فقط من الناحية الجسمية بل إنه هام جداً للصحة النفسية للطفل، وذلك لأن الفطام المفاجىء يمثل عملية حرمان قاسية، لا زال الرضيع أصغر من أن يتحملها، كما أن الفطام المفاجىء قد يُكَوِّن عند الطفل بعض الميول العدوانية إزاء العالم الخارجي الذي يعتبر مسؤولاً في نظره عن حرمانه من صدر أمه[3].

هذا ما قاله علماء النفس المعاصرين، أما ما جاء في مصادر التربية الإسلامية فإن الأمر قد يختلف بصورة كبيرة، ونعرض أولاً لما جاء بالمصدر الأول للتربية الإسلامية وهو القرآن الكريم.

يقول الله تعالى:

﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين، لمن أراد أن يتم الرضاعة، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف، لا تكلف نفس إلا وسعها، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك، فإن أرادا فصالاً عن تراضٍ منهما وتشاور فلا جناح عليهما، وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف. واتقوا الله

(١) محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: **الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة**. سلسلة تحت إشراف عزيز حنا داود (منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣) ص ٧١.

(٢) نفس المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٣) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص ١٢٩ - ١٣٠.
وراجع أيضاً:
ملاك جرجس: مشاكل الأطفال النفسية، مرجع سابق، ص ١٢١.

واعلموا أن الله بما تعملون بصير﴾[1].

والخطاب في هذه الآية موجه إلى (الوالدات) دون غيرهن في رضاعة أبنائهن، لما في ذلك من آثار صحية ونفسية، تساعد على نمو الطفل نمواً سليماً. وهذا لا يعني أن الآية الكريمة، تحدد هذا النوع من التعامل دون مراعاة لظروف أخرى غير طبيعية قد تطرأ على الموقف. فالله أعلم بظروف البشر ونفسياتهم من البشر أنفسهم، لذلك نجد الشرع جعل الموقف أكثر مرونة، حيث يمكن أن تصاب الأم بمرض يمنعها من الرضاعة أو تتأثر العلاقة الزوجية بما يجعل أمر الرضاعة غير قائم. وجاءت الآية في سورة الطلاق توضح ذلك، يقول الله تعالى:

﴿. . . .وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾[2].

وبالنسبة لـ (حولين كاملين) فإن الإمام الطبري يشرح ذلك بأن المقصود بها (سنتين) كما جاء عن مجاهد[3]. والحقت كلمة (كاملين) بـ (حولين) لتفيد تمام السنتين.

وأما ما جاء بالآية: **﴿. . .وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾**[4]. فقد جاء في تفسير الطبري عن ابن عباس: «في التي تضع لستة أشهر أنها ترضع حولين كاملين، وإذا وضعت لسبعة أشهر أرضعت ثلاثة وعشرين لتمام ثلاثين شهراً، وإذا وضعت لتسعة أشهر ارضعت واحداً وعشرين شهراً»[5].

وفي حالة اختلاف الوالدين في تحديد مدة الرضاعة، فإن الأمر يكون بالتشاور والتراضي بينهما، مصداقاً لقوله تعالى: **﴿فإن أرادا فصالاً عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما﴾**[6].

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.
(٢) سورة الطلاق، آية: ٦.
(٣) الطبري: جامع البيان، ج (٥)، ص ٣١.
(٤) سورة الأحقاف، آية: ١٥.
(٥) الطبري: جامع البيان، جـ (٥) ص ٣٢.
(٦) سورة البقرة، آية: ٢٣٣.

ويضيف تفسير ابن كثير في هذا الأمر، أن الله تعالى أشار إلى الوالدات بكمال الرضاعة وهي سنتان، ولا اعتبار بعد ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لا رضاع بعد فصال. . . .»[1].

وقد أجمع المفسرون لهذه الآيات على أن أقصى مدة للرضاعة هي حولين كاملين، لأن ذلك يسبب خطورة على الطفل، وعلى الجنين إن كان هناك حمل. فقد اتضح أن استمرار الرضاعة أثناء الحمل يؤثر على صحة الجنين، كما يعيق من حركة نموه الطبيعي. كما أن استمرار الرضاعة بعد العامين يؤثر على شخصية الطفل الرضيع ويجعل منه إنساناً متواكلاً مرتبطاً بأمه ضعيفاً في مواجهة أي شيء.

وبعد عرض ما جاء بالمصدرين الأول والثاني من مصادر التربية الإسلامية نأتي لأعلام المفكرين الإسلاميين وما ذكروه بشكل خاص بالرضاعة والمرضعة.

وأشهر من تحدثوا في هذا المقام هو الشيخ الرئيس ابن سينا (أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا، المولود في قرية قرب بخارى عام ٣٧٠هـ (٩٨٠م) والمتوفى عام ٤٢٨هـ (١٠٣٦م))[2]. في كتابه المشهور (القانون في الطب)[3]. ولكن عثر الباحث على مفكر وعالم إسلامي آخر ولد قبل ابن سينا بخمس وثمانين سنة على الأقل (ولد عام ٢٨٥هـ ٨٩٥م) بمدينة القيروان واسمه أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن خالد المعروف بابن الجزار القيرواني، والذي برع في الطب وكتب مؤلفه (سياسة الصبيان وتدبيرهم)[4]. وهو أول مؤلف من نوعه، حسب رواية ابن الجزار نفسه في مقدمة كتابه.

---

(١) ابن كثير، جـ(١)، ص ٢٨٣.

(٢) محمد عثمان نجاتي: ابن سينا. . بحث في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بالاشتراك مع مكتب التربية العربي لدول الخليج) بعنوان: من أعلام التربية العربية الإسلامية. المجلد الثاني. (مكتب التربية العربي: الرياض، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م) ص ٢٤٧.

(٣) ابن سينا: **القانون في الطب**، جـ١ (طبعة بولاق جديدة - نشر مؤسسة الحلبي، القاهرة، ١٢٩٤ هـ).

(٤) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، مرجع سابق.

وبقراءة متصفحة للكتابين يتبين أن أفكارهما متقاربة، ولغتاهما كذلك، غير أن ابن الجزار تطرق إلى موضوعات تختص بالأطفال لم يذكرها ابن سينا، مثل أمراض الأطفال، ووصف الأدوية المقدمة للعلاج بكل دقة. لذا فإن الباحث يعتقد أن ابن سينا اطلع على مؤلفات ابن الجزار واستفاد منها الكثير في مجال الأطفال والعناية بهم. والباحث سوف يستعين بمؤلفيهما في وصف وشرح ما جاء متعلقاً بالصبي وإرضاعه وشروط المرضعة، وأخيراً فطامه.

يقول الطبيب ابن سينا في شأن اللحظات الأولى لميلاد الطفل: «يجب أن يبدأ أول شيء بقطع سرته فوق أربع أصابع وتربط بصوف نقي فتل فتلاً كي لا يؤلم»[١]. ثم ينتقل بعد ذلك إلى غسله: «نغسله بماء فاتر وننقي منخريه دائماً بأصابع مقلمة الأظافر، ونقطر في عينيه شيئاً من الزيت، ويدغدغ دبره بالخنصر لينفتح، ويتوقى أن يصيبه برد»[٢]، ثم «تبدأ القابلة وتمس أعضاءه بالرفق فتعرض ما يستعرض، وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضو على أحسن شكله، كل ذلك بغمز لطيف بأطرف الأصابع، ويتوالى ذلك معاودات متوالية»[٣]...

وبالنسبة لإحمامه ونظافته: يقول ابن الجزار «وتؤمر الحاضنة أن تحمّه بالماء الحار العذب، ويكون الماء معتدلاً، لا حاراً جداً، ويفعل ذلك في بيت معتدل الدف، مظلم قليلاً، ويحم أول الغداةً ونصف النهار. وعند العشاء، وتصب عليه الماء باليد اليمنى فتطليه به أولاً دلكاً قليلاً، ثم تصب قليلاً على ذلك الممزوج ما كان رويداً رويداً لئلا يبرد، حتى يحم بدنه كله... وتُمَيل كل عضو من أعضائه إلى ما ينبغي»[٤].. وبعد تحميمه «تضعه على بطنه، ثم على ظهره، وهي في ذلك تدهنه بإحدى يديها من أسفل، وبالأخرى من فوق، وتمسح عينيه بإبهامها مسحاً رقيقاً وتعد له إلى كل ناحية لتصير عروقه واسعة،

---

(١) ابن سينا: القانون في الطب، مرجع سابق، جـ١، ص ١٥٠.
(٢) المرجع السابق، جـ١، ص ١٥٠.
(٣) المرجع السابق، جـ١، ص. ص ١٥٠ - ١٥١.
(٤) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، ص. ص ٦٣ - ٦٤.

وتعتاد مفاصله الالتواء، ثم تشده بالحذق بعد أن تنشفه»[1]. . . .

وبالنسبة لنوم الطفل: يقول ابن سينا ينام الطفل «في بيت معتدل الهواء ليس ببارد ولا حار، ويجب أن يكون البيت إلى الظل والظلمة كما هو، لا يسطع فيه شعاع غالب»[2] وبالنسبة لمرقده: يقول ابن الجزار يجب أن يكون «مستوياً معتدلاً، فلا يكون ليناً جداً لئلا ينقلب أو يلتوي عنقه، ويجعل رأسه إذا نُوِّم أعلى من جميع بدنه»[3].

وبالنسبة لإرضاعه: فيرى ابن الجزار وكذلك ابن سينا ضرورة أن تكون المرضعة الأولى هي الأم، إن لم تكن لها علة، فلبن الأم «أشبه الأغذية بجوهر ما سلف من غذائه وهو في الرحم أعني طمث أمه فإنه بعينه هو المستحيل لبناً، وهو أقبل لذلك وآلف له»[4]، كما أن لبنها يؤثر فيه من حيث الصحة والسلامة، «إنها ترضعه لبنها وعاداتها وأخلاقها وصحتها وسقمها وعاطفتها»[5]. . . ولذلك حرص المربون أن تكون الأم في حالة نفسية طيبة حين قيامها بعملية الإرضاع واستحبوا أن تكون أول من ترضعه أول الأمر «غير أمه حتى يعتدل مزاج أمه»[6]. وإذا لم تتمكن الأم من إرضاع وليدها ومنعها من ذلك «مانع من ضعف أو فساد لبنها أو ميله إلى الرقة، فينبغي أن يختار له مرضعة على الشرائط التي نصفها في سنها وبعضها في سحنتها وبعضها في أخلاقها وبعضها في هيئة ثديها وبعضها في كيفية لبنها وبعضها في مقدار مدة ما بينها وبين وضعها، وبعضها من جنس مولودها»[7].

ويوضح كل من ابن سينا وابن الجزار صفات المرضعة بتفصيلات دقيقة لا

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(٢) ابن سينا: القانون في الطب، جـ ١، مرجع سابق، ص ١٥١.
(٣) ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم، مرجع سابق، ص ٦٢.
(٤) ابن سينا: مرجع سابق، جـ ١، ص ١٥١.
(٥) ابن الجزار: مرجع سابق، ص ٧١.
(٦) ابن سينا: مرجع سابق، جـ ١، ص ١٥١.
(٧) المرجع السابق، نفس الصفحة.

تقل عما نقـرؤه أو نسمعه اليوم في أواخر القرن العشرين من أساتذة طب الأطفال، بل إنهم يزيدون عليهم في بعض الجوانب.

شروط المرضعة:

١ ـ **السن**: «أن تكون شابة غير مسنة، وذلك أن الشابة تكون ابنة خمس وعشرين والكبيرة ابنة خمس وثلاثين سنة، إن كانت مسنة جداً لم يكن لبنها غزيراً ولا جيداً صحيحاً، وإن كانت وسطاً كانت نافعة للصبي منفعة عظيمة»[١].

٢ ـ **الخَلْق (السحنة والهيئة)**: «ينبغي أن تكون حسنة القامة، جيـدة البضعة، جيدة الذراعين والساقين، حسنة الوجه»[٢]، «حسنة اللون قوية العنق والصدر واسعته عضلانية صلبة اللحم متوسطة في السمن والهزال لحمانية لا شحمانية»[٣]، «وأن يكون صدرها واسعاً وثدياها وسطاً لا كبيرتين، ولا صغيرتين ملستين غير رخوتين، وتكون حلمتاهما لينتين واسعتي المري، لا صغيرة ولا كبيرة، وينبغي أن تكون قد ولدت ولدين أو ثلاثة من غير وجع ولا إسقاط، وتكون قد ولدت مع أم الصبي الذي ترضعه»[٤]، وطوال مدة الإرضاع «لا تجامع البتة»[٥].

٣ ـ **الخُلُق**: يجب أن تكـون «حسنة الأخـلاق ومتدينـة لا تأكـل إلا الحلال[٦]. «بطيئة عن الانفعالات النفسانية الردية، من الغضب والغم والجبن

(١) ابن الجزار: مرجع سابق، ص. ص ٧٠ ـ ٧٢.
(٢) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(٣) ابن سينا: مرجع سابق، جـ١، ص١٥٢.
(٤) ابن الجزار: مرجع سابق، نفس الصفحات.
(٥) ابن سينا: مرجع سابق، ص ١٥٣.
(٦) الغزالي (محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الغزالي المعروف بأبي حامد، ولد سنة ٤٥٠ هـ ـ ١٠٥٩ م): إحياء علوم الدين، جـ٣ (طبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧) ص ٦٣.
يوجد تعريف مختصر ووافي عن حياة الغزالي وعصره في البحث التالي: فائز محمد علي الحاج: **أبو حامد الغزالي** منشور في كتاب. من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الثالث، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٨.

وغير ذلك»[1]، «ويفضل أن تكون قريبة لأم الصبي»[2].

٤ ـ **كيفية الإرضاع**: «يجب في كل إرضاعة وخصوصاً في الإرضاع الأول أن يحلب شيء من اللبن ويسيل وأن يعان بالغمز لئلا تضطره شدة المص إلى إيلام آلات الحلق والمريء فيجف به، وإن ألعق قبل الإرضاع كل مرة ملعقة من عسل فهو نافع وإن مزج بقليل شراب كان صواباً، ولا ينبغي أن يرضع اللبن الكثير دفعة واحدة، بل الأصوب أن يرضع قليلاً قليلاً منه»[3]. . .

٥ ـ **أعمال المرضعة**: «تستعمل من التعب مقداراً كافياً. وترتقي الدرج وتنسج وتعجن وتخبز وتلزم أعمال الأيدي. وتلعب بالكرة وتروض يديها في جميع ذلك رياضة معتدلة»[4].

٦ ـ **الأطعمة والأشربة**: «ينبغي أن تغذى المرضعة بالأطعمة والأشربة الموافقة للبن، ويلزم أيضاً من قيامها على نفسها، ألا تجوع ولا تمتلىء ولا تستطلق بطنها ولا تيبس»[5]، «وتستعمل من الأطعمة ما كان مزاجه حسناً مثل خبز القمح، . . والسمك الذي يخلط بغليظ، ومن اللحم الطري، ومن أطراف الدجاج والطير، . . وتجعل شربها الماء بقدر كثير لئلا يتجبن اللبن، . . وتتجنب من الأغذية كل مالح وحريف (ما يلذع اللسان بحدة طعمه) والعفص (المرارة التي يعسر معها الابتلاع)، ومر وحامض، وكريه الرائحة، وتأكل من البقل وخاصة الخس، فإنه عمود الخلط، وتأكل اللوز فإنه يدر اللبن»[6].

ويستمر ابن الجزار في شرح صفة لبن المرضعة للصبي، ويصف اللبن السليم وتركيبه الطبيعي (لذيذ الطعم، أبيض اللون ـ طيب الرائحة، مستوي القوام، متوسط بين الخثورة والرقة) ويصف في باب مستقل قلة اللبن وأسبابه،

---

(١) ابن سينا: مرجع سابق، ص ١٥٢.
(٢) ابن الجزار: مرجع سابق، نفس الصفحات.
(٣) ابن سينا: مرجع سابق، ص ١٥٣.
(٤) ابن الجزار: مرجع سابق، ص ٧٥.
(٥) المرجع السابق، ص. ص ٧٥ ـ ٧٦.
(٦) نفس المرجع السابق، نفس الصفحات.

ويقدم كيفية استعمال اللعوقات عند الحاجة، ويقدم في آخر الباب السادس علاج اللبن ورقته.

ويتحدث ابن سينا عن فطام الطفل، ويرى أن مدة الرضاع هي سنتان، وينصح بالتدرج في الفطام لا دفعة واحدة، «فإن عرض له كظة وانتفاخ بطن وبياض بول، منعته كل شيء»[١]، «فإذا تم فطامه نقل إلى ما هو من جنس الأحساء واللحوم الخفيفة»[٢].

٥ ـ اللعب:

يرى علماء النفس الطفل إن أهم ما يميز نمو الطفل في هذه المرحلة هو قدرته على النشاط العضلي، فهو يجيد الآن الحركات التي تحتاح إلى قوة كالجري والقفز والتسلق، وهو يجيدها إجادة تامة. أما الحركات العضلية الدقيقة كالأشغال اليدوية البسيطة والأعمال التي تحتاج إلى مهارة ودقة، فإنه يهتم بها، بل وقد يمارسها، ولكنها لا تعطيه الإشباع الكافي مثل الحركات التي تحتاج إلى قوة، لذلك يجب على الآباء والمربين أن يتيحوا الفرصة الكافية للطفل لممارسة ألوان من النشاط الحركي في الهواء الطلق[٣].

وعندما يمارس الأطفال اللعب فإنهم ينغمسون فيه بحماس ونشاط إلى حد الإنهاك، ولذا فهم في حاجة إلى فترات راحة[٤].

وفي محاولة لتفسير ظاهرة اللعب، وضع علماء النفس بعض النظريات، ومنها نظرية الإعداد لـ (جروس Gross)، ونظرية التخفف من القلق لمدرسة التحليل النفسي لرائدها فرويد[٥]. والنظرية الأولى تفترض أن اللعب هو أسلوب أو طريقة لإعداد الصغار للقيام بالأعمال الجدية التي سيقومون بها وهم كبار، ومن ثم فاللعب يعتبر بمثابة تدريب وتنمية لوظائفهم الجسمية والعقلية

---

(١)و(٢) ابن سينا: مرجع سابق، ص١٥٣.
(٣) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص١١٧ ـ ١١٨.
(٤) جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٧) ص. ص١٠٤ ـ ١٠٥.
(٥) أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، مرجع سابق، ص. ص١٠٢ ـ ١٠٤.

والاجتماعية المختلفة، ومن الألعاب الهامة في تنمية الجوانب السابقة، ألعاب الصيد والجري والتسلق، وكذلك الألعاب الخيالية (كأن يتخذ من العصا قطاراً أو حماراً، أو كأن تجعل الطفلة من وسادتها ابنة لها)[1].

أما النظرية الثانية فترى أن اللعب يقوم بوظيفة نفسية هامة في حياة الطفل هي معاونته على التخفف مما يعانيه من قلق، الذي هو انفعال أليم قوامه الخوف، ويحاول الإنسان التخلص منه والتحرر من وطأته، واللعب إحدى هذه الطرق. ومن بين اللعب الذي يعبر عما يعاني منه الطفل من قلق، اللعب بالدمى، فتراه يضرب دميته أو يضع القطرة في عينها أو يأمرها بالتأدب في الكلام أو يلقيها من النافذة. وكذلك الرسوم الحرة، فقد يرسم الطفل رجلاً غليظاً وفي يده عصا ويقول هذا «زوج أمي»، وعن طريق اللعب أيضاً يتغلب الطفل على مخاوفه ويتخفف منها، فالطفل الذي يخاف العفاريت أو أطباء الأسنان يكثر من الألعاب التي يمثل فيها دور العفريت أو طبيب الأسنان[2].

هذا ما قاله علماء نفس الطفل المعاصرين، وننتقل إلى مصادر التربية الإسلامية، ونبحث فيما تقول خلال القرون الهجرية الأربعة الأولى، لنتعرف على قيمة ما أنتجه العقل المسلم.

فيذكر لنا القرآن الكريم واقعة سيدنا يعقوب عليه السلام مع أولاده، ودعوتهم لأبيهم بإرسال يوسف عليه السلام معهم لكي يمارس نشاطه ولعبه المحبب إليه: يقول الله تعالى على لسان أولاد يعقوب:

﴿قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون★ أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون﴾[3].

«فقد أقر الإسلام اللعب، ولمن؟ لنبي من الأنبياء، وبموافقة أبيه وهو نبي من الأنبياء كذلك»[4]، يقول الإمام الطبري في تفسيره: «قال أبو جعفر إنما

(١) أحمد عزت راجح: المرجع السابق، ص. ص ١٠٣ ـ ١٠٤.
(٢) أحمد عزت راجح: المرجع السابق، ص. ص ١٠٤ ـ ١٠٧.
(٣) سورة يوسف، آية: ١١ ـ ١٢.
(٤) محمود أبو سمرة: التربية الجسمية في القرآن والسنة، مرجع سابق، ص ٥٥٥.

سألوا أباهم إرسال يوسف معهم، وخدعوه بالخير عن مسألتهم إياه ذلك، عما ليوسف في إرساله معهم من الفرج والسرور والنشاط بخروجه إلى الصحراء وفسحتها ولعبه هناك لا بالخبر عن أنفسهم»[1].

وإذا كان هذا هو حال القرآن المصدر الأول للتشريع الإسلامي، فإن السنة المطهرة جاءت مؤكدة على مبدأ اللعب للأطفال والترويح عنهم، ويمكن بيان ذلك من خلال استعراض ما جاء في كتب الحديث والسيرة النبوية.

١ ـ «عن ثابت، قال: قال أنس أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم»[2].

٢ ـ عن سهل بن سعد قال مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي ﷺ فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»[3].

عن أنس قال: «لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لعبت الحبشة لقدومه فرحاً بذلك، لعبوا بحرابهم»[4].

٤ ـ عن عبد الله بن الحارث قال: كان رسول الله ﷺ يصِفُّ عبد الله وعبيد الله كثيراً، بني العباس، ثم يقول: من سبق إلي فله كذا، وكذا، قال فيستبقون إليه، فيقعون على ظهره وصدره فيقبلهم ويلزمهم»[5].

٥ ـ ويقول رسول الله ﷺ: «الهوا والعبوا فإني أكره أن يرى في دينكم غلظة»[6].

---

(١) الطبري: جامع البيان. جـ(١٥)، ص ٥٧.
(٢) أبو داود، جـ(٤)، ص ٢٥٢.
(٣) الهيثمي، جـ(٨)، ص ١٥٩.
(٤) أبو داود: مرجع سابق، ج (٤)، ص ٢٨١.
(٥) أحمد، جـ(٣). ص ١٣٦، طبعة دار المعارف.
(٦) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ٦، ص ١٧٣ (رواه ابن عدي في الكامل عن ابن عباس).

٦ ـ ويقول رسول الله ﷺ: «عُرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره»[1] والعُرامة: لعب الصبي وحيويته وقوة حركته واجتماعه مع غيره.

٧ ـ أخرج أبو يعلى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: رأيت الحسن والحسين رضي الله عنهما على عاتقي النبي فقلت: نِعْمَ الفرس تحتكما، فقال عليه الصلاة السلام: «ونعم الفارسان هما»[2].

٨ ـ وروى الطبراني عن جابر رضي الله عنه قال: دخلت على النبي ﷺ فدعينا إلى طعام فإذا الحسين رضي الله عنه يلعب في الطريق مع صبيان، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم، ثم بسط يده فجعل يفر ها هنا وها هنا، فيضاحكه رسول الله حتى أخذه فجعل إحدى يديه في ذقنه والأخرى بين رأسه وأذنيه، ثم اعتنقه وقبله، ثم قال: «حسين مني وأنا منه، أحب الله من أحبه، الحسن والحسين سبطان من الأسباط»[3]. والسبط هو ولد الولد.

٩ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان الحبش يلعبون بحرابهم فسترني رسول الله وأنا أنظر حتى كنت أنا أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو»[4].

١٠ ـ عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيُسربِهُنَّ إلي، فيلعبن معي»[5].

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة، يلعبن فقال: «ما هذا ياعائشة» قالت: بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان من

---

(١) رواه الترمذي في نوادره، مذكور في عبد الله علوان، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٠١٥.
(٢) الحديث مذكور في: عبد الله علوان: المرجع السابق، ص ١٠١٥.
(٣) رواه الطبراني، مذكور في عبد الله علوان، مرجع سابق، ص ١٠١٦.
(٤) البخاري: جـ ٧ ص ٣٦.
(٥) ألبخاري بحاشية السندي، جـ ٤، باب الانبساط إلى الناس، ص ٩٦.

رقاع. فقال: «ما هذا الذي أرى وسطهن». قالت: فرس. قال: «وما هذا الذي عليه». قالت: جناحان. قال: «فرس له جناحان». قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى رأيت نواجذه[1].

١٢ ـ عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»[2].

ومن الأحاديث السابقة يمكن تبين الآتي:

١ ـ إن الرسول ﷺ قد بين بوضوح مقدار حاجة الطفولة إلى اللعب والمرح وذلك في أكثر من مناسبة.

٢ ـ إن الرسول ﷺ، رغم كبر سنه، فقد اشترك بنفسه في ملاعبة الأطفال، وهذا ينبه الآباء إلى ضرورة عدم ترك الأطفال يلعبون معظم أوقاتهم منفردين بل يحاول الآباء تفريغ جانب من أوقاتهم والاشتراك مع أولادهم في اللعب. وهذا يزيد من علاقات الحب والود والارتياح والأمن النفسي لدى الطفل. وهذه النقطة لم توضحها الدراسات التي أشرنا إليها في بداية هذه النقطة.

٣ ـ إن الرسول ﷺ أقر مجموعة من الأدوات يمكن أن يستخدمها الأطفال في ألعابهم، مثل التراب (الرمل الأصفر بالصحراء)، والحراب والدمى. وهذه الأدوات تتناسب مع البيئة التي عاش فيها الرسول ﷺ وأصحابه. وقد أشار إلى تلك النقطة بعض الباحثين المعاصرين.

٤ ـ من حديث عائشة رضي الله عنها، عند عودة الرسول ﷺ، اتضح أنها كانت تستخدم اللعب الإيهامي أو الابتكاري، وقد وافقها على ذلك النبي عليه السلام، وهذا النوع من الألعاب هام جداً للطفل أو الغلام، وهو ما أشارت إليه الدراسات الحديثة وأوصت بالاهتمام به للتعرف على ما يدور في نفسية الطفل خاصة الطفل المشكل.

---

(١) أبو داود: جـ ٤، ص ٤٣٩.

(٢) مسلم، جـ ٦، ص ٥٢.

٥ ـ أشار الرسول ﷺ في حديثة «عرامة الصبي في صغره زيادة في عقله في كبره» وكذلك الحديث «ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»، أشار إلى وظيفة اللعب في إعداد الغلمان للحياة المستقبلية عندما يصبحون كباراً، وهو ما أشار إليه (جروس) في نظريته المشار إليها في بداية الحديث عن اللعب ونظرياته.

وإذا كانت هذه بعض توجيهات السنة الشريفة في مجال لعب الأولاد، فإنه يوجد المزيد من التوجيهات إلى أهمية اللعب واللهو المباح والتسلية والاهتمام بالتربية البدنية للكبار بصفة عامة.

أما عن مساهمات المفكرين الإسلاميين في هذا المجال، فيمكن بيانه بتناول عدد منهم:

١ ـ ابن سينا:

اهتم ابن سينا بالنمو الحركي للطفل في هذه المرحلة سواء في بدايتها (مرحلة سني المهد) أو أواخرها (مرحلة سن الصبا ٣ ـ ٥ سنوات) فقد أشار إلى ذلك ابن سينا حيث قال: «إذا أخذ الطفل ينهض ويتحرك فلا ينبغي أن يُمَكّن من الحركات العنيفة، ولا يجوز أن يحمل على المشي أو القعود قبل انبعاثه إليه بالطبع، فيصيب ساقه، وصلبه آفة، والواجب في أول ما يقصد ويزحف على الأرض أن يجعل مقعده على قطع أملس لئلا تخدشه خشونة الأرض، وينحى عن وجهة الخشب والسكاكين وما أشبه ذلك مما ينخس أو يقطع. ويحمى من التزلق من مكان عال»[١].

وباشتداد ساعد الطفل يبدأ في الحركة والنشاط والولع بهما، وهنا يؤكد ابن سينا على ضرورة اللعب للطفل مع العناية بنظافته. يقول ابن سينا: «وإذا انتبه الصبي من نومه فالأحرى أن يستحم ثم يخلى بينه وبين اللعب ساعة، ثم

---

(١) ابن سينا: القانون في الطب، مرجع سابق جـ١، ص. ص ١٥٣ ـ ١٥٤.

يطعم شيئاً يسيراً، ثم يطلق له اللعب الأطول، ثم يستحم، ثم يغذى، ويجنبون ما أمكن شربٍ الماء على الطعام لئلا ينفذ فيهم نَيًّاً قبل الهضم»[1].

٢ ـ الغزالي:

اهتم كذلك الغزالي برعاية الطفل، سواءً من ناحية النمو البدني بصفة عامة أو اللعب بصفة خاصة. فقال: «ينبغي أن يمنع من النوم نهاراً، فإنه يورث الكسل، ولا يمنع منه ليلاً، ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسمن بدنه فلا يصبر على التنعم بل يعود الخشونة في المفرش والملبس والمطعم.. ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل»[2].

وفي شأن اللعب وضرورته للطفل، يقول الغزالي: «إن الصبي ينبغي أن يُؤْذَن له بعدالانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، بحيث لا يتعب من اللعب. فإن مَنْع الصبي من اللعب وإرهاقه إلى التعلم دائماً يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه»[3].

٣ ـ ابن مسكويه:

يقول ابن مسكويه: ينبغي أن يؤذن له في بعض الأوقات أن يلعب لعباً جميلاً، ليستريح فيه من تعب الأدب، ولا يكون في لعبه ألم ولا تعب شديد. فإذا شذى يُعَود المشي والحركة والرياضة، ثم ركوب الخيل، حتى لا يتعود أضدادها، ويعود ألا يكشف أطرافه، ولا يسرع في المشي، ولا يرخي يديه، بل يضمهما إلى صدره»[4].

---

(١) المرجع السابق، جـ ١، ص ١٥٧.
(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦٣.
(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.
(٤) ابن مسكويه (أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه أو ابن مسكويه، ولد عام=

٤ ـ جعفر الصادق[1]:

يولي الصادق تربية الأطفال والناشئة أهمية بالغة، لذلك فهو يسوق كثيراً من الأقوال المعبرة والنصائح البالغة، وهو يرى أن يترك الصبي يلعب حتى سن سبع سنين: «دع ابنك يلعب سبع سنين»[2].

ومن أقوال وآراء المفكرين الإسلاميين يتبين بوضوح سبقهم للكثير من التربويين المحدثين الذين وضعوا برامج رياض الأطفال من أمثال كومينوس (١٥٩٢ ـ ١٦٧٠م) الذي هو أول من فكر في إنشاء مدارس الصغار. وكذلك فروبل (١٧٨٢ ـ ١٨٥٢م) الذي يقال إنه منشىء رياض الأطفال[3].

ويتبين كذلك أن المفكرين الإسلاميين تبينوا أن الطفل عندما يلعب فإن يندمج فيه بكل حواسه، ولا ينتبه إلى تعبه، ولذا لا بد من اتّباع أوقات اللعب بأوقات راحة حتى يستعيد نشاطه، ويتناول خلالها الطعام الخفيف، وهذه النقطة أشار إليها علماء النفس المعاصرين[4].

٦ ـ آداب الطعام والشراب:

أوجب الإسلام على الوالدين أن ينفقا على عيالهما رزقاً طيباً حلالاً، وأن

= ٣٢٠ هـ): تهذيب الأخلاق. تحقيق قسطنين زريق (الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦) ص. ص ٧٠ ـ ٧١.

(١) هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٨٠ هـ وتوفي عام ١٤٨ هـ.

(٢) محمد تقي فلسفي: **الطفل بين الوراثة والبيئة**، تعريف فاضل الحسين الميلاني، جـ (١)، ط ٣ (مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ت.) ص ٧٥.

نقلاً من: علي خليل مصطفى أبو العينين: الاهتمامات التربوية في فكر جعفر الصادق، منشور في كتاب. من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد الأول (مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٨) ص ١١١.

(٣) وهيب سمعان: **دراسات في التربية المقارنة** (النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥ م) ص ٢٠٧ وما بعدها.

(٤) انظر جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص ١٠٤ ـ ١٠٥.

يتعهدوهم بالأدب في تناول الطعام والشراب، وفي كل شيء. وقد فصلت السنة المطهرة هذه المواضع من الآداب، بحيث لم تترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصتها، ووجهت أنظار المربين والأبوين إليها، لكي ينشأ أفراد المجتمع نشأة إسلامية، ويتطبعوا بها من صغرهم، يقول رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا، يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء» ثم قال أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم «فطرة الله التي فطر الناس عليها»[1].

ومن ذلك يأتي دور الآباء، والأمهات في تدعيم وغرس القيم والاتجاهات والعادات الإسلامية، وبخاصة في مرحلة الطفولة الأولى التي تتشرب بسرعة هذه القيم والاتجاهات فتثبت عليها في الكبَر.

ويبدأ الباحث بعرض ما جاء في آداب الطعام ثم آداب الشراب، من خلال الأحاديث.

(أ) آداب الطعام:

ومن هذه الآداب: ضرورة غسل اليدين قبل الطعام وبعده، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده»[2]، وورد أيضاً عن أنس رضي الله عنه قال: قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه وإذا رفع»[3].

ومن الآداب: التسمية في أوله والحمد في آخره، لما ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إذا أكل أحدكم فليذكر اسم الله تعالى، فإن نسي أن يذكر اسم الله تعالى في أوله فليقل: باسم الله أوله وآخره[4]. ومن السنة أن

---

(١) مسلم: جـ ٨، ص ٥٢.

(٢) أبو داود، جـ ٣، ص ٣٣٨.

(٣) رواه ابن ماجة والبيهقي، مذكور في عبد الله علوان، جـ ١.

(٤) أبو داود، جـ ٣، ص ٤٠٧.

يحمد الله على الأكل ويقول: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين».

ومن الآداب: ألا يعيب طعاماً قدم إليه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط: إن اشتهاه أكله، وإن كرهه تركه»(١).

ومن الآداب: إن يأكل مما يليه وبيمينه، فقد روي عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصفحة، فقال لي رسول الله ﷺ: «يا غلام سَمِّ الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك، فما زالت طعمتي بعد»(٢).

ومن الآداب: ألا يقعد للأكل متكئاً، فقد ورد أن رسول الله ﷺ قال: «لا آكل متكئاً»(٣).

ومن الآداب: الدعاء لمضيفه عندما يفرغ من الطعام، فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة، فجاء بخبز وزيت فأكل، ثم قال النبي ﷺ: «أفطر عندكم الصائمون، وأكل طعامكم الأبرار، وصلت عليكم الملائكة»(٤).

ومن الآداب: ألا يضع يده في الطعام ويوجد من هو أكبر منه سناً أو مقاماً فعن حذيفة رضي الله عنه قال: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده(٥).

ومن الآداب: الحفاظ على الطعام ولو قل. فغن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل طعاماً لَعِقَ أصابعه الثلاث، وقال: إذا سقطت لقمة

---

(١) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ٧، ص ٩٦.
(٢) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ٧، ص ٨٨.
(٣) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ٧، ص ٩٣.
(٤) رواه أبو داود والترمذي، مذكور في عبد الله علوان، جـ١.
(٥) رواه مسلم، مذكور في عبد الله علوان، جـ١.

أحدكم فليأخذها وليمط عنها الأذى، وليأكلها، ولا يدعها للشيطان، وأمرنا أن نسلت القصعة، وقال: «إنكم لا تدرون في أي طعامكم البركة»[1].

(ب)آداب الشراب:

استحباب التسمية والحمد والشرب ثلاثاً، فجاء في الحديث: «لا تشربوا واحداً كشرب البعير، ولكن اشربوا مثنى، وثلاث، وسموا إذا انتم شربتم، واحمدوا إذا أنتم رفعتم»[2].

ومن الآداب ألا ينفخ في الشراب، ففي الحديث: « إذا شرب أحدكم فلا يتنفس في الإناء»[3].

ومن الآداب، النهي عن امتلاء المعدة بالأكل والشراب: ففي الحديث «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان فاعلاً، فثلث لطعامه، وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[4].

وعنه أنه قال: «يأكل المسلم في معي واحد، والكافر يأكل في سبعة امعاء»[5]. وقال رسول الله ﷺ: «طعام الاثنين كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة»[6]. وفي هذا طلب القناعة في الأكل. وورد عنه أنه قال: «تنزل البركة وسط الطعام فكلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه»[7].

هذه هي بعض آداب الطعام والشراب كما علمها لنا رسول الله ﷺ وهو قدوة لنا، علينا أن نتأسى به في كل خطوة وفي كل فعل، امتثالاً لقوله تعالى:

---

(١) رواه، مسلم جـ٦، ص ١١٤.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) البخاري، كتاب الأشربة، جـ٧، ص ١٤٦.
(٤) الترمذي، جـ٩، ص ٢٢٤.
(٥) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ٧، ص ٩٢.
(٦) البخاري: كتاب الأطعمة، جـ٧، ص ٩٢.
(٧) رواه أبو داود والترمذي. الشيباني: تيسير الوصول، جـ٣، ص ١١٢.

﴿وماآتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[1]. وأيضاً: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2].

وبعد هذا التفصيل للسنة المطهرة نأتي لبعض المفكرين الإسلاميين وما قالوه في آداب الطعام والشراب.

فجاء على لسان الإمام الغزالي في كتابه (إحياء علوم الدين) موجهاً خطابه إلى الآباء، والأمهات، بأن يعرفوا الطفل الطريق المستقيم في تناول الطعام والمشاركة فيه، فعليه أن يأكل مما يليه، وألا يبادر إلى الطعام قبل غيره، وألا يحدق النظر إليه، ولا إلى من يأكل، وألا يسرع في الأكل وأن يجيد المضغ، وألا يوالي بين اللقم، ولا يلطخ يده ولا ثوبه»[3].

وابن مسكويه يمدنا بأقواله في هذا الموضوع، فيرى أن الطعام، يؤخذ للصحة لا للذة، وأخذ الأغذية على اختلافها، لتصح بها الأبدان، فهي مادة حياتنا، وقد شبه الطعام بالدواء، فقال: «كما أن الدواء لا يرام للذة، ولا يستكثر منه للشهوة، فكذلك الأطعمة ما ينبغي أن يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع، ويمنع من المرض، فيحقر عنده قدر الطعام الذي يستعظمه أهل الشره»[4].

وأما عن آداب الطعام عند الاجتماع مع الأهل والأصدقاء، فيرشد: «الا يديم النظر الى ألوانه، ولا يحدق إليه شديداً، ويقتصر على ما يليه، ولا يسرع في الأكل، ولا يوالي بين اللقم بسرعة، ولا يعظم اللقمة ولا يبتلعها حتى يجيد مضغها، ولا يلطخ يده ولا ثوبه، ولا يلحظ من يؤاكله، ولا يتبع بنظره مواقع يده من الطعام، ويعود أن يؤثر غيره بما يليه إن كان أفضل ما عنده، ثم يضبط شهوته حتى يقتصر على أدنى الطعام وأدونه...»[5].

---

(١) سورة الحشر، آية: ٧.
(٢) سورة القلم، آية: ٤.
(٣) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ٣، ص٦٣.
(٤) مسكويه: تهذيب الأخلاق، مرجع سابق، ص. ص ٧١ ـ ٧٢.
(٥) مرجع سابق، نفس الصفحات.

ثانيا: التربية الاجتماعية

يرى علماء النفس في مرحلة الطفولة المبكرة أنها مزيج من الاستقلال وعدم الاستقلال في السلوك الشخصي والاجتماعي، فالصغير الآن يشعر بأنه شخصية تكاد تكون مستقلة، لها عاداتها وذاتها، ووجودها المستقل عن الآخرين، وباستطاعته أن يستمع لأحاديث الكبار، ويعلق عليها تعليقاته الخاصة. بالإضافة إلى أنه يستطيع أن يمشط شعره بنفسه، ويختار أنواع الأطعمة التي تروق له، كما أنه يحاول أن يساعد أمه في تنظيم المائدة[1].

أما بالنسبة للعبه، فهو لم يعد راغباً في اللعب في أدواته، بل إنه يتجه إلى مشاركة الآخرين في لعبهم. ويتسم الطفل في هذه السن بالمرونة الاجتماعية، فهو قادر على اللعب مع معظم الأطفال الآخرين، ويميل الأولاد والبنات إلى اختيار أصدقائهم من نفس الجنس[2]. وجماعات اللعب تميل إلى أن تكون صغيرة وليست منظمة تنظيماً كبيراً، وخلالها يتجه الطفل إلى محاولة السيطرة على الآخرين، مما يدل على أن قدرته على اللعب مع الآخرين لا زالت محدودة.

هذه هي أهم الملامح العامة لطفل ما قبل المدرسة من وجهة نظر علماء النفس المعاصرين، وللإسلام شأنه، كذلك، في رعاية الطفل اجتماعياً في هذه المرحلة.

فعلى الآباء والأمهات يقع عبء المسؤولية الأولى في رعاية وتربية أولادهم، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راع

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٢٠.

(٢) جابر عبد الحميد جابر، علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص ١٠٩ ـ ١١٧.

وكلكم مسؤول عن رعيته»[1].

فالبيت المسلم يغرس في نفوس أفراده منذ طفولتهم المبكرة الإيمان الصحيح والسلوك الإسلامي الرشيد، ويربيهم على حب الفضائل وبغض الرذائل، ويرشدهم إلى الخير ويباعد بينهم وبين الشر، وهو الذي يمدهم بالقيم الاجتماعية التي يحترمونها، ويعملون على هداها[2].

وبهذا الأسلوب يحتل الأبوان مكانة هامة في حياة الطفل خاصة في سنواته الأولى، حيث تكون طبيعته أكثر قابلية للتشكيل والمرونة. وإلى هذا المعنى أشار الرسول الكريم في قوله: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء»[3].

وهكذا تقع مسؤولية تطبيع الطفل اجتماعياً على كاهل والديه، ويتم هذا التطبيع بصور ووسائل شتى، يمكن توضيح بعضها:

١ ـ التعامل بالرحمة مع الأبناء:

فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: دخلت علي امرأة ومعها ابنتان لها تسأل، فلم تجد عندي شيئاً غير تمرة فأعطيتها إياها، فقسمتها بين ابنتيها ولم تأكل منها ثم خرجت، فدخل علي رسول الله ﷺ فأخبرته، فقال: من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن، كن له ستراً من النار»[4].

وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما: كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى، ثم يضمهما ثم يقول: «اللهم

---

(١) مسلم، جـ ، ص ٨.

(٢) علي عبد الحليم محمود: المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي (دار المعارف القاهرة، ١٩٧٦) ص ٤٥.

(٣) مسلم، جـ٨، ص ٥٢.

(٤) البخاري: بحاشية السندي: جـ ٤، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص ٥١.

ارحمهما فإني أرحمهما»[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: تقبلون الصبيان فما نقبلهم. فقال النبي: «أو أملك أن نزع الله من قلبك الرحمة»[2].

وعن أنس: «أخذ النبي ﷺ إبراهيم فقبله وشمه»[3].

وعن بُرَيْرَة، قالت: كان النبي ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: «صدق الله: إنما أموالكم وأولادكم فتنة. نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[4].

وهذه أمثلة من كثير في السنة المطهرة تحدد لنا أسلوباً هاماً لسلوك الوالدين تجاه أولادهم، فبالرحمة والعطف على الأبناء، يشبون أسوياء، رحماء في معاملاتهم على من دونهم. يقول رسول الله ﷺ: «الراحمون، يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[5] ويقول أيضاً: «من لا يَرْحَم لا يُرْحَم»[6].

٢ ـ معاملة الأطفال بالرفق واللين في غير إسراف:

وقد وصف الله تعالى نبيه الكريم بأنه لين الجانب، حسن المعاملة للمؤمنين: «فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من

---

(١) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب وضع الصبي على الفخذ، ص ٥٢.
(٢) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص ٥١.
(٣) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ص ٥٠.
(٤) أخرجه الترمذي، ومذكور في (ناصف، جـ٣، ص ٣٥٩).
(٥) الترمذي: جـ٨، ص ١١١.
(٦) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب رحمة الناس والبهائم، ص ٥٣.

حولك»[1]، وفي الأحاديث ما يؤكد هذه الصفة، فقد قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وما لا يعطي على ما سواه»[3]، وعن عائشة أن النبي ﷺ وضع صبياً في حجره يحنكه فبال عليه، فدعا بماء فاتبعه»[4]، ولم يتضايق منه، وعن «أبي قتادة قال خرج علينا النبي ﷺ وأمامه بنت أبي العاصي (على عاتقه) فصلى، فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها»[5].

ومعاملة الوالدين لأولادهم بالرفق واللين، يجب أنْ لا تزداد عن الحد الطبيعي، فيكون الطفل بؤرة اهتمام والديه، وتجاب له جميع مطالبه. ويدخل في مجال الأطفال المدللين: الطفل الوحيد، والطفل البكر، والطفل الأخير، والطفل الذي يحمل عاهة من العاهات، والطفل الذكر بالنسبة لأخواته البنات في كثير من البيئات. ويشير رسول الله ﷺ إلى ضرورة العدل بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم حتى في تقبيلهم والعطف عليهم. قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القُبَل»[6]، وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابناً له غلاماً، فأتى النبي ﷺ يشهده، فقال: أكل ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا؟» قال لا. قال: «فاردده»[7].

وروى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ساووا بين أولادكم في العطية»[8].

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.
(٢) النووي: ص ٤٢٢.
(٣) مسلم: جـ٨، ص ٢٢.
(٤) البخاري بحاشية السندي: جـ٤، باب وضع الصبي في الحجر ص ٥٢.
(٥) البخاري بحاشية السندي: جـ٤، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته ص ٥١.
(٦) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ٦، ص ٤٣٤.
(٧) الترمذي: جـ٦، ص ١٢٦.
(٨) عبد الله علوان: مرجع سابق، ص ٣٣١.

٣ ـ إتاحة فرص اللعب الجماعي:

فأطفال هذه المرحلة، وخاصة في سن الرابعة والخامسة، يعتبر اللعب بالنسبة لهم وسيلة لعملية التطبيع الاجتماعي والاندماج في المجتمع، بمختلف دوائره (الأسرة، الرفاق في الحضانة ورياض الأطفال، والجيران، والأقارب). وترى الأطفال يتجهون إلى اللعب لا للتسلية فحسب بل لمحاولة اكتساب المزيد من المعارف والمهارات، وكثيراً ما تجدهم منهمكين في اللعب بدرجة كبيرة، ويغضبون عند محاولة الكبار منعهم من الاستمرار في اللعب.

وقد مر بنا في التربية الجسمية أن السنة المطهرة قد أكدت على ضرورة إتاحة الفرص للأطفال للعب وبكافة أنواعه، وعدم منعهم منه، ونذكر هنا فقط حديثاً شريفاً يرتبط مباشرة بهذا الموقف، وهو:

مر رسول الله على صبيان وهم يلعبون بالتراب فنهاهم بعض أصحاب النبي ﷺ، فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الأطفال[١]».

هذه هي بعض الأساليب التي يوجه إليها نظر الآباء لمعاملة أولادهم في مرحلة ما قبل المدرسة. ولكن هناك شيء هام في حياة الطفل الاجتماعية له دوره في بنائه الاجتماعي، وهو التفاعل مع الآخرين: ونقصد بالاخرين هنا، الأم، والأب، والإخوة والرفاق، لما لدورهم من أهمية في حياة الطفل.

فالأم يبدأ دورها في تربية الطفل «حين تغذيه باللبن، وتغذيه أيضاً بالعواطف والعلاقات الاجتماعية، ثم بالمعاني والألفاظ والأفعال، أي إنها تغذيه بالمحتوى الثقافي للمحيط العائلي»[٢]، والأم هي «نقطة انطلاق الطفل وحجر الزاوية في تطور نموه، وهي بالنسبة له، المعين الأول لكل ما قد يحس به من حاجة»[٣]. ويؤكد رسول الله ﷺ على منزلة الأم في الحديث، عندما جاءه رجل

---

(١) الهيثمي، جـ (٨)، ص ١٥٩.

(٢) محمد فاضل الجمالي: تربية الإنسان الجديد (الشركة التونسية للتوزيع، ١٩٦٧).

(٣) فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٨) ص ١٢٤.

فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك قال ثم من؟ قال: أبوك»[1].

ويكتمل دور الأم بقيام الأب بدوره في توفير الأمن النفسي والمادي للأسرة بما فيها من الأولاد.

وبعد ذلك يـأتي دور الإخوة «ذلـك لأنهم يؤلفون مـع الأم الميدان الاجتماعي الأول الذي يحتويه (أي طفل)، والذي يكـون أساس خبـراته الاجتماعية وتجاربه وطرق سلوكه»[2].

وفي الحديث الشريف ما يؤكد على البر بالإخوة ووصلهم حرصاً على حفظ كيان الأسرة وتلاحم أعضائها وتكافلهم في السراء والضراء.

وفي الحديث يقول رسول الله ﷺ: «من أحب أن يبسط له في رزقه. وينسأ له في أثره فليصل رحمه»[3]. وفي حديث آخر رواه أبو داود أن كليب الحنفي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أبر؟ قال: أمك، وأباك، وأختك وأخاك، ومولاك الذي يلي ذلك حقاً واجباً ورحماً موصولة»[4].

ـ مراعاة الطفل اليتيم في الإسلام:

ونقطة هامة وأخيرة أشار لها الإسلام، بخاصة، وهي فقد الطفل لأحد أبويه أو فقدهما معاً، أي الطفل اليتيم. فإن الإسلام لم ينسه ووضع له القوانين التي تحفظ حقه في الحياة الحرة الكريمة والرعاية من أفراد المجتمع جميعاً.

قال تعالى ﴿. . .ويسألونك عن اليتامى، قل إصلاح لهم خير، وإن

(١) البخاري: كتاب الأدب، جـ٨، ص ٢.
(٢) فوزية دياب: مرجع سابق، ص ١٣٠.
(٣) مسلم: جـ٨، ص ٨.
والبخاري، جـ ٤، باب صلة الرحم، ص ٤٩.
(٤) الشيباني: تيسير الوصول، جـ١، مرجع سابق، ص ٤٥.

تخالطوهم فإخوانكم، والله يعلم المفسد من المصلح﴾(1). ويقول تعالى في شأن رعاية أموالهم وحقوقهم: ﴿وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم، إنه كان حوباً كبيراً﴾(2) ويؤكد الله هذا المعنى ويشدد عليه بقوله تعالى: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾(3). وفي سورة الأنعام يقول تعالى: ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده﴾(4). وقرن الله تعالى الذي يزجر اليتيم وينهره بالشخص الذي يكذب بالدين، قال تعالى: ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين﴾(5) وقال تعالى: ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾(6).

ومن أحاديث الرسول ﷺ بشأن حضه على كفالة اليتيم، وأمره بوجوب رعايته، والإحسان في الوصاية عليه.

★ روى الترمذي أنه عليه الصلاة والسلام قال: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى»(7).

★ روى الإمام أحمد وابن حبان عن النبي ﷺ أنه قال: «من وضع يده على رأس يتيم رحمة، كتب الله له بكل شعرة مرت على يده حسنة»(8).

وبذلك يستطيع اليتيم أن يأمن على نفسه وعلى ماله، وهو في صغره، وفي يفعه.

---

(1) سورة البقرة، آية: ٢٢٠.
(2) سورة النساء، آية: ٢.
(3) سورة النساء، آية: ١٠.
(4) سورة الأنعام، آية: ١٥٢.
(5) سورة الماعون، آية: ١ - ٣.
(6) سورة الضحى، آية: ٩.
(7) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب فضل من يعول يتيماً، ص٥٢.
(8) عبد الله علوان: المرجع السابق، نفس الصفحة ٣٣٨.

ثالثاً: التربية الوجدانية

يرى بعض الباحثين أن مجال «التربية الوجدانية» لم يحظ باهتمام الباحثين في الدراسات التربوية الإسلامية مثلما حدث في «التربية العقلية» و « التربية الأخلاقية» و «التربية الاجتماعية» و «التربية الجسمية»، وأرجع ذلك إلى عدم التحديد الواضح للمقصود من «الوجدان»[١].

وفي محاولة لتحديد معنى «مصطلح الوجدان» وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذا التعريف: يطلق الوجدان في الفلسفة أولاً على كل إحساس أولي باللذة أو الألم، وثانياً على ضرب من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة[٢]. وفي معاجم علم النفس يأتي مصطلح الوجدان بمعنى المشاركة الوجدانية أو التعاطف أو الشعور مع الغير[٣].

وعلى ذلك فإن التربية الوجدانية تشمل الانفعالات والعواطف والاتجاهات والميول وغيرها. وإذا ما خصصنا القول وتساءلنا عن أهم المظاهر الوجدانية (الانفعالية) لطفل ما قبل المدرسة؟ فسوف يتضح أن «أهم ما تتميز به هذه المرحلة من الناحية الانفعالية هو العنف وشدة التأثر، وعدم الاستقرار. فنوبات الغضب إلى حد التشنج والعدوان، والخوف إلى حد الابتهاج والنشوة»[٤] ثم يصاحب ذلك تغير في نوع الانفعال، فهو ينتقل من البكاء والحزن إلى الفرح، ومن الخوف إلى الطمأنينة. والخلاصة أن طفل السنة الثالثة

---

(١) عبد البديع عبد العزيز الخولي: **التربية الوجدانية في القرآن والسنة** منشور في: الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادىء (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ١٩٨٧) ص ٤٩٨.

(٢) مجمع اللغة العربية: **الوسيط**، جـ ٢، القاهرة، ١٩٦٠، ص ١٠٢٤.

(٣) محمد علي الخولي، **قاموس التربية** (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١).

(٤) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع (النمو النفسي والاجتماعي للطفل في سنواته التكوينية)، **عالم المعرفة**، الكويت، العدد (٩٩)، مارس ١٩٨٦، ص ٢٤٣.

يتميز بقوة انفعالاته والانتقال من إنفعال إلى آخر[1].

وفي محاولة لتفسير هذه المظاهر الانفعالية، فقد أرجعها بعض الباحثين إلى عاملين[2]:

الأول: يتصل بطبيعة الطفل في هذه المرحلة:

فالطفل يتميز هنا باعتماده كلية على من حوله من الكبار، رغم ما يظهره من استقلالية. ولذلك فهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، بمعنى أنه لا يملك من القوة، أو من الحيل، أو الوسائل، ما يدفع به الضر عن نفسه إذا وقع الضر. فهو من الناحية الجسمية لا يمكنه أن يطاول العمالقة الكبار من المحيطين به، عندما يمسكون به، ويدفعونه في الهواء، أو يهددونه بطريقة أو بأخرى. ومن الناحيتين العقلية والانفعالية، فالطفل هنا ما زال يعتمد في تفكيره على خبرته الذاتية، والتي تتسم بالمحدودية وعدم الموضوعية (إقامتها على أسس منطقية معقولة)، ويترتب على ذلك معاناة الطفل للحيرة والتخبط في قراراته وتصرفاته.

الثاني: يتصل بموقف الوالدين[3]:

والذي يتمثل ـ غالباً ـ في أنهما يعاملانه كما لو كان راشداً، في الوقت الذي عليه أن يميز أو يفهم التعليمات الموجهة إليه، أو يستطيع أن يسيطر على الدوافع القوية التي تواجهه. إنهما يتوقعان منه في أغلب الأحيان أن يميز الأشياء التي لم يتعلم أن يميزها، وأن يتعلم عادات ويتقنها في محاولة واحدة، وفي مقابل ذلك يجد العقاب بمختلف صوره، جزاء فشله في أقل الأخطاء وأبسطها. وقد يقف الطفل في حيرة عندما يقوم الآباء ـ في كثير من الأحيان ـ بخلق جو من البلبلة عندما يجذب الوالد طفله إليه في عطف وود، ثم بعد ذلك، وبسبب ما،

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٢) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق، ص ٢٤٤.

(٣) المرجع السابق، ص. ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.

يدفعه عنه بعيداً في نفور. وأيضاً فإن الطفل يكون حساساً بشكل خاص للعلاقة العاطفية بينه وبين والديه، وبالتالي عندما يقع "الطفل في خطأ ما، فإن الأبوين، عادة، ما يتسرعان في هدم هذه العلاقة العاطفية بالتهديد أو الضرب المؤذي، وكان يكفي الطفل مجرد نظرة أو عتاب رقيق كوسيلة لمساعدته على تعديل سلوكه.

ونتيجة لتفاعل هذين العاملين معاً، فإن طفل هذه المرحلة غالباً ما تتسم انفعالاته بالحدة والشدة.

ويمكن أن نتوقف قليلاً عند هذه النقطة للتعرف على ما جاء بالسنة النبوية بشأن حدة انفعالات طفل هذه المرحلة:

فرسول الله ﷺ أشار إلى ضرورة انتهاج أسلوب العطف والود والرحمة خلال تعامل الوالدين مع أولادهما، حتى يوفروا لهم حالة نفسية متزنة لا تشوبها الانفعالات الحادة بقدر المستطاع.

★ فعن عائشة أن النبي ﷺ «وضع صبياً في حجره ـ تحنكه فبال عليه، فدعا بماء فاتبعه»[٢] فلم يتضايق الرسول ﷺ من الطفل ولم يفزعه.

كما أنه عليه السلام لم يوص بضرب الأطفال بشدة أو معاقبتهم في غير موضع خطأ، بل دعا إلى الرفق واللين في المعاملة.

★ قال رسول الله ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه. ولا ينزع من شيء إلا شانه»[٣].

★ وقال عليه السلام لعائشة: « يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[٤].

---

(١) البخاري بحاشية السندي، جـ ٤، باب وضع الصبي في الحجر، ص ٥٢.
(٢) النووي: ص ٤٢٢.
(٣) مسلم: جـ ٨، ص ٢٢.

وبهذه المعاملة من الوالدين يمكن تقليل حدة انفعالات الطفل، ونؤمن له حياة نفسية واجتماعية سعيدة، بعيدة عن العصبيات والعقد النفسية التي تبدأ في التكوين في هذه المرحلة من النمو، وتبقى معه حتى سن الرشد وتظهر في شكل أمراض نفسية صعبة العلاج.

وبعد وصف الحالة الوجدانية بصفة عامة لطفل ما قبل المدرسة، وما يعتريها من تقلبات انفعالية، فإن الأمر يتطلب شرح بعض صور الانفعالات السائدة في هذه المرحلة. ومن هذه الصور:

١ ـ الخوف.

٢ ـ نوبات الغضب.

ونبدأ بالمظهر الأول للانفعالات:

١ ـ الخوف:

«من أهم المظاهر الانفعالية لهذه الفترة هي ما قد يعانيه الأطفال من مخاوف. ذلك أنها يمكن أن تكون أكبر عائق يقف في سبيل نموهم الصحي السليم. وللآباء تأثير كبير في هذه الناحية. فبالرغم من أن بمقدورهم أن يساعدوا أطفالهم على التغلب على مخاوفهم، إلا أنه في الوقت نفسه يكون لهم دور سلبي باعتبارهم مصدراً أساسياً لتلك المخاوف»[١].

ويعرف الخوف بأنه: «حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف ويسلك فيها سلوكاً يبعده عادة عن مصدر الضرر»[٢]. وهذا الخوف ينشأ عن استعداد فطري أوجده الخالق في الإنسان لحكمة تتعلق بصالح الكائن الحي، فالخوف هو الذي يدفعنا لحماية أنفسنا من الخطر.

ويقسم علماء النفس الخوف إلى ثلاثة أنواع، توجد لدى الجميع

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق، ص ٢٤٨.

(٢) معروف زريق: كيف نربي أبناءنا، مرجع سابق، ص ٤٠.

بدرجات متفاوتة: الخوف الواقعي، والقلق، والخوف المرضي (الفوبيا)[1].
والخوف الواقعي، وهو اكثرها تحديداً، هو عبارة عن استجابة لخطر حقيقي كحيوان مفترس أو سيارة مسرعة، أما القلق فهو خوف من المجهول، أي إن موضوعه لا يكون محدداً أو واضحاً بشكل محسوس، وإما الخوف المرضي فمثيراته محددة وواضحة إلا أنها لا تعتبر في طبيعتها مصدراً للخطر، كالخوف من الظلام، أو الأماكن المغلقة أو بعض الحيوانات الأليفة.

إن معظم هذه المخاوف مكتسب، فالأطفال لا يولدون «خوافين»، بل إنهم يتعلمون ذلك الخوف، وحيث إن معظم التعليم يكتسبه الأطفال من المنزل، فلا غرابة، في القول بأن الاطفال يبدون استعداداً قوياً لالتقاط مخاوف آبائهم، عن طريق العلم بالمشاهدة. والمخاوف التي تكتسب عن هذا الطريق تمتاز بطول بقائها، فإذا كانت الأم مثلاً تخاف من الكلاب، فإنه سيكون من الصعب عليها أن تنصح ابنها أو بنتها بأنه لا يوجد هناك ما يوجب خوفهما من الكلب[2].

وتوجد أيضاً علاقة وطيدة بين قلق الاطفال (إحدى حالات الخوف) والمعاملة الوالدية. فعند ما تصبح مطالب الوالدين من أطفالهم أعلى مما يستطيع الأطفال أداءه، أو عندما يُقَيِّمون ما ينجزه أطفالهم بالسلبية المستمرة، أو عندما تكون معاملتهم إياها تتسم بالتذبذب وعدم الاستقرار، أو عند ما يسرف الوالدان في العقاب البدني، فعند ذلك يكون احتمال إصابة الأبناء بالقلق احتمالاً كبيراً.

وقد تتعارض أساليب التربية والمطالب التي يفرضها الكبار على الصغار مع تصرفاتهم هم أنفسهم، فيعاني الطفل من جراء هذا قلقاً متزايداً، وتتعرض

---

(١) محمد عماد الدين اسماعيل: مرجع سابق، ص ٢٤٨.
(٢) راجع:
★ محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق، ص. ص ٢٥٠ ـ ٢٥٢.
★ أحمد عزت راجح: أصول علم النفس، مرجع سابق، ص. ص ٩٥ ـ ٩٧.
★ معروف زريق: كيف نربي أبناءنا، مرجع سابق، ص ٤١.

شخصيته للضرر والانحراف، ومن ثم فإن التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدوة في بيئة الطفل، أمر بالغ الأهمية لنشأة الطفل وتكامل شخصيته.[1].

والآباء قد يكون لديهم بعض الأعذار في سوء معاملة أولادهم، والتي قد ترجع إلى الظروف الاجتماعية والثقافية، والتي منها: عدم التوافق بين الزوجين، والظروف السكنية السيئة، وعمل الزوجين، والجهل بقواعد التربية، وزيادة عدد الأبناء مع إهمال الرعاية، والظروف المهنية التي تساعد على عدم الرضا عن العمل، كل ذلك يؤدي إلى أن يصب الآباء جام غضبهم على كبش الفداء وهو الطفل[2].

وقد حرص الإسلام ممثلاً في مصادره الأساسية (القرآن الكريم والسنة) على توجيه الوالدين إلى حسن رعاية أولادهم ووقايتهم من كل ما يؤثر فيهم وعليهم من أمراض جسمية أو نفسية:

قال رسول الله ﷺ: «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته... ، والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، ...»[3].

وانفعال الخوف من الانفعالات التي تؤثر على صحة الأطفال النفسية، خاصة وإن الوالدين لهما دور كبير لارتباطهما المباشر والمستمر مع أطفالهم في

---

(١) نجيب اسكندر ابراهيم وآخرون: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢) ص ٣٢.

(٢) راجع:

★ محمد عماد اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق ص ٢٥٥.

★ محمد عماد الدين اسماعيل، نجيب اسكندر، رشدي فام منصور: **كيف نربي أطفالنا: التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**، (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤).

★ عبد الفتاح القرشي: حوليات كلية الآداب، الحولية السابعة الرسالة (٣٥)، جامعة الكويت، ١٩٨٦.

(٣) البخاري: جـ ٩، ص ٧٧.

مرحلة الطفولة المبكرة وما قبلها.

وقد تبين أن الأطفال يكتسبون الخوف من آبائهم، ولذا فإن السنة النبوية، أشارت إلى دور القدوة الحسنة في تربية الأطفال ـ بصفة خاصة ـ والكبار بصفة عامة. ولنا في رسول الله قدوة حسنة في كل أفعاله مصدقاً لقوله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾**(١). والقدوة الحسنة التي نتمثلها هنا، هي القدوة في الشجاعة في كل المواقف على اختلافها، وعدم الخوف من الحيوانات التي لا تضر وبدون داعٍ، وكذلك الأفراد وإن علوا مكانتهم ـ في الحق بالطبع. والأحاديث كثيرة في هذا المجال، تؤكد على هذه الأمور الهامة في تربية الطفل:

★ يقول سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه. «كنا نعلم أولادنا مغازي رسول الله ﷺ كما نعلمهم السورة في القرآن»(٢).

★ وعدم إخافة الطفل من الغول والضبع، والعسكري، والعفريت، يحرره من شبح الخوف وينشئه على الشجاعة والإقدام، وهذا كله يدخل في عموم القوة والمؤمن القوي، التي أشار إليها رسول الله ﷺ في قوله: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان»(٣).

ومن سير الخلفاء الراشدين:

★ مر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، مرة في طريق من طرق المدينة، وأطفال يلعبون، وفيهم عبد الله بن الزبير وهو طفل يلعب، فهرب الأطفال هيبة من عمر، ووقف ابن الزبير ساكناً لم يهرب. فلما وصل إليه عمر

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.
(٢) عبد الله علوان: تربية الأولاد في الإسلام، مرجع سابق، ص ٣١٢.
(٣) مسلم جـ٨، ص ٥٦.

قال له: لِمَ لَمْ تهرب مع الصبيان؟ فقال على الفور: لست جانياً فأفر منك، وليس في الطريق ضيق فأوسع لك[1].

★ وكتب عمر بن الخطاب يوجه المسلمين إلى تعليم أولادهم على الشجاعة والمقاتلة، . . قال: «علموا أولادكم العوم، والرماية، ومروهم فليثبوا على الخيل وثباً، ورووهم ما جمل من الشعر، وخير خلق المرأة المغزل»[2]. فتأمل قوله: «فليثبوا على الخيل وثباً» يفيد نزع الخوف من قلوب الصبية وعدم تخويفهم بما عظم من الحيوانات.

ومن سير الصحابة والتابعين:

★ قحطت البادية في أيام هشام بن عبد الملك، فقدمت عليه العرب فهابوا أن يتكلموا، وكان فيهم «ورداس بن حبيب» وهو إذ ذاك صبي، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما يشاء أحد يدخل علي إلا دخل حتى الصبيان؟. فقال الصبي: يا أمير المؤمنين: إنا أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة نَقَّت العظم. وفي أيديكم فضول أموال، فإن كانت لله ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين. فقال هشام: ما ترك لنا هذا الغلام في واحدة من الثلاث عذراً»[3]. . .

فإذا كان هذا هو موقف السنة النبوية وسير الصحابة والتابعين من تعليم وتربية الأولاد على الشجاعة وعدم الخوف، وكذلك جعل الآباء خير قدوة حسنة لأبنائهم، كما يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي «القدوة الحسنة من الأسرة والمدرسة هامة وخطيرة، ولكنها تفقد كل أهميتها وخطورتها إذا لم تتكامل معها

---

(١) عبد الله علوان، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

(٢) محمد رواس قلعة جي: موسوعة فقه عمر بن الخطاب (مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م) ص ١٠١.

(٣) عبد الله علوان: مرجع سابق، ٣٠٧.

مصادر التوجيه والإشعاع والاقتداء الأخرى»[١]، فإن الأمر يتطلب رعاية أكثر من الآباء في حالة القلق (النوع الثاني من الخوف) الذي قد يصيب الأطفال، ويرجع سببه إلى مجموعة عوامل متداخلة، عالجتها السنة النبوية بشيء من الدقة والروية:

ـ فقد يرجع سبب قلق الأطفال إلى تكليفهم ما لا يستطيعون أداءه:

★ يقول رسول الله ﷺ: « يسروا ولا تعسروا، وسكنوا ولا تنفروا»[٢].

★ يقول رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقر كبيرنا، ويأمر بالمعروف، وينه عن المنكر»[٣]. ومن الرحمة بالصغير هي تكليفه بما يطيق فعله.

★ قال رسول الله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له»[٤] أي إن كل مرحلة عمرية، وكل قدرة إنسانية، لها من الأعمال ما يقابلها.

★ وقال عليه الصلاة والسلام: «يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون»[٥]

ـ وقد يرجع السبب لعدم إشباع الحاجة للنجاح لدى الأطفال(بأن يُقَيِّموا أعمالهم بالسلبية المستمرة)، وهنا حرصت السنة النبوية في تضميناتها التربوية على توجيه الآباء والمربين إلى تشجيعهم للأولاد على تحقيق أي مستوى أداء يحققونه تحفيزاً لهم على مزيد من الاهتمام.

★ عن علي رضي الله عنه قال: «ما سمعت رسول الله ﷺ يفدي احداً غير سعد، سمعته يقول: «ارم فداك أبي وأمي» أظنه يوم أحد»[٦].

---

(١) محمد متولي الشعراوي: **القضاء والقدر. معجزات الرسول، إعجاز القرآن، مكانة المرأة في الإسلام**، إعداد وتقديم أحمد فراج (دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩) ص ٢١.
(٢) البخاري: جـ ٨، ص ٣٦.
(٣) الترمذي: جـ ٨، ص ١٠٩.
(٤) مسلم: جـ ٨، ص ٤٧.
(٥) مسلم: جـ ٢، ص ١٨٨ ـ ١٨٩.
(٦) البخاري: جـ ٨، ص ٥٢.

وقال سعد، ما سمعت النبيﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[1].

ـ وقد يرجع سبب الإسراف في العقاب البدني والقسوة في المعاملة، وهنا عالجت السنة النبوية الأمر بالرحمة والرفق واللين في المعاملة:

★ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل رسول الله ﷺ (الحسن بن علي) وعنده (الأقرع بن حابس التميمي) جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ: ثم قال: «من لا يَرْحم لا يُرْحم»[2].

★ وعن جرير بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من يحرم الرفق يحرم الخير»[3].

★ وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة، إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف، وما لا يعطي على سواه»[4].

ـ وقد تعود الأسباب إلى بعض الظروف المعيشية (كعدم التوافق بين الزوجين، أو عمل الأم، أو عدم الرضا عن العمل) الصعبة التي تدفع الوالدين لصب غضبهم على أولادهم، وهنا يحذر الرسول ﷺ من الغضب.

★ عن فضالة بن عبيد أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «المجاهد من جاهد نفسه»[5].

★ وعن أبي هريرة رضي الله عنه. أن رسول الله ﷺ قال: «ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»[6].

---

(١) البخاري؛ جـ ٨، ص ٢٢.
(٢) البخاري بحاشية السندي: جـ ٤، باب رحمة الناس والبهائم، ص ٥٣.
(٣) مسلم، جـ ٨، ص ٢٢.
(٤) مسلم، جـ ٨، ص ٢٢.
(٥) الترمذي: جـ ٧، ص ١٢٣.
(٦) البخاري: جـ ٨، ص ٣٤.

★ وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أوصني. قال: «لاتغضب» فردد مراراً، قال: «لا تغضب»[1].

وبهذه النصائح يستطيع الوالدان كتم غضبهما وانفعالاتهما بقدر كبير، وتنفيسهما هذه الطاقة بعيداً عن أولادهما.

٢ ـ نوبات الغضب:

«وهي من المظاهر الانفعالية الشائعة عند أطفال هذه المرحلة، ويؤكد (الأكلينيكيون) أن هذه النوبات هي شيء عام وطبيعي عند جميع الأطفال في هذه الفترة، بغض النظر عن الثقافة التي يعيشون فيها. ولا تعتبر هذه النوبات ذات صفة مرضية إلا حينما تكون عنيفة جداً، ومتكررة بشكل زائد وتأخذ فترة طويلة نسبياً»[2].

وأساليب التعبير عن انفعال الغضب قد تكون مباشرة تتجه إلى المثير نفسه بالاعتداء عليه بالأساليب البدائية كالضرب والعض، وقد تكون بالاعتداء على ممتلكاته وما يتصل به وذلك بالتدمير والإحراق والسلب، وقد يكون كذلك باللجوء إلى التهديدات والشتائم والنقد. وهناك أساليب غير مباشرة قد يتبعها الطفل خاصة في أواخر هذه المرحلة وبداية المرحلة التالية من النمو (طفل المدرسة الابتدائية) ونذكر منها: السرقة والكذب والهرب والاستغراق في النوم.

وفي كلتا الحالتين من الأساليب، يكون صاحبها ذا شخصية إيجابية وأما الشخصية السلبية (الأطفال الانطوائيين) فيلجأ صاحبها إلى الانطواء على النفس، والابتعاد عن الآخرين أو الإضراب عن الكلام أو الطعام وقد تصل نوبات الغضب إلى درجة شديدة كاحتقان الوجه واحتباس الكلام أو الإغماء أو كثرة البكاء وغير ذلك من الأساليب التي يلجأ إليها الطفل لا شعورياً للحصول

---

(١) البخاري: جـ٨، ص ٣٥.

(٢) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق، ص ٢٦١.

على حاجاته المادية والمعنوية[1].

أما عن أسباب الغضب فمتعددة: فمنها ما يرجع إلى اتباع الوالدين لمعاملات غير عادلة بين أولادهم[2]، وكذلك التنافس بين الإخوة بالمنزل والقيود الموضوعة على حركة الطفل وتصرفاته وانفعالاته[3]، ومنها أيضاً ما يرجع إلى التدليل حيث يعتاد الطفل على إجابة جميع مطالبه بلا استثناء خاصة أثناء نوبة غضبه[4].

«وقد يكون الغضب صورة من الغضب عند الوالدين، حيث تحدث هذه الحالة إما بالتقليد (باعتبار الوالدين مثلاً علياً للطفل) أو كرد فعل على غضب الوالدين وشجارهما أمام الطفل، وهو ما يجب على الأبوين تجنبه تماماً»[5].

ومن ذلك يتضح أنه ليس من السهل إعطاء تفسير واحد يوضح أسباب الغضب جميعاً، ولكن يمكن وضع القاعدة الأساسية التي تقف من ورائها، وهي: أن الأنسان تحركه دوافع تحمل طاقات قوية، وأن هذه الدوافع تتصارع فيما بينها، وإن سلوك الإنسان ما هو إلا نتاج لهذا الصراع[6].

ومواجهة حالات غضب الأطفال من الوالدين لها آثارها على نفسية الطفل. فعقاب الطفل أثناء نوبة الغضب قد يؤدي إلى عكس المطلوب، بل إن محاولات إسكات الطفل لا جدوى منها وقد تطيل مدة النوبة. فعلى الوالدين أن يستجيبوا لهذه الحالات بالهدوء، وبأن يقتربوا من الطفل ويتحدثوا إليه بصوت رقيق ناعم. كما أنه يمكن أن يؤخذ الطفل بالحزم والحنان في نفس الوقت، أو بصرف طاقته ومجهوده إلى موضوع آخر مع تجاهل نوبة الغضب[7].

---

(١) معروف زريق: كيف نربي أبناءنا، مرجع سابق، ص ٥٧.
(٢) جابر عبد الحميد جابر: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١١٩.
(٣) محمد عماد الدين اسماعيل: مرجع سابق، ص ٢٦٢.
(٤) معروف زريق: مرجع سابق، ص ٥٩.
(٥) معروف زريق: مرجع سابق، ص. ص ٥٩ ـ ٦٠.
(٦) المرجع السابق، نفس الصفحات.
(٧) محمد عماد الدين اسماعيل: مرجع سابق، ص ٢٦٣.

هذا ما يقوله علماء النفس المعاصرين بشأن موضوع نـوبات غضب الأطفال في مرحلة ما قبل المدرسة. أما موقف الإسلام في معالجة هذه الظاهرة فيمكن تتبعه من معرفة الأسباب التي تكمن وراء الظاهرة وماذا جاء فيها من مصادر التربية الإسلامية.

ـ فقد ترجع نوبات الغضب إلى اختلاف الوالدين في معاملة أولادهم:

★ قال رسول الله ﷺ: «إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل»[1].

★ وروى الطبراني وغيره أن رسول الله ﷺ قال: «ساووا بين أولادكم في العطية»[2].

★ وروى أنس أن رجلاً كان عند النبي ﷺ فجاء ابن له فقبله وأجلسه على فخذه، وجاءت ابنة له فأجلسها بين يديه، فقال رسول الله ﷺ: ألا سويت بينهما؟»[3].

★ وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلاماً كان لي. فقال رسول الله ﷺ: «أكل ولدك نحلته مثل هذا؟ «فقال: لا قال: «اتقوا الله واعدلوا في أولادكم» «فرجع أبي فرد تلك الصدقة»[4].

ـ وقد ترجع إلى معاملة الطفل بالتدليل الزائد، بالاستجابة لجميع مطالبه، وهذا يجعل منه شخصاً غير قادر على تحمل المسؤولية في الكبر، وهذا يدخل في سمة المؤمن القوي.

★ قال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف»[5]...

---

(١) المتقي: كنز العمال، جـ ٦، ص ٣٣٤.
(٢) عبد الله علوان: مرجع سابق، جـ ١، ص ٣٣١.
(٣) المرجع السابق مباشرة، نفس الصفحة.
(٤) الترمذي: جـ ٦، ص ١٢٦.
(٥) مسلم، جـ ٨، ص ٥٦.

كما أن هذه المعاملة اللينة تجعل منه شخصاً يميل إلى الحياة السهلة الرغدة، بعيداً عن متاعب الحياة ومصاعبها ومشاكلها، ويصدق في هذا:

★ روى الإمام أحمد وأبو نعيم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعاً أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»[1].

وأيضاً مصداقاً لقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «علموا أولادكم العوم، ومُقَاتِلَتكم الرمي»[2] وأيضاً قوله لمسلمي أذربيجان: «أما بعد فاتَّزِرُوا وارتدوا وانتعلوا والقوا الخفاف والقوا السراويلات، وعليكم بثياب أبيكم اسماعيل، وإياكم والتنعم وزي العجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب، وتَمَعْددوا واخشوشنوا، واقطعوا الركب، وانزوا على الخيل نزواً، وارتموا الأغراض»[3].

وهذا يمثل جانباً من توجيهات السنة النبوية في هذا الشأن.

تعليق عام:

تناولنا في هذا الفصل واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة، وأوضحنا أن هذه المرحلة من أهم مراحل النمو نظراً لأن آثارها تمتد مع الفرد طوال حياته. وتفصيلاً لواجبات الآباء تجاه أبنائهم، فقد تناول الباحث ثلاثة أبعاد رئيسية تتم من خلالها العمليات التربوية. وهذه الأبعاد هي: الجسمي، والاجتماعي، والوجداني. أما الأبعاد الأخرى: العقلي، الحركي والروحي (الديني)، فقد ضَمَّنَ الباحث الجانب الحركي ضمن الجانب الجسمي نظراً لتداخلهما في هذه المرحلة من النمو، وأما الجانب العقلي، فإن التعرف عليه وتحديده يعتبر من الأمور الغير مستحبة في هذه المرحلة، ولذا

---

(١) عبد الله علوان، جـ ١، مرجع سابق، ص ٣٢٧.

(٢) ابن قيم الجوزية: الفروسية (طبع بعناية السيد عزت العطار الحسيني) (دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.) ص ٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٠.

فسوف يعالج هذا الجانب في المرحلة التالية. أما الجانب الروحي (الديني)، فسوف يعالجه الباحث في المرحلة التالية، نظراً لعدم وضوحه في هذه المرحلة، وأن الحاجة إليه تبدو في نهاية مرحلة ما قبل المدرسة ومرحلة المدرسة الابتدائية.

وبالنسبة للجانب الجسمي فقد عرض الباحث لخمس نقاط، تعرض علماء النفس المعاصرين لثلاث منها بالشرح والبحث العلمي وهذه النقاط الثلاث هي: الرضاعة، واللعب، وآداب الطعام والشراب، بالرغم من أن النقطة الخاصة بآداب الطعام والشراب جاءت سطحية في معظم الكتابات. أما التربية الإسلامية فقد تعرضت للنقاط الخمسة وزيادة، وهذه نقطة يجب إثباتها هنا.

فبالنسبة للنقطة الأولى وهي (تقبل الطفل) فقد عانت كثير من المجتمعات قديمها وحديثها من بعض الانحرافات السلوكية بالنسبة للطفل المولود، فالبعض كان يقتله إن كان ضعيف البنية، والبعض يرميه للعبيد يربونه، والبعض يئده إن كان بنتاً، والبعض يبيعه أو يقايض به إن كان معسراً (فقيراً وفي ضائقة مالية). وعندما جاء الإسلام حارب كل هذه الصور البشعة، وأكرم الطفل ورعاه، وخاصة إن كان يتيماً، بعكس ما كان يجري، وبالرغم من موقف الإسلام الواضح من حسن تقبل الطفل وحمايته ورعايته، إلا أن بعض المجتمعات الحديثة والمعاصرة ما زالت تتخذ موقفاً عدائياً من المولود، إن كان بنتاً، وتعتبر ذلك نذير شؤم وعار على المجتمع (ومن هذه المجتمعات: صعيد مصر). بل إن بعض المثقفين ما زال يعتقد في أفضلية الذكر على الأنثى، ويرى أن تستمر زوجته في الإنجاب حتى تأتي له بذكر، وإذا لم يأت، فإن مصير هذه الزوجة يكون الطلاق، وجاء في جريدة الأهرام القاهرية حادثة بعنوان[1] (أمّ البنات.. استبدلت مولودتها بمولود ذكر في المستشفى) وحدث ذلك نتيجة خوف الأم من زوجها الذي يعايرها بإنجاب البنات. مع العلم بأن جينات الرجل هي المسؤولة عن تحديد جنس الجنين (ذكراً أو أنثى) وليس المرأة.

---

(١) جريدة الأهرام، الخميس ١١ شعبان ١٤١٠ هـ الموافق ٨ مارس ١٩٩٠ ص ١٣.

وبالنسبة للنقطة الثانية وهي (اختيار اسم حسن) فما زلنا نسمع عن أسماء تتنافى مع شريعة الإسلام، مثل عبد الرسول وعبد النبي . . . . وأيضاً أسماء لبنات أقرب إلى المجتمعات الأجنبية منها للعربية، مثل انجي وجي جي.

ونود أن نشير إلى أن بعض الدول ترغم الأقليات المسلمة التي تعيش فيها، على تغيير أسماء أبنائها بما يتفق مع المذهب الذي تدين به الدولة، ومن هذه الدول: رومانيا، وتايلاند، واليونان.

وهذه الأقليات المسلمة تنطبق عليها الآية الكريمة: **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**[1].

وبالنسبة للنقطة الثالثة وهي (الرضاعة) فقد تحدث علماء النفس عن أهمية الرضاعة الطبيعية سواء بالنسبة للطفل الرضيع أو الأم كما تناولوا بالحديث موضوع الفطام، ونصحوا بالتدرج فيه خوفاً من أثاره النفسية على الطفل. أما ما جاء في مصادر التربية الإسلامية، فقد فصلت أكثر من هذا بكثير وتعرضت لنقاط لم يتناولها علماء النفس المعاصرين إلا في كتابات متفرقة.

فقد أشار القرآن الكريم إلى أهمية الرضاعة الطبيعية، وخاصة من الأم، كما أوضح أن الأمر قد لا يسلم من أن ترضع الطفل غير أمه ولكن في كل الأحوال، فإن مدة الرضاعة لا تتجاوز حولين كاملين، وأوضح المفسرون الأضرار التي يمكن أن تلحق بالأم والطفل إن تجاوزا هذه المدة.

أما ما جاء على لسان مفكري الإسلام مثل ابن سينا وابن الجزار القيرواني، فقد تناولا نقاطاً تفصيلية عديدة ودقيقة، شملت المرضعة والطفل. وقد جاء بشأن الطفل، ما يتعلق بلحظة الميلاد من قطع الحبل السري وربطه، وإيضاً كيفية غسله وتدليكه، وكذلك احمامه وأوقات ذلك وكيفية المحافظة على نظافته، وأيضاً وصفوا حال نوم الطفل. ثم تناولا أهمية اختيار المرضعة ووضعوا مواصفات لتلك المرضعة شملت: العمر، السمنة والهيئة، والخُلُق، وطريقة الإرضاع، والأعمال التي تزوالها، والأطعمة والأشربة. وتناولا بالشرح أيضاً

---

(١) سورة النحل، آية: ١٦.

فطام الطفل، سواء مدته أو نوع الطعام الذي يتناوله بعد الفطام، وهذه المعلومات ذكرت منذ ما يقرب من ثلاثة عشر قرناً، ويبدو لمن يقرأها أنه يطالع كتاباً حديثاً لأحد أساتذة طب الأطفال في إحدى الجامعات الكبرى، وهذا يمثل جانباً واضحاً لعظمة مفكري الإسلام، كما أنه يعتبر مرشداً هاماً للأمهات في كيفية تربية أولادهن ورعايتهم الرعاية الكاملة.

وبالنسبة للنقطة الرابعة وهي (اللعب)، فقد بين علماء نفس الطفولة أهمية اللعب لطفل هذه المرحلة، ووضعوا النظريات التي تفسر ذلك النشاط الحيوي للطفل، كما تعرضوا إلى لعبة الطفل وما تؤديه من إشباع لحاجات نفسية وجسمية واجتماعية وعقلية.

أما التربية الإسلامية فقد أكدت هي الأخرى على أهمية اللعب بالنسبة للأطفال، وكذلك أشارت إلى دور الآباء في مشاركة الأطفال ألعابهم، وأوضحت بعض أنواع الألعاب وأيضاً المواد التي يمكن أن يستخدموها في اللعب.

وأفاض المفكرون الإسلاميون في هذا الأمر، وسبقوا عصرهم والعصور التالية لهم في شرح أهمية اللعب التربوي ووقته ومحاذيره. وفي ضوء أهمية اللعب للأطفال، فإن واقع الساعة لا يشجع الأطفال على اللعب، فالشقة الضيقة، والسكن في العمارات يحرم الطفل من عامل مهم في تكوين شخصية الطفل في الكبر وهو اللعب.

وفي بحث أجراه عالم سويدي بشأن متاعب الأطفال ساكني الشقق الضيقة، ذكر أن الطفل قد يصاب بالانطواء والتلعثم والخجل الشديد، كما قد يفقد القدرة على التكيف مع الظروف المتغيرة للحياة فيما بعد. ويقدم هذا العالم للأم والأب مساهمات للتخفيف من هذه الآثار ومن هذه المساهمات أن تحاول الأم تخصيص ركن من الحجرة تضع فيه لعبه والأشياء التي تخصه، بحيث يستطيع اللعب فيها مع أصدقائه بحرية تامة دون خوف من كسره لأي شيء. وأيضاً على الوالدين أن يخصصا يوماً في الأسبوع يذهب فيه الطفل إلى الحديقة أو النادي أو مزرعة أو أي مكان متسع وآمن بحيث يستطيع أن يجري

وينطلق دون أن تحده أي قيود[1].

وإذا ما تأملنا في حال البيوت السودانية بصفة عامة (بدرجاتها الثلاث الأولى والثانية والثالثة)، اتضح أنها تترك مساحة أمام وخلف الجزء السكني، وهو يلائم تحرك الأطفال بيسر وسهولة، ويتيح لهم فرصة اللعب دون قيود أو تعليمات الأمن الموضوعة داخل حجرات البيت. إلا أن الملاحظ أيضاً أن الأدوات التي يلهو بها الأطفال بسيطة جداً وتفتقر إلى الإبداع والابتكار، وهذا راجع إلى صعوبة ومعوقات استيراد لعب الأطفال وغلو ثمنها مع ضعف المستويات الاقتصادية لمعظم الأسر السودانية.

والأمر هنا يحتاج لدراسة وصفية، تقوم بمسح شامل لإمكانيات العاصمة القومية ـ على سبيل المثال ـ لعمل متنزهات عامة يؤمها الصغار والكبار وتحتوي على ألعاب للأطفال رخيصة الثمن وبسيطة في التركيب ومحلية في المواد المصنعة.

وبالنسبة للنقطة الخامسة وهي (آداب الطعام والشراب)، فقد وجهت التربية الإسلامية أنظار الآباء والأمهات إلى ضرورة مراعاة القواعد الإسلامية المتبعة في تناول الطعام والشراب، ووجوب تعليمها لأولادهم والاصطبار عليها، حتى تثبت لديهم وتصبح جزءاً من شخصياتهم عند الكبر.

هذا بالنسبة للجانب الجسمي (أو التربية الجسمية) أما الجانب الاجتماعي، فقد تناول الباحث أهم خصائص هذه المرحلة العمرية في هذا الجانب، طبقاً لوجهة نظر علماء النفس. أما بالنسبة لما جاء في التربية الإسلامية في هذه المرحلة العمرية فقد تمثل أساساً في تحمل الآباء والأمهات (العناصر الرئيسية في الأسرة) لمسؤولياتهم في عمليات تطبيع الطفل اجتماعياً، والتي يمكن أن تتم من خلال عدة وسائل منها:

- التعامل بالرحمة مع الأبناء.
- التعامل بالعطف واللين في غير إسراف.

---

(١) محمد رفعت: كيف تربين أولادك، مرجع سابق، ص. ص ١٧١ ـ ١٧٣.

- العدل والمساواة في المعاملة بين الإخوة.
- إتاحة فرص اللعب الجماعي بصفة خاصة، واللعب بصفة عامة.

على أن تكون هذه الوسائل وغيرها في إطار العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة وبين أعضائها، حتى يتعرف الطفل على الأدوار الاجتماعية والمكانات، والتي تلعب دوراً هاماً في عمليات التطبيع الاجتماعي.

وهنا يؤكد الإسلام على الحرص على صلة الأرحام، حتى تتسع دائرة التفاعلات الاجتماعية، وخاصة إذا تمت في إطار الحب والود والتسامح والتعاون.

ولم تهمل التربية الإسلامية، الطفل اليتيم، كما نسيته القوانين والنظم الوضعية. فقد جاء في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، الفقرة الثانية من المادة الخامسة والعشرين ما نصه: «حق الطفولة في المساعدة والرعاية الخاصة وعلى تمتع كل الأطفال بقدر متساو من الحماية الاجتماعية». ولكن القرآن الكريم جاء بهذا وتفصيل أكثر وأدق، حيث تميز بإعطاء عناية خاصة لليتامى، ورعايتهم وحفظ حقوقهم، وحسن كفالتهم والسعي على رزقهم[1].

وبالنسبة للجانب الوجداني، والذي يشمل الانفعالية والعواطف والاتجاهات والميول، فقد تناول الباحث أهم المظاهر الانفالية لطفل هذه المرحلة، والتي تتمثل في حدة وشدة انفعالاته.

وناقش الباحث العوامل التي تفسر هذا المظهر السلوكي، كما عرض لموقف التربية الإسلامية في معالجة حدة انفعالات الطفل، ثم انتقل لمناقشة بعض المظاهر الانفعالية لطفل هذه المرحلة، وأولى هذه المظاهر: الخوف، وقد تناول الباحث أنواع الخوف (عادي، مرضي) وتبين أن الخوف مظهر مكتسب لدى الأطفال وليس وراثياً، كما اتضح من المناقشة العوامل التي تساهم

---

(١) راجع:
أحمد حافظ نجم: حقوق الإنسان بين القرآن والإعلان (دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٨٧) ص ١٣٥.

في زيادة الخوف المرضي لدى الأطفال وكيف عالجت التربية الإسلامية هذه الأسباب. وذلك من سلوكيات الآباء وأفراد المجتمع المحيطين بالطفل. والمبدأ العام لعلاج الطفل ـ كما هو في الكبار ـ «درهم وقاية خير من قنطار علاج» بمعنى عدم اللجوء إلى تخويف الطفل من أشياء لا لزوم لتخويفه منها، وليس معنى هذا ألا يخاف الطفل مطلقاً، فالخوف لا بد منه في بعض الأمور لأنه يحفظ بقاء الإنسان، فعليه أن يخاف من الله وإيذاء الناس، وارتكاب الجرائم.. الخ، وليكن خوفه طبيعياً سوياً لا مبالغة فيه ولا تهاون. وهناك مجموعة من الوسائل التي يتبعها الأطباء النفسانيون في علاج حالات الخوف المرضي لدى الأطفال، ويمكن الرجوع إلى تفاصيلها في مراجعها المتخصصة[1].

والمظهر الانفعالي الثاني فهو (نوبات الغضب)، وهو كسابقه قد يكون عادياً ومطلوباً، وقد يكون مرضياً. والغضب عند الأطفال له أسبابه الكثيرة والمتداخلة، وبعضها قد يكون مسبباً لمظهر انفعالي آخر غير الغضب، لذا فإن بعض الأسباب قد تكررت هنا وفي حالة الخوف.

والتربية الإسلامية عندما تعاملت مع الإنسان لم تتعامل معه كجزئيات، بل ككل متكامل، ولذا نجد حديث رسول الله ﷺ جامعاً لأكثر من مشكلة أو حالة مرضية ولكن العلاج قد يكون واحداً.. ومن أمثلة ذلك حديث رسول الله ﷺ عن العدل بين الأبناء: «ساووا بين أولادكم في العطية»، فقد يكون العدل بين الأبناء مانعاً لإثارة غضب الطفل، وقد يكون العدل بين الأبناء أحد طرق التطبيع الاجتماعي للطفل، وقد يكون علاجاً لمشكلة الطفل المدلل.

وهكذا في مواقف كثيرة، ولكن ليس كل المواقف، حيث تختص بعض المواقف بعلاج حالات بعينها.

---

(١) ومن هذه المراجع:
(أ) فاخر عاقل: أصول علم النفس وتطبيقاته، مرجع سابق، ص. ص ٢١٩ ـ ٢٢١.
(ب) معروف زريق: كيف نربي أبناءنا، مرجع سابق ص. ص ٤٢ ـ ٤٤.
(جـ) محمد رفعت: كيف تربين أولادك، مرجع سابق ص. ص ١٤٥ ـ ١٤٧.
(د) محمد عماد الدين اسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق.

واجبات الأباء تجاه أبنائهم في مرحلة المدرسة الابتدائية الطفولة الوسطى والمتأخرة

يتضمن الفصل.

التربية الجسمية.

التربية الاجتماعية.

التربية الايمانية.

التربية العقلية.

يميل بعض الباحثين إلى تقسيم مرحلة المدرسة الابتدائية، والتي تمتد من سن ست سنوات حتى اثنتي عشرة سنة، إلى مرحلتين، المرحلة الأولى ويسمونها بالطفولة الوسطى[1]، وتمتد من ٦ ـ ٩ سنوات، والمرحلة الثانية ويسمونها بالطفولة المتأخرة أو الطفل على مشارف المراهقة، وتمتد من ٩ ـ ١٢ سنة. والبعض يتجه لدراسة هذه المرحلة (من ٦ ـ ١٢ سنة) كمرحلة واحدة ويسمونها مرحلة المدرسة الابتدائية، وهذا ما اتبعناه في دراستنا هذه: حيث تتسم طبيعة البحث بالتعرف على المواطن التي يتوجب على الآباء معرفتها عن أبنائهم، حتى يستحسنوا تربيتهم ورعايتهم، وهذا يتطلب دراسة هذه المرحلة بشكل كلي متكامل. هذا بالإضافة إلى أن «النظريات المتوفرة عن هذه المرحلة من النمو لم تبلغ من الشمول والعمق ما بلغته تلك الفترة التي قبلها، وفضلاً عن ذلك فإن البحوث التجريبية التي أجريت على الأطفال في هذه السن أقل كثيراً مما أجري على من يصغرهم وربما كان ذلك بسبب مقاومة الأطفال من سن الثامنة للدراسة وتخلصهم منها[2].

وعندما يلتحق الطفل بالمدرسة الابتدائية في بداية هذه المرحلة، تتسع

---

(١) تسمى المرحلة من سن سنتين إلى خمس سنوات مرحلة الطفولة المبكرة.

(٢) ايفان جونسر: **رسائل الآباء إلى الأولاد**: ترجمة لطفي الخولي ومحمد أمين (دار التضامن، بغداد، ١٩٦٢) ص١١٢.

البيئة التي يتعامل معها الطفل، لذا فإن انتقاله سوف يصاحبه تغييرات أساسية وهامة في علاقته ببيئته. فقد كانت البيئة من قبل أكثر إشباعاً لحاجاته، وأوفر رفقاً بميوله واستعداداته، ولم تكن تحتوي على عناصر التحدي والإثارة التي تزخر بها هذه البيئة الجديدة. لقد كان الطفل ينمو في بيئته السابقة، سواء أكانت المنزل أو دار الحضانة، وقد ترك لشأنه دون تدخل كبير من القائمين على شؤونه، وكان يعوّل في نموه على مبدأ النضج أكثر مما يعوّل على مبدأ التعلم. أما البيئة الجديدة، وهي المدرسة، فهي بيئة أكثر تعقيداً، وأكثر فاعلية ونشاطاً، ولذلك كانت عملية النقل من البيئة الأولى إلى البيئة الثانية، عملية لا تخلو من عنصر المفاجأة بالنسبة للطفل. وقد تبين أن الأطفال الذين يأتون من دور الحضانة أكثر استعداداً لهذه التغييرات من الأطفال الذين يأتون من البيئة المنزلية مباشرة.

والطفل عندما يأتي إلى المدرسة الابتدائية، يحمل انطباعات بيئته الأولى، والخبرات الانفعالية والإدراكية التي مر بها، والاتجاهات والميول التي اكتسبها، والقيم والمعايير الاجتماعية التي آمن بها. أي إنه يأتي إلى المدرسة وقد شكل على نحو خاص. وهذا التشكل في شخصيات تلاميذ المدرسة الابتدائية يؤدي إلى بعض الصعوبات التي تواجه المدرسة في رعاية نمو تلاميذها، فالتلاميذ قد أتوا إليها، وقد علقت بنفوسهم الكثير من آثار سوء الدعاية التي تعرضوا لها بسبب جهل الآباء والأمهات وتبلورت هذه الآثار في صورة مشكلات وانحرافات في النمو[1].

وتتطلب هذه المرحلة من الطفل أنواعاً جديدة من التوافق مع المدرسة وما تحتويه من زملاء، ومع البيئة المحلية، ومع طبقته الاجتماعية[2] وتتوقف استجابات الطفل لهذه المواقف والعلاقات الجديدة على نوع الشخصية التي

---

(١) عزيز حنا داود، زكريا اثناسيوس: دراسات في علم النفس (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ، ١٩٧٠) ص ١٠٧.

(٢) محمد سعيد فياضي: الآداب الاجتماعية في الإسلام (دار المعارف الاسكندرية، ١٩٧٨) ص ٦٣.

نَمَّاها نتيجة لتعلمه في بيئته الأولى (المنزل أو الحضانة). وقد أبرز العالم الفرنسي ميرفي إن الخبرات الجديدة هذه تعني أشياء متباينة جداً بالنسبة للأنواع المختلفة من الأطفال(١).

وعلى الرغم من هذا الدور المتعاظم للمدرسة، فإن للأسرة دورها الهام أيضاً في هذه المرحلة، إلا أنه بالمقارنة بدورها في المرحلة السابقة يتضح أن دورها في مرحلة المدرسة الابتدائية قد تراجع بصورة واضحة، وأفسح المجال لكي تأخذ المدرسة دورها كذلك في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي.

وهذا الفصل يعالج جوانب التربية: الجسمية، والاجتماعية، والإيمانية والعقلية. وواجبات الآباء إزاءها. من خلال عرض وجهات نظر وخبرات علماء النفس والتربية، ثم من خلال عرض ما جاء في التربية الإسلامية.

اولاً: التربية الجسمية.

بالرجوع إلى ما كتب في مراجع علم نفس النمو عن أهم مظاهر النمو الجسمي والفسيولوجي والحركي لطفل المدرسة الابتدائية. يتضح ما يأتي:

١ ـ تتميز مرحلة الطفولة الوسطى بالبطء في سرعة النمو الجسمي، بالمقارنة لما حدث في المرحلة السابقة، وما سيحدث في المرحلة اللاحقة.

٢ ـ في نهاية هذه المرحلة تتعدل النسب الجسمية وتصبح قريبة الشبه بها عند الراشد.

٣ ـ في بداية المرحلة تتساقط الأسنان اللبنية، ثم في نهاية المرحلة تظهر الأسنان الدائمة.

٤ ـ بالنسبة للفروق بين الجنسين في النواحي الجسمية، يكون البنون أطول قليلاً من البنات، وفي منتصف المرحلة يتساوى الجنسان، وفي نهايتها

---

(١) مجلة الدراسات التربوية، تصدر عن كلية التربية جامعة الفاتح ـ ليبيا، المجلد الثاني، ١٩٨٣، ص٤٣، بحث منشور لـ عمر التومي الشيباني بعنوان (الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية).

تبدو الفروق واضحة، فالبنون يكون نصيبهم من النسيج العضلي أكثر من البنات، بينما البنات تزداد في نصيبها من الدهن الجسمي، كما أن البنات تكون أقوى قليلاً من البنين، وأكثر وزناً وطولاً. وتبدأ ظهور الخصائص الجنسية الثانوية لدى البنات قبل البنين في نهاية هذه المرحلة.

٥ ـ تتميز بداية هذه المرحلة بالصحة العامة، ولكن مع دخول الطفل المدرسة يصبح الأطفال أكثر عرضة للأمراض المعدية مثل الحصبة والنكاف والجدري. وفي نهاية المرحلة يصبح الطفل أكثر مقاومة للمرض، ويتحمل التعب ويكون أكثر مثابرة.

٦ ـ يزداد نشاط الأطفال للحركة واللعب كالجري والقفز والتسلق وركوب الدراجات ذات العجلتين، كما يبدأ حبهم للمباريات المنظمة. وتميل الفتيات للحركة الأكثر دقة والتي تتطلب اتزاناً ومهارة كنط الحبل والرقص التوقيعي.

٧ ـ يزداد التوافق بين العين واليد في الأعمال اليدوية، لذا يميل الأطفال إلى أعمال الصلصال وعمل النماذج الخشبية والقص والمزق، وتميل البنات لأعمال الإبرة، ويقل اهتمام البنات تدريجياً باللعب بالعرائس حيث يتلاشى تقريباً هذا الميل في سن الحادية عشرة. وفي نهاية هذه المرحلة تنمو العضلات الدقيقة ويصبح الطفل لديه القدرة على استخدام أصابعه بشكل أكثر دقة، فيتجه لاستخدام أدوات النجارة كالشاكوش ولذا يميل الطفل للأعمال الخشبية، وإقامة المباني بالمكعبات، وعمل التريكو والتدبير المنزلي وأعمال المطبخ بصفة عامة.

٨ ـ للبيئة الثقافية والجغرافية التي يعيش فيها الطفل تأثير على نشاطه الحركي، فرغم أن الأطفال في جميع أنحاء العالم متشابهون بصفة عامة في نشاطهم الحركي (الجري، والقفز، والتسلق، واللعب). إلا أن الاختلافات الثقافية والجغرافية تبرز بعض الاختلافات في هذا النشاط، فالتزحلق على الجليد في شمال أوروبا لا يتيسر لأطفال وسط إفريقيا، وهكذا.

٩ ـ ويؤثر المستوى الاجتماعي الاقتصادي للأسرة في نوع النشاط

الحركي للأطفال، فاللعبة التي يهتم بها طفل الأسرة الفقيرة تختلف كماً وكيفاً عن اللعبة التي تتيسر لطفل الأسرة الغنية.

تلك هي أهم الخصائص الجسمية والحركية لطفل المدرسة الابتدائية، بصفة عامة، ولا شك أن للآباء واجبات تجاه تلك الخصائص كما أن للمدرسة كذلك واجبات، وبمراعاة هدف البحث الحالي، فإننا سوف نهتم بالدرجة الأولى بواجبات الآباء تجاه أبنائهم في هذه المرحلة، والتي يمكن أن تتمثل في:

١ ـ على الآباء الاهتمام بتغذية أبنائهم في هذه المرحلة، حيث يحتاج الطفل النامي إلى غذاء أكثر. كما يجب عليهم أن يعودوه على العادات الصحية في تناول الطعام من حيث تنوعه وكميته وتوقيته، كما يجب عليهم الاستمرار في تعليمه آداب الطعام والشراب.

وقد عرضنا في الفصل السابق لواجبات الآباء تجاه أبنائهم بالنسبة لآداب الطعام والشراب كما جاءت في السنة النبوية. أما بالنسبة لتعويد الأطفال التنوع في تناول الطعام، فسوف نعرضه هنا إن شاء الله.

فقد أشار القرآن الكريم إلى إباحة كل ألوان الطعام: **﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾**[1]. والطيب من الرزق هو الطعام الحلال، أي الذي لم يحرمه الشرع بالنص أو الذي يأتي بطرق غير مشروعة كالسرقة والربا. وقال عز وجل: **﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾**[2].

والرسول الكريم اعتبر كل أنواع الغذاء الحلال الطيب صالحة للبدن ومفيدة له، ولم يعب منها شيئاً.

★ فعن أبي هريرة قال: «ما عاب النبي ﷺ طعاماً قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه»[3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣٢.
(٢) سورة سبأ، آية: ١٥.
(٣) البخاري، جـ٧، ص ٩٦.

وقد أكدت السنة النبوية على حاجة الجسم إلى البروتينات، والتي توجد في اللحوم الحمراء والبيضاء:

★ فعن زهدم الجرمي قال دخلت على أبي موسى وهو يأكل دجاجة فقال: ادْن فكل. «فإني رأيت رسول الله ﷺ يأكله»(١).

★ عن جعفر بن عمرو بن أمية الضمري عن أبيه قال: «رأيت رسول الله ﷺ يجتز من كتف شاة فأكل منها، فدعي إلى الصلاة فقام فطرح السكين فصلى ولم يتوضأ»(٢).

★ وعن أم سلمة: «أنها قربت إلى رسول الله ﷺ جنباً مشوياً فأكل منه ثم قام إلى الصلاة، وما توضأ»(٣).

ومن الأحاديث السابقة يتبين أن الرسول ﷺ أكل اللحوم الحمراء والبيضاء، وبصورة متعددة(المطهي والمشوي)، كما أنه عليه السلام كان حريصاً على تناول الأجزاء سهلة الهضم من الشاة.

وبالإضافة إلى تناول اللحوم، فقد أكدت السنة النبوية على تناول «اللبن» لفائدته الصحية البالغة خاصة للأطفال.

★ عن ابن عباس قال: دخلت مع رسول الله ﷺ أنا وخالد بن الوليد على ميمونة بنت الحارث فجيء بإناء من لبن، فشرب رسول الله ﷺ وقال: «من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه. ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك فيه وزدنا منه. فإنه ليس من شيء يجزي من الطعام والشراب غير اللبن»(٤).

وأما الاهتمام بالمواد السكرية:

---

(١) الترمذي، جـ٨، ص. ص ٢٠ ـ ٢١ (قال عنه: حديث حسن).
(٢) البخاري، جـ٧، ٩٨.
(٣) الترمذي، جـ٨، ص ٢٤ (وقال عنه: حديث حسن صحيح غريب).
(٤) ابن سعد: الطبقات الكبرى، جـ١، ص ٣٩٧

★ فعن عائشة أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يحب الحلواء والعسل»(١).

★ قال رسول الله ﷺ: «من تصبح كل يوم سبع تمرات عجوة لم يضره في ذلك اليوم سم ولا سحر»(٢).

وأيضاً أشارت السنة النبوية إلى تناول الخضروات الطازجة والفاكهة، والباب فيه الكثير من التفاصيل.

وختاماً لهذه النقط، نُذَّكر الآباء بتوجيه أبنائهم بعدم الإسراف في الغذاء، بل الواجب هو الاعتدال. يقول الله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾(٣) ويقول رسول الله ﷺ «ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه، بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»(٤).

٢ ـ على الآباء والمربين أن يهتموا بلعب الأطفال، وحسن تدريبهم على آداء المهارات الحركية، وتوجيه ألعابهم بما يعود عليهم بالفائدة. كذلك عليهم تشجيع الأطفال على الحركة التي تتطلب الشجاعة، مع تنوع هذه الحركات حتى لا يمل الطفل. ويهتم أيضاً بالهوايات كل حسب جنسه.

وقد اهتمت التربية الإسلامية باللعب أيّما اهتمام، وأولته اهتماماً بالغاً، وقد فصلنا ذلك في الفصل السابق.

٣ ـ ويحسن بالآباء أن يعودوا أولادهم على نظافة أبدانهم، وقيامهم بهذه المهمة بشكل مستقل عن والديهم. وقد اهتمت التربية الإسلامية كذلك بهذه الجوانب وراعتها في مختلف المواقف، سواء في العبادات أو في سلوكيات الحياة اليومية، وقد عالجنا هذه النقطة بتفصيل كاف في الفصل التالي تحت

---

(١) البخاري: جـ٧، ص ١٠٠.
(٢) البخاري: جـ٧، ص ١٠٤.
(٣) سورة الأعراف، آية: ٣١.
(٤) الترمذي: جـ٩، ص ٢٢٤ (وقال عنه حديث حسن صحيح).

عنوان (مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية).

٤ ـ وعلى الآباء أن يوجهوا أبناءهم للقيام بجانب من الأعمال المنزلية، وخدمة أنفسهم، كنظافة أسِرَتهم وحجراتهم، وأماكن الطعام، واللعب، وترتيب أدوات اللعب والمحافظة عليها، وترتيب كتبهم وأدواتهم المدرسية، وما إلى ذلك. وقد كان الرسول عليه السلام، قدوة حسنة لنا، فقد كان يساعد زوجاته، وكان يصلح نعله، ويخيط ثوبه.

ثانياً: التربية الاجتماعية

تلعب الأسرة دوراً هاماً، بجانب المدرسة، في تربية طفل المدرسة الابتدائية اجتماعياً، ويبدو ذلك من خلال الرجوع إلى ما كتبه علماء نفس النمو وعلماء الاجتماع، وهذا ما تبينه النقاط الآتية:

١ ـ علاقات الطفل بأعضاء أسرته وجماعات الكبار:

تتميز علاقة الطفل بأمه في تلك المرحلة بالعطف والحب والطاعة، فهو يطيعها ويعاونها، ويشعر بألم إذا أصابها مرض أو مكروه، وهو فخور بها، يناقشها فيما تقول، وأحياناً لا يعجبه سلوكها فيصفها ببعض الألفاظ كاللؤم والمكر والخطأ معاً إلى ذلك، ولكنه مع ذلك لا يشعر بالراحة إذا رجع من المدرسة ولم يجد أمه بالمنزل. وفي العام التاسع يتجه الطفل إلى الاستقلالية فيحاول الاعتماد على نفسه ولا يطلب منها شيئاً يمكنه القيام به[1].

أما علاقته بأبيه فهي تقوم على أساس الاحترام والإعجاب والخوف، فالطفل يتقبل كلام الوالد على أنه قانون غير قابل للمناقشة. وفكرة الطفل عن أبيه أنه الإنسان الذي يعرف كل شيء، وهو لذلك يقبل عليه وقت وجوده في المنزل ولا يود أن يترك أباه دقيقة واحدة، وهو يسر جداً من لعب أبيه معه.[2].

كما أن الطفل في بداية المرحلة يلتصق بأسرته التصاقاً كبيراً، فهو فخور

---

(١) و(٢) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ١٤٢ ـ ١٤٣.

بوالديه وبنظام المنزل وبمكانته في الأسرة، ويبذل جهده في المنزل ويسر جداً من النزهات العائلية، وزيارة أفراد الأسرة الآخرين.

أما في نهاية هذه المرحلة فيتميز سلوك الطفل باحتكاكه بجماعات الكبار، واكتسابه معاييرهم واتجاهاتهم وقيمهم، فهو يعد نفسه لكي يصبح كبيراً. فالولد يبدي استعداداً كبيراً لقبول آراء والده وإخوته، ويتعصب لآرائه ومعتقداته، ويلوح أنه على استعداد لمناقشة بعض المسائل الاجتماعية إذا أرشده شخص كبير يثق فيه. كذلك الحال في الفتاة، فهي تهتم بالأمور المنزلية وبالرأي العام، ومشكلات الزواج، ومشكلات الأسرة، وبالمظهر الخارجي وارتداء أحدث الأزياء، وهذا كله ناتج عن قابلية الطفل للإيحاء، وهنا يمكن للآباء والمعلمين أن يدربوا الطفل على الآراء الديمقراطية، كالحريات واحترام الغير واحترام النفس.

وعلى الآباء أن يوفروا للطفل فرص المشاركة الاجتماعية في مجتمع الأطفال والكبار، وتنمية حساسيته لحاجات ورغبات الآخرين. كان يأخذ الوالد ابنه معه إلى المسجد للصلاة والتعرف على أطفال الجيران وآبائهم، كما يمكنه مصاحبة ولده في شراء الحاجيات من السوق. وهكذا بالنسبة للبنت.

٢ ـ علاقته بجماعة الرفاق:

يزداد تأثير جماعة الرفاق على الطفل مع أواخر هذه المرحلة، حيث يكون التفاعل مع الأقران على أشده، ويشوبه التعاون والتنافس والولاء والتماسك، ويستغرق العمل الجماعي معظم وقت الطفل. ويفتخر الطفل بعضويته في جماعة الرفاق. ولكي يحصل الطفل على رضا الجماعة وقبولها له نجده يساير معاييرها ويطيع قائدها، ويرافق زيادة تأثير جماعة الرفاق نقص تأثير الوالدين بالتدريج[١].

وهنا تقع على الآباء مسؤولية تعليم الطفل كيفية اختياره لأصدقائه وكيف

(١) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

يتفاعل ويتعاون معهم.

كما تقع على الآباء مسؤولية متابعة الطفل عند اختياره لجماعة رفاقه خوفاً من جنوحها - ويمكن للآباء تشجيع الطفل على الانضمام لجماعات الكشافة والأشبال بالمدرسة والخروج في رحلات ومعسكرات للتدريب على تحمل المسؤوليات الاجتماعية والقيادة.

٣ - الشعور بفرديته:

بمعنى أنه يشعر بأنه متميز عن غيره من الأفراد الذين يعيشون معه، وكذلك يشعر بفردية غيره من الناس. فإذا سألته عن مدرس اللغة قال لك: «إنه مدرس طيب، إلا أنه يحابي بعض الأفراد ويقسو على البعض الآخر»، وبالتالي فإنه يحاول أن يضفي على كل مدرس نوعاً من الخصوصية يتميز بها عن غيره من الناس[١].

وتقدير فردية الطفل هام جداً في هذه المرحلة، فمن الضروري أن ينال الطفل هذا التقدير في المنزل والمدرسة. فإذا ما فقد الطفل التقدير لشخصه، فإنه غالباً ما يتجه إلى الجنوح بأساليبه المختلفة البسيط منها والمعقد، كما قد ينعكس ذلك أيضاً على تحصيله الدراسي ويصبح متأخراً دراسياً.

لذا على الآباء والمعلمين أن يهتموا كثيراً بإنماء شعور الطفل بفرديته: في الملكية، وفي التعبير عن رأيه، وفي إعطائه بعض المسؤوليات البسيطة، وفي تنظيمه لشؤونه الخاصة.

٤ - التوحد مع الدور الجنسي المناسب Sex Role:

فالولد يتوحد مع جماعة الذكور، ويعمل على اكتساب صفات الذكورة الشائعة بين الشباب والكبار، وكذلك يسعى إلى اكتساب المعايير السلوكية

---

(١) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ١٦٢.

والميول والاتجاهات، وأنواع الألعاب السائدة بينهم، ويهتم الصبي أيضاً بالنشاط التنافسي ولا سيما خلال الألعاب الرياضية والهوايات.

والبنت تتوحد مع جماعة الإناث، وتعمل على اكتساب صفات الأنوثة الشائعة بينهن، وكذلك اكتساب مختلف القيم والمبادىء والمعايير والاهتمامات العامة السائدة بينهن. وتهتم أيضاً ببعض نشاطات شغل أوقات الفراغ مثل: الحياكة والأشغال اليدوية مثل التطريز وأشغال الإبرة، بالإضافة إلى الأعمال المنزلية والطهي وما إلى ذلك[1].

وتتأثر عملية التنميط الجنسي بعملية التعلم بالتقليد، وتتأثر بوجود الوالد من نفس جنس الطفل، بمعنى أن الولد الذي ينشأ في كنف أبيه يظهر لديه السلوك الجنسي الذكوري بشكل أوضح من زميله اليتيم أو الذي ربته أمه بعد انفصالها عن أبيه، أو الذي يتركه والده لفترات طويلة سعياً وراء الرزق، وكذلك الحال بالنسبة للبنت.

كما تتأثر عملية التنميط الجنسي بالطبقة الاجتماعية، حيث يتم التنميط الجنسي في الطبقة الدنيا أسرع منه في الطبقتين الوسطى والعليا.

٥ ـ الميل إلى عدم الاختلاط:

فالأطفال في هذه المرحلة لا يميلون للاختلاط مع أطفال من الجنس الآخر، فالأولاد يتجمعون معاً، والفتيات يتجمعن معاً، وكل مجموعة تمارس من الألعاب ما يتفق وتطورها وإعدادها للمرحلة القادمة، مرحلة المراهقة. وتكون الاتصالات الاجتماعية بين الجنسين مشوبة بالفظاظة والمضايقات والخجل والانسحاب. ويظل الحال هكذا حتى مرحلة المراهقة.

٦ ـ الاتجاهات الوالدية نحو الطفل:

فالطفل يحتاج إلى النمو الاجتماعي في جو أسري هادىء مستقر، ويحتاج

---

(١) زيدان عبد الباقي: **الأسرة والطفل** (مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٠)، ص ٢١٤.

إلى مساعدة والديه في هذه المرحلة الانتقالية، ويحتاج كذلك إلى الشعور بالتقبل من أفراد أسرته (والمجتمع بصفة عامة)، فالطفل عندما يشعر بالرفض من أفراد أسرته، فإنه يتخذ سلوكاً غير مقبول. وهذا بدوره يؤدي إلى رد فعل من الوالد، مما يؤدي إلى زيادة شعور الطفل بالرفض. وهكذا تتم الحلقة المفرغة التي يجب تجنبها حتى ينمو الطفل متوافقاً اجتماعياً.

فعلى الآباء أن يتجنبوا السلوك التسلطي والحماية الزائدة، والإهمال والرفض، والتدليل والقسوة وإثارة الألم النفسي، والتذبذب، والتفرقة.

٧ ـ اللعب:

ولعب الأطفال في بداية هذه المرحلة هو امتداد للعبهم في الفترة السابقة، وإن كان يشوبه نوع من التقدم، فهو يشارك في لعب جماعة من خمسة أفراد بيد أن هذه الجماعة مهددة بالتفكك، فقد ينسحب منها أي عضو دون أدنى سبب، والطفل يلعب بين الآخرين، ولعبه لا زال إيهامياً، والتعاون بين الأطفال في لعبهم لا زال ضعيفاً لأن وعي الطفل بالجماعة لا زال ضعيفاً لا يهتم بخير الجماعة ولا بالمحافظة عليها، بل يهتم بالتعبير عن نفسه وإشباع ذاته[١].

أما لعب الأطفال في نهاية المرحلة الابتدائية فهو يختلف عن لعبهم في بداية المرحلة، ولعبهم في المرحلة التالية (المراهقة)، فلعبهم السابق يتسم بالانعزالية، ولعبهم في المراهقة يتصف بأنه لعب جمعي مع الآخرين، فإن لعبهم في هذه الفترة (٩ ـ ١٢ سنة) يتميز بالفردية، فهم ولهون باللعب الذي يحتاج إلى قوة في العضلات، وسرعة فيها كالمطاردة والجري، وهذا يرجع إلى كون الصبي نشطاً ولا يستطيع الاستقرار في مكان واحد مدة طويلة بل يميل إلى الحركة والانطلاق.[٢].

---

(١) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ١٤٣.
(٢) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ١٦٣.

٨ ـ اكتساب المفاهيم الأساسية للمجتمع[1]:

يستطيع طفل الصفوف الثلاث الأخيرة من المرحلة الابتدائية أن يدرك المعاني المجردة إذا وضعت له في قالب بسيط، فهو يدرك معنى الحق ومعنى الواجب، وهو يقارن نفسه بغيره من إخوته وزملائه في الفصل ويسعى وراء تحقيق المساواة والعدل، وهو يود أن يشارك في عمل جمعي للفصل أو للمدرسة أو للأسرة فيدرك معنى التعاون. كما أن مفهومه عن الدين هو مجموعة أساليب المعاملات بين الإنسان وأخيه الإنسان، وبين الإنسان وربه.

وعلى الوالدين أن يغرسا في الطفل بعض السمات الاجتماعية الإيجابية للشخصية مثل الكرم، والشجاعة، والإيثار، ومساعدة الآخرين والتعاون معهم، وإعانة الضعفاء والمرضى والعجزة، وذلك عن طريق القدوة الحسنة والممارسة الفعلية، وليس عن طريق الإرشاد والتوجيه النظريين.

هذه هي أهم السمات الاجتماعية لطفل المدرسة الابتدائية، ومن خلالها اتضحت بعض المسؤوليات الملقاة على عاتق الآباء وكذلك المعلمين والمربين بصفة عامة وسوف نلقي مزيداً من الضوء على هذه الواجبات في ضوء ما جاء في التربية الإسلامية.

التربية الإسلامية والجانب الاجتماعي للتربية:

١ ـ تربية الأبناء على بر الوالدين:

يتميز سلوك الأبناء في هذه المرحلة وأواخر المرحلة السابقة بسمة التقليد والمحاكاة لما يرونه ويسمعونه ممن حولهم، خاصة من أعضاء أسرتهم الذين يثقون فيهم، ويتقبلون نصائحهم وتوجيهاتهم على أنها أمور مسلم بها.

«وهنا يلزم أن يكون الجو الأسري المحيط بالأبناء الصغار يتسم بالهدوء

---

(١) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ١٦٩. وأيضاً زيدان عبد الباقي: مرجع سابق ص. ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

وقلة المشاجرات والمشاحنات والتي تنعكس بلا شك على نفسية الأبناء ويرى علماء النفس أن من أهم العوامل التي تؤثر على التكوين النفسي والعصبي للأبناء الصغار الجو المنزلي، فإذا كان الجو المنزلي مليئاً بالمحبة والعطف والهدوء والثبات، يكون الطفل في الغالب مطمئناً على نفسه، ويلاحظ أن شعور الطفل بقوته، وثقته بنفسه وظهوره بمظهر الاستقرار والثبات، يعكس صورة منزل تسوده العلاقات الطيبة، وأما الاضطراب المنزلي والمشاجرات والمنازعات بين الآباء والأمهات فإنها تعتبر من أهم العوامل التي تؤدي إلى فقدان ثقة الطفل بنفسه نتيجة لفقدانه اطمئنانه إلى الجو المنزلي»[1].

وهذا يلقي على الآباء تبعة التصرفات الحكيمة والمتزنة والأخلاقية حتى يراها ويسمعها أبناؤهم فيقتدون بها. والقرآن الكريم يدعو الآباء إلى حماية ورعاية وتوجيه أبنائهم وزوجاتهم إلى الخير والصلاح دائماً، بالفعل وليس بالكلام:

يقول تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون. كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[2] ويقول أيضاً: **﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة﴾**[3].

فالأب والأم مسؤولان عن تربية أولادهما على البر، بما يقدمانه من بر ظاهر في حياتهما اليومية مع آبائهم وأمهاتهم، ولما يقومان به من تربية تقوم على طاعة الله تعالى، حتى يشب الأولاد على نحو أبيهما وأمهما. وعلى الآباء أن يخاطبوا أولادهم بالأسلوب الذي يتفق مع النمو العقلي الذي وصل إليه أولادهم حتى يستطيعوا أن يفهموا كلامهم وأفعالهم ويستوعبوها.

والمعاملة الكريمة من الآباء والأمهات لآبائهم وأمهاتهم، قضى بها الله

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس الصحة النفسية. ط ٩ (مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩) ص ٣٣٥.

(٢) سورة الصف، آية: ٢ - ٣.

(٣) سورة التحريم، آية: ٦.

تعالى ورسوله الكريم، واعتبرت من موجبات الإيمان بالله. قال تعالى: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً. إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما، وقل لهما قولاً كريماً. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً**﴾[1].

وعلى الأم أن تذكر أباها وأمها بما يليقان من حب واحترام وطاعة، حتى تسمع وترى ابنتها وابنها فيحتذيان بها، ونذكرها بقول الله تعالى في شأن مكانة الأم:

﴿**ووصينا الإنسان بوالديه، حملته أمه وهناً على وهن، وفصاله في عامين، أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير. وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً، واتبع سبيل من أناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون**﴾[2].

فعلى الأبناء أن يلتزموا بطاعة آبائهم، فإنها تفتح لهم أبواب الجنة، وليحذروا معصيتهم فإنها تفتح أبواب جهنم وبئس القرار.

عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «رغم أنف ثم رغم أنف قيل من يا رسول الله؟ قال: «من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة»[3].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «بروا آباءكم تبركم أبناؤكم، وعفوا تعف نساؤكم»[4].

وعن أبي هريرة قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم

---

(١) سورة الإسراء، آية: ٢٣ ـ ٢٤.

(٢) سورة لقمان، آية: ١٤ ـ ١٥.

(٣) مسلم بشرح النووي، جـ٥، ص٤١٦. باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها.

(٤) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ص ١٣٨، رواه الطبري في الأوسط.

من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال أبوك»[1].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رجل للنبي ﷺ: أجاهد؟ قال: «ألك أبوان؟ » قال: نعم. قال «ففيهما فجاهد»[2].

ولذا ننصح الآباء الذين يغفلون جانب التربية لأولادهم في الصغر، ويغضون طرفهم عما يحدث من أفعال خارجة عن آداب الإسلام، ومنهم من يعجب بهذه التصرفات لحدوثها من أطفال، ولا يقدرون ما لهذا التصرف من أثر سيىء على الأولاد في مراحل حياتهم التالية، يتجرعون مرارته بعد ذلك، ولا يفيقون حتى تقع بهم الكارثة، وذلك بتعدي أولادهم عليهم وخروجهم عن توجيهاتهم وقد يصل أحياناً الإيذاء بالقول والفعل (السباب والشتائم والتعدي والضرب، وسرقة أموالهم. وقد تصل الأمور لحد قتلهم إن منعوهم من فعل شيء أو ردوا طلبهم بغير إجابة).

٢ ـ إفساح المجال للعب:

فقد تبين من عرض خصائص السلوك الاجتماعي للطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية، أن الطفل يميل إلى الحركة والنشاط والجري والقفز وزيادة نمو عضلاته الكبرى وليونتها. ولذا فإن الطفل في حاجة إلى الخروج إلى أماكن مفتوحة يستمتع فيها بنشاطه ولعبه، خاصة في وجود الآباء والإخوة والأخوات الذين يشاركونه مرحه ولعبه. وقصة سيدنا يوسف مع إخوته توضح لنا ذلك، حيث كان يوسف عليه السلام طفلاً (أو صبياً) وطلبوا من أبيه أن يأخذوه معهم في البادية كي يلعب ويجري بحرية. قال تعالى على لسان إخوة يوسف: **﴿أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون﴾**[3]. كما أن رسول الله ﷺ أكد على حاجة الأطفال والصبيان إلى اللعب بكل صوره.

---

(١) فتح الباري، جـ١٣، ص ٤. كتاب الأدب باب من أحق الناس بحسن الصحبة.
(٢) البخاري، جـ ٨، ص ٢.
(٣) سورة يوسف، آية: ١٢.

عن ثابت قال: «قال أنس أتى رسول الله ﷺ على غلمان يلعبون فسلم عليهم»[1].

وعن سهل بن سعد قال: مر رسول الله ﷺ على صبيان وهم يلعبون بالتراب، فنهاهم بعض أصحاب النبي، فقال: «دعهم فإن التراب ربيع الصبيان»[2].

والغلمان والصبيان تقع أعمارهم في مرحلة التعليم الابتدائي (٦ ـ ١٢ سنة) أي لم يبلغوا الحلم (مرحلة المراهقة). ويدل رد فعل الرسول عليه الصلاة والسلام على ما شاهده من لعب هؤلاء الغلمان، بإقراره على ذلك، ومدى حاجتهم إلى هذا النشاط. بل إنه عليه السلام كان يشجع الشباب على اللعب الهادف المفيد، سواء بالأسهم أو الحراب أو الجري والسباق والمصارعة وما إلى ذلك من ألوان التربية البدنية[3].

٣ ـ إكسابهم الصفات الشخصية والاجتماعية الإيجابية:

في هذه المرحلة تتسع دائرة الطفل الاجتماعية، وتزداد علاقاته وارتباطاته بالآخرين في الحي والمدرسة وجمعيات النشاط، ويحتاج إلى التكيف السليم مع المواقف والاتجاهات الجديدة في حياته. ويبدأ في تمييز الأفعال وأنماط السلوك التي تكون محل رضا الآخرين أو سخطهم، ويرتبط رضا وسعادة الطفل برضا الآخرين عنه، كما أنه في حاجة تقبل الآخرين له ولأدواره التي يقوم بها في المجتمع، وهذا هو البداية الصحية للتكوين الاجتماعي والخلقي له.

وفي هذه المرحلة لا بد من الاهتمام بالميل الطبيعي لدى الطفل للمحاكاة والتقليد، لأنه من أهم سمات هذه المرحلة، كما أنه يعتبر المدخل الأساسي والرئيسي للتطبيع الاجتماعي لطفل هذه المرحلة. فعن طريق التقليد والمحاكاة

---

(١) سنن أبي داود، جـ ٤، ص ٣٥٢.
(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، جـ ٨، ص ١٥٩.
(٣) يمكن الرجوع إلى تفاصيل ذلك في الفصل الثالث تحت عنوان (اللعب).

لمجتمع الكبار من حوله يكتسب الطفل كل معايير الجماعة والقيم والاتجاهات. وتنمو لديه نوازع الخير، أو ما يسمى بالضمير.

وهذا ما أبرزته السنة النبوية ودعت إلى وجوب مراعاته بالتبصر الحكيم من طرف الآباء والمربين، وأن يكونوا القدوة المثلى في الخلق القويم، والسلوك الكريم، وضبط النفس. واحترام النفس، والتحلي بالفضائل والخصال الحميدة.

قال رسول الله ﷺ: «.... والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة»[١]..

ولا شك أن أولى مسؤوليات الرعاية التي يشير إليها الحديث الشريف، يكون الوالدان قدوة حسنة لأبنائهما في التقوى والصلاح وحسن الخلق والتمثل بالقيم والآداب الاجتماعية.

قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهدوانه وينصرانه ويمجسانه»[٢].

ومن أهم تأثيرات الوالدين في تربية أولادهم، التي يشير إليها هذا الحديث، تأثيرهم بالقدوة، وتأثر الأبناء بهم بالمحاكاة والتقليد، ربهم لكثير من الصفات الخلقية والاجتماعية، ومواقفهم السلوكية، اتهم الانفعالية.

وسوف نتناول جانباً هاماً من الخصال المحمودة التي يجب أن يتحلى بها الآباء والمربون، حتى يقتدي بهم أولادهم وطلابهم. وسوف نركز على جانب لهذه الأخلاقيات والسلوكيات الاجتماعية، وليس كل هذه الصفات التي يجب أن يتحلى بها المسلم. وهذه الصفات تتسم بأنها تمارس بكثرة من جانب الصغار مع الكبار، ويمكن أن يفهم مغزاها طفل هذه المرحلة، وبالتالي يستطيع أن يتمثلها في سلوكه الآن ومستقبلاً.

---

(١) البخاري: جـ ٩، ص ٧٧.

(٢) مسلم: جـ ٨، ص ٥٢.

(أ) الإحسان :

الإحسان هو ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية، وهو خلق فاضل لا بد أن يتحلى به المسلم. والإحسان يعني الإخلاص والصدق في النية ويعني الإتقان والجودة في الأداء، ويعني البر والرحمة والرفق في المعاملات ويعني المراقبة وضبط سلوكياتنا بما يرضي الله عز وجل عنا.

قال رسول الله ﷺ في تعريفه «الإحسان»: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

وعن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فاحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته ليرح ذبيحته»[1].

وعلى الآباء أن يستغلوا المواقف الاجتماعية والمناسبات والأعياد، ليعرفوا ويوجهوا أولادهم بمعنى الإحسان.

(ب) الأمانة :

الأمانة خلق فاضل رفيع، وثمرة من ثمرات الإيمان الكامل بالله تعالى وتقواه، والإخلاص له، في السر والعلن، ومراقبته الدائمة.

قال تعالى: ﴿**إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها**﴾[3]..

وقال رسول الله ﷺ: «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك»[4].

وقال أيضاً: «الأمانة تجلب الرزق والخيانة تجلب الفقر»[5]، وقال

---

(١) مسلم، جـ ١ ص ٢٩.
(٢) مسلم، ج ٦، ص ٧٢.
(٣) سورة النساء، آية: ٥٨.
(٤) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ ١، ص ١٤٥، رواه البخاري في الأدب.
(٥) المرجع السابق، ص ١٤٥، رواه الديلمي في الفردوس.

كذلك: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان»[1].

وفي مقابل خلق الأمانة وضرورة التحلي بها، فقد حذر الإسلام المسلمين من صفة الخيانة، والتي تدل على لؤم النفس ووضاعتها، وضعف وازعها الديني والخلقي. قال تعالى: **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾**[2]. وقال رسول الله ﷺ: «يطبع المؤمن على كل خلق: ليس الخيانة والكذب»[3]، وقال أيضاً: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»[4].

(ج) الرحمة:

وهي من الصفات الخلقية التي يجب أن يتحلى بها المسلم، وهي صفة من صفات الله عز وجل سبقها على غضبه، وبالرحمة يسود الحب والود بين الناس فيتعاطفون ويتكافلون ويتعاونون، وتتضافر جهودهم، كل حسب مقدرته وكفاءته. قال تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾**[5].

وقال رسول الله ﷺ: «لما خلق الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: أن رحمتي تغلب غضبي»[6] وقال أيضاً: « من لا يرحم لا يرحم»[7] ويقول كذلك: «من لا يرحم الناس لا يرحمه الله»[8]. ويقول: «الراحمون يرحمهم الرحمن. ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء. الرحم

---

(١) البخاري، جـ٨، ص ٣٠.
(٢) سورة الحج، آية: ٣٨.
(٣) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ١، ص ٢٦٨، رواه البيهقي في شعب الإيمان.
(٤) مسلم، جـ ٥، ص ١٤٢.
(٥) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.
(٦) مسلم، جـ٨، ص ٩٥.
(٧) البخاري، جـ٨، ص ١٢.
(٨) الترمذي، جـ٨، ص ١١٠، طبعة سوريا.

شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله»[1].

ووجهتنا السنة النبوية كذلك إلى الأخذ بالرحمة للحيوان كذلك والرفق بها: بإطعامها وسقيها وإراحتها، ووقايتها وعلاجها من الأمراض، وعدم تعذيبها بالضرب أو تحميلها ما لا تطيق، أو المثلة بها، وعدم لعنها.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج فإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغ بي، فنزل البئر فملأ خفه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب. فشكر الله له، فغفر له«قالوا: يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ فقال: «في كل ذات كبد رطبة أجر»[2] وعنه أيضاً أنه قال: «إذا سافرتم في الخصب فاعطوا الإبل حظها من الأرض، وإذا سافرتم في السنة فأسرعوا عليها السير»[3] وقال كذلك: «عُذِّبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت، فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقتها إذ هي حبستها، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض»[4].

وعن شداد بن أوس قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ: قال: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته»[5].

وعن عمران بن حصين قال: بينما كان رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة فضجرت فلعنتها، فسمع ذلك رسول الله فقال: «خذوا ما عليها ودعوها فإنها ملعونة «قال عمران: فكأني أراها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد»[6].

---

(١) المصدر السابق، ص ١١١.
(٢) البخاري، جـ ٨، ص ١١.
(٣) مسلم، جـ ٦، ص ٥٤.
(٤) مسلم، جـ ٨، ص ٣٥.
(٥) مسلم، جـ ٦، ص ٧٢.
(٦) مسلم، جـ ٨، ص ٢٣.

وعن مجاهد أن النبي ﷺ «نهى عن التحريش بين البهائم»[1] كذلك «نهى عن الوسم في الوجه»[2]، و«نهى رسول الله أن يقتل شيء من الدواب صبراً»[3].

(د) الصدق:

والصدق يعتبر من الصفات التي يتم بها الإيمان، ويكمل بها الإسلام، أمر الله تعالى به وجعله طريقاً إلى الجنة، وحث عليه رسول الله ﷺ عليه لأنه مصدر راحة الضمير، وطمأنينة النفس، ووسيلة نشر الثقة بين الناس، قال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا الله وكونوا مع الصادقين**﴾[4] وقال رسول الله ﷺ: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك ، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة»[5].

وقال «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»[6].

وقال أيضاً: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محق بركة بيعهما»[7].

وفي مقابل صفة الصدق نجد صفة الكذب وقول الزور والبهتان، وقد حرمتها الشريعة الإسلامية لما لأثرها على الفرد والمجتمع من خراب وتفكك وقطع الأرحام، وسيادة روح البغضاء والتناحر والتنافر.

قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراك بالله، وعقوق

---

(١) الترمذي، جـ٧، ص ٢٠٣، طبعة سوريا.
(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٣.
(٣) مسلم، جـ٦، ص ٧٣.
(٤) سورة التوبة، آية: ١١٩.
(٥) الترمذي، جـ٩، ص ٣٢١، طبعة سوريا.
(٦) البخاري، جـ٨، ص ٣٠.
(٧) مسلم، جـ٥، ص ١٠.

الوالدين، وشهادة الزور أو قول الزور، وكان رسول الله متكئاً فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1].

ويقول أيضاً: «من حلف على مال امرىء مسلم بغير حقه لقي الله وهو عليه غضبان»[2].

وقال: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة: المنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منه، والمنفق سلعته بالحلف الفاجر، والمسبل إزاره»[3].

(هـ) الكرم:

وهو من الأخلاق الفاضلة التي يجب أن يتحلى بها المسلم، باعتباره سمة من سمات النفس الطاهرة الكريمة الملتزمة بالبر بالأهل والأصدقاء والمعارف وبعون غيرهم من المحتاجين.

قال تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾[4].

وقال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته قال: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت»[5].

وعن عبد الله بن عمرو أن رجلاً سأل النبي ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»[6] وقال: «اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»[7]. وقال: «ما نقصت

---

(١) مسلم بشرح النووي، جـ٢، ص. ص ٨١ ـ ٨٢، طبعة دار الفكر.
(٢) مسلم، جـ١، ص٨٦.
(٣) المرجع السابق، ص ٨.
(٤) سورة آل عمران، آية: ٩٢.
(٥) البخاري، جـ ٨، ص ١٣.
(٦) المرجع السابق، ص ٦٥.
(٧) المرجع السابق، ص ١٤.

صدقة من مال»[1]..

وقال: «لا يدخل الجنة خب، ولا منان، ولا بخيل»[2].

وفي مقابل صفة الكرم توجد صفة البخل المذمومة، لأنها تجعل الإنسان يتكالب على الكسب المادي، وجمع المال، كغاية في حد ذاته ويحرم نفسه وأهله من التمتع الحلال به، ويمنع استثماره في العمران وتطوير المجتمع.

قال تعالى: **﴿ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم، بل هو شر لهم، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة﴾**[3].

وقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وأعوذ بك من عذاب القبر»[4].

وقال: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم: حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم»[5].

وقال ﷺ: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[6] وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي فيها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار»[7].

---

(١) مسلم، جـ٨، ص ٢١.
(٢) الترمذي، جـ ٨، ص ١٤١ ـ ١٤٢، طبعة سوريا.
(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨٠.
(٤) البخاري، جـ٨ ، ص ٩٨.
(٥) مسلم، جـ٨، ص ١٨.
(٦) مسلم، جـ٣، ص. ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٧) المرجع السابق، ص ٧٠.

(و) العدل :

وهو من أرفع الفضائل الخلقية، والتي اتصف بها الله سبحانه وتعالى، وحث الرسول ﷺ على التحلي بها، والالتزام بها تجاه الأهل والأقارب والناس أجمعين.

قال تعالى: **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقـرب للتقوى﴾**[1].

وقال ﷺ: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم وما ولوا»[2].

وقال عليه السلام: «سبعة يظلهـم الله يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه، ورجل قلبه معلق في المسجد، ورجلان تحابا في الله، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال إلى نفسها، قال: «إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه»[3].

كما أشار الرسول عليه السلام إلى العدل بين الأولاد وعدم التفرقة بينهم حتى في القُبَـل، فقال: «إن الله يحب أن تعـدلوا بين أولادكم حتى في القبل»[4].

وقال ﷺ: «ساووا بين أولادكم في العطية»[5].

وعن النعمان بن بشير أن أباه نحل ابناً له غلاماً، فأتى النبي ﷺ يُشْهِده، فقال: أكل ولدك نحلته مثل ما نحلت هذا، قال: لا. قال: فاردده»[6].

---

(١) سورة المائدة، آية: ٠٨.
(٢) مسلم، جـ ٦، ص ٧.
(٣) البخاري، جـ ٨، ص ٢٠٣.
(٤) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ ٦، ص ٤٣٤.
(٥) رواه الطبراني. عبد الله علوان، جـ ١، مرجع سابق، ٣٣١.
(٦) الترمذي، جـ ٦، ص ١٢٦، طبعة سوريا.

وكما حثت الشريعة الإسلامية على التحلي بصفة العدل فإنها حذرت من الظلم والبغي والجور، لأنها تقطع وشائج القربى، وتمزق صلات المحبة، وتفرق بين أفراد المجتمع الواحد.

قال تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[1].

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل: «إني حرمت على نفسي الظلم وعلى عبادي فلا تظالموا»[2].

وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»[3]..

وقال ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء[4].

وقال عليه السلام: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه»[5].

وهكذا يمكن أن نتتبع الصفات الأخلاقية والاجتماعية التي حض الإسلام على التحلي بها والعمل بها، ليكون الآباء قدوة لأبنائهم في مختلف المواقف، وليكونوا المثل الأعلى أمامهم، متجسداً في شكل سلوكيات فعليه، وليس في شكل نصائح وألفاظ شفوية. لا يستطيع الصبي أو الصبية أن يستوعبها ويهضمها ويتمثلها في أفعاله.

ويجب ألا ينسى الآباء، في مجال إكساب أبنائهم الصفات الاجتماعية المحمودة، سلوكياتهم تجاه من حولهم مثل الآباء، والأقارب والجيران، والرفاق، والمعلمين. فإذا ما راعى الآباء حقوق هذه الفئات الاجتماعية ودربوا

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٢٢٧.
(٢) مسلم، جـ ٨، ص ١٨.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨.
(٤) مسلم، جـ ٩، ص. ص ١٨ - ١٩.
(٥) البخاري، جـ٨، ص ١٢٧.

أولادهم عليها، نشأ أبناؤهم على تلك السيرة المحمودة. وسوف نشير إشارة سريعة لبعض هذه الحقوق، تذكيراً للآباء وعملاً بقوله تعالى: ﴿**وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين**﴾[1].

حقوق الأقارب:

علاقة الفرد بأقاربه يجب أن تكون علاقة البر والصلة والإحسان، والتعاطف والتعاون والتكافل، والاحترام والتقدير، وأن تنأى عن التحاسد والتباغض، والتناجش، والتدابر، والخصام والتقاطع.

قال تعالى: ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله**﴾[2].
وقال أيضاً: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**﴾[3].
وقال: ﴿**واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً**﴾[4].
وقال: ﴿**وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً**﴾[5].

ونهى الله تعالى عن قطع صلة الأرحام، فقال تعالى: ﴿**فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم، أولئك الذين لعنهم الله وأعمى أبصارهم**﴾[6].

وقال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»[7].

وقال ﷺ: «الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»[8].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٥.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦.
(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.
(٤) سورة النساء، آية: ١.
(٥) سورة الإسراء، آية: ٢٦.
(٦) سورة محمد، آية: ٢٣.
(٧) مسلم جـ٨، ص٧.
٨) مسلم، جـ٨، ص٧.

وعن أبي هريرة أن رجلاً قال: يا رسول الله إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي. فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تسفهم المل. ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك»[1].

وعد رسول الله ﷺ صلة الرحم من الأعمال التي تدخل الجنة، حيث روي أن رجلاً قال: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعدني من النار: فقال: تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل رحمك»[2].

فعلى الآباء أن يبصروا أولادهم بحقوق القرابة والرحم، لكي يتطلعوا من صغرهم إلى حب الاجتماع بهم، وزيارتهم في المناسبات الاجتماعية وغيرها. وهذا لا يحدث إلا إذا بدأ الآباء بأنفسهم وكانوا خير قدوة لأبنائهم.

حقوق الجار:

ويحددها الإسلام بأربعة هي: ألا يلحق الرجل بجاره أذى، وأن يحميه ممن يريده بسوء، وأن يعامله بإحسان، وأن يقابل جفاءه بالحلم والصفح. ويتمثل الأذى في: الزنى والسرقة والسباب والشتائم ورمي القاذورات، وأخطرها الزنى والسرقة وانتهاك الحرمة»[3].

والآيات التي تحض على مراعاة الجار وحسن رعايته والإحسان إليه، ورد بعضها في الصفحات السابقة، ومنها قوله تعالى: **﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب﴾**[4].

---

(١) المرجع السابق، ص ٨.
(٢) مسلم، مج(١)، ص ٤٣، طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت.
(٣) عبد الله علوان، مرجع سابق، ص. ص ٤٠٠ ـ ٤٠٨.
(٤) سورة النساء، آية: ٣٦.

وأما السنة النبوية ففيها الكثير، ومن ذلك:

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1].

وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره»[2].

وعن أبي ذر قال: قال: رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك»[3].

وقال ﷺ: «يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فِرْثن شاة»[5] والفِرثن هو خف البعير، وقد استعير هنا للشاة فسمي ظلفها به.

وعن عائشة قالت: قلت يا رسول الله إن لي جارين فأيهما أهدي؟ قال: «إلى اقربهما منك باباً»[6].

وقال ﷺ: «والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «الذي لا يأمن جاره بوائقه»[7]. بوائقه تعني شروره.

ثالثاً: التربية الإيمانية

تعتبر التربية الإيمانية من أهم أنواع التربية التي تؤثر في شخصية الفرد تأثيراً كبيراً فتجعله ميالاً للخير، متحلياً بالصفات الحميدة، ملتزماً في سلوكه وتصرفاته التزاماً ذاتياً مستمراً بالخلق الكريم، عاملاً على مساعدة الآخرين، محباً للتعاون، يقبل على الحياة بعزيمة متوقدة، لا يعجز إن اعترضت سبيله

(١) البخاري: جـ٨، ص ١٢.
(٢) المرجع السابق، ص ١٣.
(٣) مسلم، جـ٨، ص ٣٧.
(٤) البخاري، جـ٨، ص. ص ١٢ - ١٣.
(٥) المرجع السابق، ص ١٣.
(٦) المرجع السابق، ص ١٢،

العقبات في محاولاته المستمرة لتخطّيها، مستعيناً بالله عز وجل الذي يؤمن به، ويلجأ إليه في الشدائد، ويثق في عونه وهدايته وتوفيقه[1].

وسوف نتناول موضوع التربية الإيمانية وواجبات الآباء تجاه أبنائهم بالنسبة لهذا البعد، وذلك من خلال هذه النقاط الرئيسية:

١ ـ مفهوم التربية الإيمانية.
٢ ـ أهمية التربية الإيمانية وضرورتها.
٣ ـ وسائل التربية الإيمانية.
٤ ـ انعكاسات التربية الإيمانية ونتائجها.

ونبدأ بدراسة النقطة الأولى:

١ ـ مفهوم التربية الإيمانية:

ترجع كلمة الإيمانية إلى مفهوم كلمة «الإيمان» وهي في اللغة تعني التصديق، أما في الاصطلاح فلا تخرج عن معنى التصديق بكل ما ثبت عن طريق الخبر الصادق ـ الوحي ـ من الحقائق والأمور الغيبية[2] ويصف لنا أحد الباحثين معنى كلمة (إيمان):

إن الإيمان في حقيقته عمل نفسي يبلغ أغوار النفس ويحيط بجوانبها كلها من إدراك وإرادة ووجدان. فلا بد من إدراك ذهني تنكشف به حقائق الوجود على ما هي عليه في الواقع، وهذا الاكتشاف لا يتم إلا عن طريق الوحي الإلهي المعصوم.

ولا بد أن يبلغ هذا الإدراك العقلي حد الجزم الموقن، الذي لا يزلزله شك ولا شبهة: **﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾**[3]، ولا بد أن يصحب هذه المعرفة الجازمة إذعان قلبي، وانقياد إرادي، يتمثل في

---

(١) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية مرجع سابق، ص ٣٢٦.
(٢) عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ١، ص ١٥٥.
(٣) سورة الحجرات، آية: ١٥.

الخضوع والطاعة لحكم من آمن به مع الرضا والتسليم: **﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموكَ فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾**[1]. «ولا بد أن يتبع هذه المعرفة، وهذا الإذعان حرارة وجدانية قلبية، تبعث على العمل بمقتضيات العقيدة، والالتزام بمبادئها الخلقية والسلوكية والجهاد في سبيلها بالنفس والمال»[2].

«وعناصر الإيمان الأساسية هي الإيمان بالله، والإيمان بالنبوات، والإيمان بالآخرة. ويمكن أن تجمل في الإيمان بالله واليوم الآخر، والإيمان بالله يشمل الإيمان بوجوده، الإيمان بوحدانيته، والإيمان بكماله»[3].

ومن عرض مفهوم الإيمان يمكن مناقشة مفهوم التربية الإيمانية: فيرى البعض بأنها: ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين وغرس الإيمان في نفوسهم إشباعاً لنزعتهم الفطرية للتدين، وتهذيب غرائزهم، والسمو بنزعاتهم، وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية والمبادىء والمثل الأخلاقية التي تستمد من الإيمان الصحيح بالله وملائكته وكتبه، ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره[4].

ويمكن قبول التعريف السابق للتربية الإيمانية إذا سلمنا بمعنى الإيمان كما أورده الدكتور يوسف القرضاوي.

وعلى ذلك فإن حق الأبناء في التربية الإيمانية يوجب على الآباء العمل على أداء هذا الحق إلى أبنائهم، فعلى الأب أن ينشىء أولاده منذ نعومة أظفارهم على هذه المفاهيم والأسس الإيمانية حتى يرتبطوا بالإسلام عقيدة وشريعة.

---

(١) سورة النساء، آية: ٦٥.
(٢) يوسف القرضاوي: **الإيمان والحياة** (دار المعرفة، الدار البيضاء ـ المغرب، د.ت.) ص ٢٠.
(٣) المرجع السابق مباشرة، ص ٢٥.
(٤) عبد الحميد الصيد الزنتاني: مرجع سابق، ص ٣٢٦.

٢ ـ أهمية التربية الإيمانية وضرورتها:

وسوف نعالج هنا ضرورة التربية الإيمانية للفرد عامة، ولطفل المدرسة الابتدائية بشكل خاص. وتتمثل هذه الضرورة في:

(أ) الحاجة إلى الإيمان والعقيدة:

يقول الله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خَلَقَه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من ماء مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾[١] فهذه الآيات تدل على أن الإنسان خلق من عنصرين أساسيين: عنصر مادي وآخر روحي. والإنسان لا يكمل بمجرد قواه البدنية النفسية التي يأكل ويشرب وينكح ويغضب وينال سائر لذاته ووسائل حياته، لأن هذه القوى توجد في الحيوان كما توجد في الإنسان، ومن ثم فإن وجودها في الإنسان لا يحقق له الكمال الحقيقي وإنما يتحقق له مثل هذا الكمال، بكمال عقله وصفاء روحه وتخففها من قيود المادة وأوزارها[٢].

وهذا الجانب الروحاني في الطبيعة البشرية لا بد له من إشباعه كما يشبع الجانب الجسدي بالطعام والشراب والزواج. . ، ولذا فإن الله قد فطره على التوجه بفطرته إلى البحث عن القوة الغيبية الكبرى المسيطرة على مقدرات هذا الكون، وهو في بحثه عن هذه القوة الخفية، والتي يلجأ إليها في أوقات شدته وكربه، لجأ إلى عبادة بعض مظاهر الطبيعة التي شعر بقوتها وعجز عن تفسيرها، كالريح، والشمس، والقمر، والنار، والحيوانات، والأصنام، وغيرها مما اتخذه رمزاً لقوى غيبية قاهرة يتعبد لها، ويخضع روحه لها.

وبالرغم من صور الشرك السابقة، إلا أنها تعبر عن محاولة الإنسان

(١) سورة المسجدة، آية: ٧ ـ ٩.

(٢) عمر محمد التومي الشيباني: أهمية الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية في الفكر الإسلامي: مجلة كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ع (٤)، ١٩٨٧، ص ٢٨.

المستمرة لإشباع حاجته الفطرية إلى الإيمان والعقيدة. واقتضت رحمة الله بعباده، وعدم تركهم في ضلالهم وتخبطهم، بأن أرسل إليهم الأنبياء والرسل مبشرين ومنذرين، ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً﴾[1]، ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً﴾[2].

(ب) التربية الإيمانية تصقل الفطرة الإنسانية:

يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة، خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش، ومائل إلى كل ما يمال به إليه، فإن عوّد الخير وعلمه، نشأ عليه، وسعد في الدنيا والآخرة، وشاركه في ثوابه أبوه، وكل معلم له مؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والولي له»[3]. ولعل كلام الغزالي يشرح قول النبي ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[4] وهذا دلالة على أن الإنسان يولد مزوداً باستعدادات مختلفة، إن لم تكن متناقضة، فهو على استعداد لأن يسلك سبيل الرشاد والصلاح، كما أنه على استعداد ليسلك سبيل الغي والفساد، وواجب الأبوين هنا يستلزم توجيه أبنائهما نحو طريق الخير، لأن في ذلك سعادة لهم ولأبنائهم وللمجتمع، والتربية الإيمانية للطفل توجه فطرته التي فطر الله الناس عليها، وتكسبها تمتيناً وتزيدها قوة وصلابة، حتى إذا كبر الطفل لا يستطيع أحد زعزعة إيمانه، وهذه هي الضرورة الثانية من ضرورات التربية الإيمانية للطفل.

(ج) التربية الإيمانية للطفل امتثال لأمر الله:

أمرنا الله عز وجل بأن نربي أبناءنا على الإيمان فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا

---

(١) سورة الإسراء، آية: ١٥.

(٢) سورة النساء، آية: ١٦٥.

(٣) أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين. جـ٣ (دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٣) ص ٧٢.

(٤) مسلم، جـ٨، ص ٥٢.

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾[1] ويشرح ابن عباس هذه الآية بقوله: «اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصي الله، ومروا أولادكم بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فذلك وقاية لهم ولكم من النار، وامتثال أمر الله واجب على العباد، لأنه خالقهم فهو أدرى بهم وبما يحتاجون إليه ويصلحون به. ويسعدون باتباعه، وهذه هي الضرورة الثالثة من ضرورات التربية الإيمانية للطفل.

٣ ـ وسائل التربية الإيمانية

لا شك أن التربية الإيمانية واجبة على الآباء تجاه أبنائهم في كل مراحل النمو، ولكنها في مرحلة الطفولة الثانية (الوسطى والمتأخرة)، تتميز بانتقال نوعي: من غرس الإيمان بالله عن طريق التلقين والتكرار دون الحاجة إلى الأدلة، إلى غرس الإيمان بالله عن طريق التعليم النظري المصحوب بالأدلة، إضافة إلى الممارسة العملية وأداء الشعائر الدينية، سيما وإن الطفل في بداية هذه المرحلة يدخل المدرسة ويبدأ سن التمييز والإدراك.

ويؤكد هذا الارتباط بين سلوك الآباء المتدين وسلوك الأبناء واتجاهاتهم الدينية، أحد الباحثين بقوله:

«لقد أدت المقارنة بين اتجاهات الأطفال واتجاهات آبائهم الدينية إلى أن تلك الاتجاهات مرتبطة ارتباطاً وثيقاً، ويؤيد هذا، الفرض القائل بأن الفرد يتعلم القيم الدينية عن طريق الاحتكاك الاجتماعي، وعلاوة على ذلك، فقد وجد أن تشجيع الآباء لأبنائهم على اعتناق المبادىء الدينية كان مـرتبطاً ليس فقط باتجاهات الأطفال الدينية، ولكن أيضاً بكثرة ارتيادهم لأماكن العبادة، ويوضح ذلك قيمة الدور الذي يمكن أن يقوم به الآباء في تنمية الجوانب الدينية والخلقية في أبنائهم»[2].

فكيف يحقق الآباء واجب التربية الإيمانية تجاه أبنائهم في هذه المرحلة.

---

(١) سورة التحريم، آية: ٦.

(٢) عبد الرحمن محمد عيسوي: دراسات سيكلوجية (منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣) ص ٢٣٧.

(أ) الموعظة الحسنة:

أمر الله المسلم باتباع الحكمة والموعظة الحسنة في الدعوة إلى الله بقوله: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾[1] والأب المسلم معني بهذا الخطاب، لأن ابناءه أولى بالدعوة من غيرهم، وأسلوب الموعظة الحسنة يعتبر مضمون النتائج بالنسبة لطفل السادسة، حيث إنه دخل سن التمييز، والموعظة الحسنة تنتج في مجال ترسيخ العقيدة تاثيراً بالغاً في نفس الطفل وعقله وقلبه، أما أسلوب التوبيخ والشدة فهو إن نفع وصلح للتربية الاجتماعية والجسمية فإنه لا يصلح ولا ينفع للتربية الإيمانية خصوصاً في سن التمييز، فالعقيدة لا إكراه فيها، ولا كبت في تحقيقها، خشية ردة الفعل المتوقعة في المستقبل، وقد حذر العلماء من استخدام الشدة في التعليم لا سيما في مرحلة الطفولة معتبرين أن من تربى بالقهر عاد عليه ذلك (بضيق النفس، وذهاب النشاط وحصول الكسل والحمل على الكذب والخبث والمكر والخديعة)[2].

هذا وتقتضي الموعظة الحسنة في تحقيق التربية الإيمانية أن يقوم الأب بما يلي:

١ ـ إذكاء الحس الإيماني لدى أبنائه:

وقد ذكر القرآن الكريم مثلاً أعلى في هذا الموضوع حكاية عن لقمان الحكيم وهو يرشد ابنه إلى وحدانية الله وقدرته المعجزة، قال تعالى: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله، إن الشرك لظلم عظيم﴾[3] ثم يتابع لقمان شرح قدرة الله لابنه فيقول له: ﴿يا بني إنها إن تك مثقال حبة من خردل، فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله، إن الله لطيف خبير﴾[4] ثم يوجه لقمان ابنه إلى ضرورة طاعة الله، وتنفيذ أوامره، والتقرب إليه

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٥.

(٢) علي زيعور: التربية وعلم نفس الولد في الذات العربية (دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٥) ص ٢٩١.

(٣) سورة لقمان، آية: ١٣.

(٤) سورة لقمان، آية: ١٦.

بالعبادة، فيقول له: ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك، إن ذلك من عزم الأمور﴾[1].

٢ ـ لفت نظر الطفل إلى نعم الله على الإنسان ووجوب شكرها:

وقد ذكر ذلك القرآن الكريم في مواضع متعددة منها قوله تعالى: ﴿ألم نجعل له عينين، ولساناً وشفتين﴾[2] ومنها أيضاً: ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه، أنا صببنا الماء صباً، ثم شققنا الأرض شقاً، فأنبتنا فيها حباً، وعنباً وقضباً، وزيتوناً ونخلاً، وحدائق غلباً، وفاكهة وأباً، متاعاً لكم ولأنعامكم﴾[3].

إن هذه الآيات وأمثالها، تدخل إلى عقل الطفل بدون صعوبة، لأن فيها تعليماً بالتدرج من المحسوس إلى المعقول، وذلك مما يتقبله عقل الطفل وقلبه، ويصل من خلال ذلك إلى قضية الإيمان عن اقتناع وحجة وبرهان.

وهناك قضايا أخرى تقتضيها الحكمة والموعظة الحسنة لا تخفى على الأب والمربي، تفرضها طبيعة العلاقة الأسرية، والإمكانيات الاقتصادية، مثل أن يأتي لأطفاله بفيلم عن مشاهد عن الطبيعة ويصحب ذلك تعليق يشير إلى ابداع الله في خلقه وحكمته في صنعه، ونعمه على عباده، والله تعالى بعد أن عدد بعض نعمه على خلقه، قال: ﴿هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه﴾[4].

(ب) تعويد الطفل على أداء الشعائر الدينية:

اثبت علماء النفس أن مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة تعتبر بداية للإدراك والتمييز، والواجب على الآباء في بداية هذه المرحلة أن يعلموا أبناءهم الحلال والحرام، ويعلموهم أداء الصلاة.

---

(١) سورة لقمان، آية: ١٧.
(٢) سورة البلد، آية: ٨ ـ ٩.
(٣) سورة عبس، آية: ٢٤ ـ ٣٢.
(٤) سورة لقمان، آية: ١١.

يقول رسول الله ﷺ: «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع»[1].

ورغبت السنة النبوية في الالتزام بأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة لما في أدائها من هداية وتوبة وغفران.

يقول ﷺ: «الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر»[2].

وبذلك تجد القيم الروحية لدى المسلم تعزيزاً وتأصيلاً ودفعاً مستمراً طيلة حياته، بما يقوي إيمانه ويجعله ملتزماً التزاماً ذاتياً في استقامته الخلقية، وقد كان الرسول المربي حريصاً على تخصيص أوقات معينة لتعليم نساء المسلمين أمور دينهم.

فعن أبي سعيد الخدري قال: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله. قال: «اجتمعن يوم كذا وكذا» فاجتمعن فأتاهن رسول الله ﷺ فعلمهن مما علمه الله، ثم قال: «ما منكن من امرأة تقدم بين يديها من ولدها ثلاثة إلا كانوا لها حجاباً من النار» فقالت امرأة. واثنين، واثنين، واثنين؟ فقال: واثنين، واثنين، واثنين»[3].

كما يجب على الآباء أن يعودوهم على الصيام، وذلك بدءاً بصيام نصف اليوم ثم بعض أيام من شهر رمضان، كما يجب عليهم أن يروحوا عنهم حتى لا يملوا إزاء الشعائر الدينية «حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية، وأن لا يرزقه إلا طيباً»[4].

---

(١) أبو داود، جـ١، ص ١٨٥، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) مسلم، جـ١، ص ١٤٤.

(٣) مسلم، جـ٨، ص ٨٩.

(٤) المتقي الهندي: منتخب كنز العمال، جـ٦، ص ٤٣٤ (رواه الحكيم، وأبو الشيخ في الثواب والبيهقي في شعب الإيمان).

ويؤكد الإمام الغزالي أن سن التمييز يعتبر بداية سلوكية للعملية التربوية وخص منها التربية الإيمانية، فيقول: (ومهما بلغ سن التمييز فينبغي ألا يسامح في ترك الطهارة والصلاة، ويؤمر بالصوم في بعض أيام رمضان). . «ويعلم كل ما يحتاج إليه من حدود الشرع، ويخوف من السرقة، وأكل مال الحرام، ومن الخيانة والكذب والفحش»[1].

(ج) القدوة الحسنة:

يعتبر التعليم بالقدوة الحسنة وسيلة فعالة في تربية الطفل بشكل عام، وفي التربية الإيمانية بشكل خاص، فعلى الوالدين أن يقوما بتوفير الجو الديني والروحي المطلوب في البيت الذي يعيشون فيه، ويتم ذلك بأن يطبق، الوالدان أمام الطفل أوامر الله، فلا يأمرانه بطاعة ثم يرتكبان معصية، كما يقومان بتأدية الشعائر الدينية أمامه كالصلاة والصيام وقراءة القرآن، كما يلتزمان بالصدق والإخلاص في التعامل، فقد ورد عن عبد الله بن عامر، قال: «دعتني أمي يوماً، ورسول الله ﷺ قاعد في بيتنا، فقالت: تعال اعطك، فقال لها رسول الله: «ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمراً، فقال لها: «أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة»[2]. فلم يرض النبي ﷺ إلا الصدق في المعاملة وخصوصاً مع الطفل، لأن ذهنه يسجل هذه المواقف ويزن بها سلوك والديه إذا ما كبر، فإن كانا ملتزمين كان ذلك حافزاً له ومشجعاً على الالتزام، وإن كانا غير ذلك فقد يضل، وعندها لا يوجه اللوم إليه.

وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة للمؤمنين، فوصفه ربنا ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[3]، وأمرنا الله باتباعه لقوله تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾[4].

---

(١) الإمام محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ٣، مرجع سابق، ص ٧٤.

(٢) رواه أبو داود. مذكور في محمد صديق حسن خان البخاري: حسن الأسوة مرجع سابق، ص ٤٥٧ باب كذب النساء.

(٣) سورة ن، آية: ٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(د) حسن اختيار الأصدقاء:

فعلى الآباء توجيه الناشئين إلى حسن اختيار أصدقائهم ممن يتحلون بالأخلاق الفاضلة والسلوك القويم، وذلك لتأثرهم بهم ومحاكاتهم لسلوكهم وتقليدهم لتصرفاتهم، وهو ما يؤثر في تكوينهم الروحي والخلقي بالإيجاب أو السلب.

قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[١] وقال: «إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[٢].

٤ ـ انعكاسات التربية الإيمانية ونتائجها:

من الواضح أن التربية الإيمانية لها انعكاسات ونتائج في الحياة الإنسانية، سواء على مستوى الفرد أو على مستوى المجتمع. إذ يعتبر الإيمان سنداً رئيسياً للحياة الاجتماعية وموجهاً صادقاً للعقل الإنساني، فإذا غرس هذا الإيمان في النفس الإنسانية وهي في مرحلة الطفولة، حصل النفع والصلاح للنفس والعقل.

ومن آثار التربية الإيمانية على الطفل كفرد:

١ ـ الناحية النفسية: ينعكس الإيمان بالله على نفس الطفل إيجابياً حيث يشعر بالطمأنينة القلبية عندما يقوم بأي عبادة، لأن العبادة صلة بين العبد المؤمن وربه، وربنا سبحانه وتعالى بين الإيمان والاطمئنان القلبي بقوله: ﴿**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، إلا بذكر الله تطمئن القلوب**﴾[٣] وهذا الاطمئنان النفسي يسعى إليه العالم بأسره، وشكلت لأجله قوانين، وألفت لتحقيقه

---

(١) أبو داود، جـ ٤، ص ٤٠٢.
(٢) مسلم، جـ ٨، ص. ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) سورة الرعد، آية: ٢٥.

نظريات، وصرفت لتطبيقه أموال، ولكن لم يستطع أحد أن يؤمن السعادة والاطمئنان النفسي لأولاده، لأن سعادتهم واطمئنانهم يكمن بذكر الله والرجوع إليه، والناس بعداء عن ربهم فكيف يطمئنون؟.

٢ ـ الناحية العقلية: أما آثار الإيمان بالله على عقل الطفل فتتلخص في توجيه عقله نحو التفكير الصحيح، لأن العقل الإنساني قد يبحث فيما لا فائدة ولا نتيجة من البحث فتضيع جهود سدى دون ثمار تؤتى، وعندما يؤمن الإنسان بالله، ينتظم تفكيره ضمن المنهاج الذي خلقه الله متناسباً مع عقل الإنسان، فلا يتيه في الضلالات التي تبعد العقل عن هدفه الحقيقي، ومن ذلك مثلاً أن الإسلام لا يسمح لعقل الإنسان بالخوض في مسألة يطرحها عليه الشيطان بقوله من خلق كذا؟ حتى يصل إلى (من خلق الله؟) وقد حذر النبي ﷺ من الخوض في ذلك بقوله «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله، فمن خلق الله. فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله[1].

آثار التربية الإيمانية على المجتمع:

إن تنشئة الطفل على الإيمان بالله له أثر في الناحية الاجتماعية، إذ يفرض الإيمان بالله على الطفل سلوكاً اجتماعياً سليماً وقويماً، فيه الصلاح والخير للمجتمع مثل الصدق والأمانة ونبذ الكذب والخيانة والفحش، إذ أن كل هذه الأخلاق حثت عليها النصوص الإسلامية، وتقتضيها التربية الإيمانية لأن الإيمان لا ينفصل عن العمل، وقد ربط ربنا سبحانه وتعالى في مواضع متعددة بين الإيمان والعمل، منها ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر**﴾[2].

رابعاً: التربية العقلية

التربية العقلية واجبة على الآباء تجاه أبنائهم في كل مراحل نموهم،

---

(١) مسلم، جـ ١، ص. ص ٨٣ ـ ٨٤.
(٢) سورة العصر.

ولكي نتعرف على كيفية تحقيق هذه التربية، لا بد أن نتعرض للتطورات العقلية التي تطرأ على الطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية، من خلال آراء علماء نفس النمو.

يذكر الباحثون في علم النفس أن العقل يقوم بعدة عمليات معرفية وهي:

الإدارك، والتذكر، والاستدلال، والاستبصار، والتبصر، ويحسن بنا أن نعرف كل عملية من هذه العمليات، قبل تطبيقها على مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة[1].

الإدراك:

هو العملية التي تشير إلى تفسير البيانات التي تصلنا من البيئة الخارجية والبيئة الداخلية عن طريق الحواس.

التذكر:

هو العملية التي تشير إلى اختزان واستدعاء المعلومات التي تأتينا عن طريق الإدراك.

الاستدلال:

هو العملية التي تشير إلى استخدام المعرفة في إجراء الاستنباط والوصول إلى النتائج.

التبصر:

هو العملية التي تشير إلى تقييم الأفكار والحلول من حيث الكيف.

(١) محمد عماد الدين إسماعيل، الأطفال مرآة المجتمع، مرجع سابق ص ٣٢٣.

الاستبصار:

ويشير إلى اكتشاف علاقات جديدة بين وحدتين أو أكثر من المعرفة.

والطفل في مرحلة المدرسة الابتدائية يقوم عقله بهذه العمليات المعرفية، مع تفاوت في نسبها ودرجاتها، ووجود تقدم عن مرحلة الطفولة المبكرة.

يأخذ الإدراك عند الطفل في هذه المرحلة صبغة كلية، إذ أنه يدرك الموضوعات من حيث هي كل، ولا يعنى كثيراً بالجزئيات التي تتركب منها هذه الموضوعات، ويقول أحد الباحثين «فإذا عرضت صورة على طفل في الثالثة وطلبت منه وصفها، ففي أغلب الأحيان سيكتفي بتعداد ما فيها من موضوعات، أما طفل السادسة فسيعطيك وصفاً عما يحدث في الصورة[1] وينمو إدراكه تدريجياً حتى يدرك العلاقات بين الموضوعات، وبذلك فإن قدرة الطفل على ربط الأشياء بعضها ببعض، بعلة مجردة تبدأ في الظهور، وتتوقف مخيلته في نموها أمام ممارسته وفعله ورؤيته. ونجد أن طفل السابعة يبدأ تفكيره في اتخاذ الصبغة الواقعية وترك المخيلات، ولكن نلاحظ أنه لا يتمكن من تركيز انتباهه على موضوع معين مدة طويلة، وخاصة إذا كان موضوع انتباهه حديثاً شفوياً، في حين أنه يستطيع أن يركز انتباهه إلى ما هو عملي مدة أطول، لأنه يميل إلى العمل اليدوي[2].

وقد ذكرت بعض الدراسات الميدانية أن طفل السابعة يمكنه الإجابة عن بعض الأسئلة المنطقية البسيطة، كما يمكنه استعمال الاستقراء بمعناه الصحيح، لكنه مع ذلك لا يزال يجد صعوبة في استعمال الأفكار المجردة، ومن هنا نجد أن مدركات الطفل الكلية في هذه المرحلة تتكون عن طريق اتصاله ببيئته ومحيطه واستعماله لحواسه، إذ أن كثيراً من المدركات الكلية مثل الحلاوة والاستدارة والحيوانية، موجودة أفكارها في المحسوسات.

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٣٧.
(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ١٣٧.

ولم تغفل تلك الدراسات دور اللغة وأهميتها في تحصيل تلك المعارف لأن اللغة تعتبر أداة اتصال بين الطفل وبيئته اليومية[1] وبعد هذا العرض المبسط لخصائص الجانب العقلي لطفل المدرسة الابتدائية، نأتي للسؤال المعتاد في هذا البحث: كيف يقوم الآباء بواجب التربية العقلية تجاه أبنائهم، وما هي آثار هذه التربية، هذا ما سنحاول بيانه في النقاط التالية:

اولاً: مفهوم التربية العقلية وأسسها:

عرفنا فيما مضى معنى كلمة (التربية) والمقصود بها في مجال بحثنا، وإنها تعني التنشئة والإعداد والرعاية قصداً لعلو الشأن والارتقاء.

ويحسن بنا أن نعرف معنى كلمة (العقل) حتى نتوصل إلى المقصود من (التربية العقلية)، العقل في اللغة هو الحجر والنهي، وقد سمي بذلك تشبيهاً بعقل الناقة، لأنه يمنع صاحبه من العدول عن سواء السبيل، كما يمنع العقال الناقة من الشرود[2].

أما إطلاقات كلمة (العقل) فقد اختلف فيها العلماء والفلاسفة، ولن ندخل في تلك الخلافات خشية أن يتحول البحث عن مجراه، ولكننا سنكتفي بعرض خلاصة لعدد من التعريفات لكلمة العقل.

فالجمهور لهم ثلاث اطلاقات، أولها يرجع إلى وقار الإنسان وهيئته، وثانيها: يراد به ما يكتسبه الأنسان بالتجارب من الأحكام الكلية، وثالثها: يراد به صحة الفطرة الأولى في الإنسان[3].

والفلاسفة لهم إطلاقات عديدة لكلمة (العقل): أولها: أن العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها، وثانيها: أن العقل قوة النفس التي بها يحصل تصور المعاني. وتأليف القضايا والأقيسة. والفرق بينه وبين الحس: أن العقل

---

(١) المرجع السابق، ص ١٣٨.
(٢) جميل صليبا: المعجم الفلسفي، جـ٢، (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩) ص ٨٤.
(٣) المرجع السابق مباشرة، جـ٢، ص ٨٤.

يستطيع أن يجرد الصورة عن المادة ولواحقها، أما الحس فلا يستطيع ذلك. وثالثها: أن العقل قوة طبيعية للنفس متهيئة لتحصيل المعرفة العلمية[1]. وهناك إطلاقات كثيرة لا داعي لذكرها.

والواقع أن كل إطلاق من الإطلاقات السابقة لكلمة العقل أخذ اعتباراً معيناً، ومن الممكن أن يكون العقل جامعاً لها كلها، واختلاف العبارات راجع إلى اختلاف الاعتبارات، إلا أن الذي يهمنا في بحثنا هو تغذية العقل بالمعرفة العلمية، وعلى هذا فإن التربية العقلية تعني تغذية العقل بالمعارف العلمية الصحيحة، وينبغي أن يراعى في ذلك السن أو مرحلة النمو. وتجدر الإشارة هنا إلى أن أساس التربية العقلية راجع إلى الأوامر الإسلامية، والتوصيات العلمية الحديثة.

فمن النصوص الإسلامية:

نجد أن أول آية نزلت في القرآن الكريم على قلب النبي ﷺ في غار حراء هي: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم**﴾[2]. فقد أمر ربنا نبيه بالقراءة مبتدئاً باسم ربه ثم قدم له حقائق علمية عن بداية خلق الإنسان، ثم أرشده إلى الوسيلة التي يتم بها التعليم.

وقد ذكر في سورة أخرى هذه الأداة الهامة في العلم قائلاً: ﴿**ن، والقلم وما يسطرون**﴾[3]، والنبي ﷺ قال: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[4] وهناك نصوص كثيرة في هذا المجال يرجع إليها في الكتب المختصة. ونريد أن نقول إن الإسلام أمر بالعلم ابتداء لتغذية العقل الإنساني وقد قدم في هذا المجال حقائق كثيرة وأتبعها بلفظ (لعلهم يعقلون)، (أفلا تعقلون) كل ذلك

---

(١) المرجع السابق مباشرة، ص. ص ٨٤ ـ ٨٥.

(٢) سورة العلق، آية: ١ ـ ٥.

(٣) سورة القلم، آية: ١ ـ ٢.

(٤) رواه ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ١، ص٨.

إشارة إلى تربية العقل الإنساني وتغذيته في كل مراحل حياة الإنسان كما قال ﷺ: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد».

ومن التوصيات العلمية الحديثة:

يذكر علماء النفس أن عقل الإنسان تؤثر في تكوينه عوامل أربعة: نفسية وعضوية واجتماعية واقتصادية، وأكدوا على ضرورة أن للعامل الاجتماعي دوراً بارزاً أكثر من بقية العوامل الأخرى، لأن بيئة الإنسان هي التي تغذي عقله بالمعرفة العلمية الصحيحة بدءاً من طفولته، ونظراً لكون الإنسان يمر مراحل نمو متطورة فقد درسوا كل مرحلة من مراحل النمو ووضعوا لها مطالب مميزة ينبغي على البيئة توفيرها، إذ تبدأ عملية التغذية للعقل الإنساني بالحركات والإشارات وتنتقل إلى الكلمات حتى يصل الطفل إلى مرحلة الطفولة الوسطى، ومنها يدخل سن التمييز والإدراك. ويؤكد العلماء على زيادة الاهتمام بهذه المرحلة من الناحية العلمية إذ لم يعد المنزل كافياً لتغذية العقل، فلا بد من إضافة مؤسسة تربوية أخرى تساعد الأسرة على القيام بهذه المهمة ولذلك كانت المدرسة والتعليم فيها يبدأ من سن السادسة، وهنا نشير إلى أن الآباء معنيين بالقيام بحق التربية العقلية لأبنائهم في هذه المرحلة العامة ولكن كيف يقومون بأداء هذا الواجب؟.

ثانياً: كيفية تحقيق التربية العقلية ووسائلها:

توصلنا من أولاً: أن التربية العقلية تعني تكوين فكر الطفل بكل ما هو نافع من العلوم بمختلف أنواعها، والثقافة العلمية الحديثة التي يحتاجها، والتوعية الفكرية والحضارية، حتى ينضج عقله ويتكون علمياً وثقافياً، فتصبح لديه القدرة على التفكير السليم والمستقل فيحسن الحكم على الأشياء، مستعيناً بخبراته ومستفيداً من خبرات الآخرين[1].

---

1) عبد الله علوان، مرجع، جـ١، ص ٢٥٥.

وهذه التربية لا يمكن أن تتحقق بمعزل عن الآباء بل إن الدور الأكبر يقع على عاتق الآباء رغم وجود مؤسسات تربوية متخصصة ترعى هذا الجانب من التربية وهو الجانب العقلي، ويتركز دور الآباء في الأمور التالية:

١ ـ القيام بالتعليم الإلزامي:

ويتم ذلك إذا وضع الآباء أبناءهم في المدارس بمجرد بلوغهم السن القانوني ـ ست سنوات ـ وقد نصت وثيقة حقوق الطفل على حقه في التعليم الإلزامي، وإنه لا يجوز للأب أن يمنع ابنه بل يجب عليه أن يضعه في المدرسة، والعلم في الإسلام فرض عين على كل مسلم ومسلمة، ولا يسامح الجاهل ولا يعذر ولو كان بعيداً عن بلد العلم، ومن أجل ذلك كانت الهجرة فرضاً على المسلمين، ويلحق العذاب من يتخلف عنها باستثناء المستضعفين الذين لا يملكون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، وهناك كثير من النصوص الإسلامية التي تحث على طلب العلم وفرضية طلبه من المهد إلى اللحد، وتبين منزلة العلماء عند الله، ولسنا بصدد استعراضها، إلا أننا نريد أن نؤكد على أمرين هامين:

الأول: فرضية التعلم والتعليم: فقد دلت النصوص على فرضية طلب العلم بقوله تعالى: ﴿اقرأ﴾[1]. وبقوله ﷺ «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[1]. كما دلت نصوص أخرى على أن فرضية التعليم تعني أداء العلم لقوله ﷺ: «من كتم علماً ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[3].

الثاني: مجانية التعليم: أي عدم أخذ الأجر من المتعلم، قد أورد القرآن

(١) سورة العلق، آية: ١.

(٢) ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، جـ ١، ص ٨.

(٣) الترمذي، جـ ٥، كتاب العلم، ص ٢٩.

الكريم على ألسنة الأنبياء ﴿وما اسألكم عليه من أجر، إن أجري إلا على رب العالمين﴾[1].

يقول الإمام الغزالي: «على المعلم أن يقتدي بصاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه، فلا يطلب على إفادة العلم أجراً»[2].

ولا نريد هنا أن ندخل في ـ حقوق الابتكار ـ[3] ونتحدث عن مصير المتفرغين للتعليم فذلك مما لا تختلف في جواز أخذ الأجرة على إعطاء العلم، إلا أن الذي يدفع للمعلم في هذه الحالة المجتمع، باعتبار التعليم مرفقاً عاماً من مرافق الدولة الضرورية. وغرضنا من ذلك ألا نحرم أولاد الفقراء من وضع أبنائهم في المدارس لقاء رسوم وأجور لا يستطيعون دفعها، وبذلك يحرم الطفل من حقه في التعليم نتيجة الواقع الاقتصادي لأسرته، أما مجانية التعليم فإنها تحقق أو تساعد على أداء هذا الحق للطفل أيّاً كان مجتمعه، وكيفما كانت حالة أسرته الاقتصادية.

٢ ـ المتابعة الدراسية في المنزل:

ينبغي على الآباء أن يتابعوا أبناءهم من الناحية الدراسية في المنزل، خاصة أن بداية دخول المدرسة يعتبر تحولاً هاماً في حياة الطفل وتكون هذه المتابعة على الشكل التالي:

(أ) تهيئة الجو المناسب والمشجع والمساعد للأطفال على الدراسة واستذكار الدروس، وإعداد الواجبات المدرسية.

(ب) متابعة التقدم المدرسي، والتعاون مع المدرسة في معالجة أي

---

(١) سورة الشعراء، آية: ١٠٩.

(٢) الغزالي: إحياء علوم الدين، مرجع سابق، جـ١.

(٣) نظرية حقوق الابتكار: تحدث عنها الدكتور فتحي الدريني وأثبت حق المؤلف في كتاباته وللمزيد جواز أخذ الأجرة على التعليم، وأثبت حق المؤلف في كتاباته وللمزيد من التفصيل يرجع إلى كتابه ـ حقوق الابتكار في الفقه الإسلامي المقارن.

مشكلة دراسية تواجههم، لأن التربية الصحيحة لا تكون إلا نتيجة لتعاون الآباء والمعلمين[1].

(ج) تشجيع الأبناء على المذاكرة وتوجيههم إلى أنسب طرق المذاكرة، ولعله من الأساليب المناسبة للمذاكرة أن تحدد الأسرة أوقاتاً للمطالعة تشترك فيها جميع الأسرة، فإن ذلك يزرع في نفس الطفل حب العلم ويشجعه على المذاكرة والمطالعة[2]. وهناك وسائل تعليمية يمكن للأسرة أن تستعملها في المنزل كالأشرطة المرئية مثلاً.

(د) تهيئة مكتبة خاصة للأطفال، تحتوي على ما يحتاجونه من كتب مدرسية ودينية وقصصية علمية هادفة، وهذا مطلب يؤثر فيه العامل الاقتصادي للأسرة لكن الحد الأدنى من ذلك مطلوب ويعتبر من الحاجات الرئيسية للأسرة[3].

٣ ـ مراقبة مضمون المواد التعليمية:

المناهج الدراسية يتم اختيارها من قبل أساتذة مختصين، ولا نريد هنا أن نبحث في شكلها ومضمونها فذلك أمر يحتاج إلى دراسات مطولة، لكننا نشير إلى أن الأسس التي يجب اتباعها في وضع تلك المناهج لا بد أن تصب في صنع الإنسان الصالح المؤمن بالله سبحانه وتعالى، وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى بعض هذه الأسس بقوله: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم، وحب آل بيته وتلاوة القرآن»[4] كما أوصى العلماء من المسلمين بتعليم الأطفال للقرآن الكريم وأحاديث الأخيار، وحكايات الأبرار، ثم بعض الأحكام الدينية[5].

---

(١) عبد الجليل محمد المحجوب: هكذا نربي (الشركة التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨) ص ١٧٨.
(٢) سعيد عبد الله حارب: دور الأسرة في التربية (دار الأمة، الكويت، ١٩٨٧) ص ٤٢.
(٣) عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ ١، ص ٥٥.
(٤) رواه الطبراني مذكور في عبد الله علوان، جـ ٢، ص ٦٦٦.
(٥) الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ ٣، ص ٧٤.

ومن الممكن أن نجد في هذه المناهج الدراسية، أو في بعض الأفلام العلمية، ما يخرج عن هذه الأسس ويناقضها، فيزرع في عقل الطفل مثلاً، عدم صلاحية الإسلام لمواكبة العصر في تطوره، أو يزرع في عقله من خلال برامج الأطفال ـ أن الإسلام يناقض العلم الحديث، أو غير ذلك، ومهمة الآباء هنا تكمن في توعية أبنائهم وتصحيح تلك الأغاليط المقصودة أو غير المقصودة، ويتم ذلك بأسلوب لطيف لا يخفى على الأب الواعي اتباعه واستخدامه، لأن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع.

هذا ما رأيناه من واجبات على الآباء أداؤها تجاه أبنائهم لتحقيق التربية العقلية في مرحلة المدرسة الابتدائية، ولعلنا اغفلنا الكثير إلا أن قصدنا التنبيه لا الحصر، ويحسن بنا أن نرى نتائج هذه التربية العقلية وآثارها.

ثالثاً: نتائج وآثار التربية العقلية للطفل:

التربية العقلية لها فوائد كثيرة بالنسبة لذات الطفل، أو لمحيطه فضلاً عن الفوائد التي يجنيها المجتمع بأسره، إلا أنها في مرحلة المدرسة الابتدائية، تمتاز بأهمية خاصة نظراً لدور المدرسة في تغذية عقل الطفل ومن هذه الفوائد:

١ ـ محو الأمية من المجتمع، وهذا مطلب إسلامي وإنساني خالد، فالطفل يبدأ بالتعلم في هذه المرحلة لكنه قد لا يتابع إلى تتمة أو نهاية المراحل الجامعية، إلا أنه يتعلم القراءة والكتابة وهذه فائدة كبيرة تمحو الأمية من المجتمع.

٢ ـ الكشف عن قدرات واستعدادات أبناء الأمة، للاستفادة من عقولهم، فالنبغاء والعلماء والمكتشفون كانوا أطفالاً صغاراً بدؤوا بالقراءة والكتابة، واستمروا فتفتقت عقولهم ونبغوا واخترعوا وقدموا ما فيه النفع للإنسانية.

٣ ـ سد احتياجات الأمة من الناحية العلمية، إذ يحتاج المجتمع إلى طبيب أو مهندس وعالم بالذرة وفي كل الاختصاصات، وهذه القضايا لا تسد إلا بالعلم، والعلم يبدأ بالقراءة والكتابة في مرحلة المدرسة الابتدائية.

أما إذا قصر الآباء والمجتمع في إعداد الطفل من الناحية العقلية فإن ذلك يعود عليه بالخسران والتأخر والتخلف والجهل، وعندها يكون مخالفاً لأوامر الله ويتأخر عن اللحاق بركب الحضارة وسيسبقه لا محالة من يقوم بأداء هذه الواجبات على أكملها، لأن الله قال: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾[1].

هذه خلاصة مركزة لحق الأبناء على الآباء في التربية العقلية لهم في مرحلة المدرسة الابتدائية.

(١) سورة الزمر، آية: ٩.

الفصل الخامس

واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المراهقة

معنى البلوغ والمراهقة.

التربية الجسمية.

النمو الفسيولوجي.

النمو الجسمي.

مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية.

التربية الاجتماعية.

خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق.

التربية الاجتماعية في ضوء القرآن الكريم والسنة.

التربية الجنسية.

تنتهي مرحلة الطفولة في حوالي الثانية عشرة، ويدخل بعدها الفرد في طور مرحلة أخرى أكثر تعقيداً وأكثر تأثيراً في حياته المستقبلية، ونقصد بها مرحلة المراهقة، والتي تقابل في نظمنا التعليمية المرحلتين الإعدادية والثانوية، وقد تمتد لأوائل المرحلة الجامعية.

وغالباً ما تبدأ هذه المرحلة بظهور معالم جسمية وفسيولوجية معينة، سواء عند الفتى (تغير الصوت وظهور شعر العانة والشارب، والاحتلام) أو عند الفتاة (بروز الثديين وكبر الأرداف، وبدء نزول الطمث).

ومن الصعب القول بأن المراهقة متشابهة ومطردة وغير متغيرة لجميع الأفراد الذين يمرون بها، فالأبحاث تشير إلى وجود اختلافات من فرد إلى آخر، ومن أسرة لأخرى، ومن وسط ثقافي اجتماعي لآخر، ومن بلد لآخر، وهذا يجعلنا ننظر للمراهق من حيث هو كذلك، وأن نؤكد على ارتباط مظاهر نموه بالبيئة المادية والنفسية، الحاضرة والماضية.

فالمراهقة كمرحلة نمائية تتوسط طفولة الإنسان من ناحية وبين مرحلة النضج كما تتمثل في تحمل المسؤوليات الاجتماعية وإدراك الحقوق والواجبات الاجتماعية والفردية والوطنية ـ هي ظاهرة اجتماعية حيوية أي سلوكية تخضع في

قسط كبير من محدداتها للعوامل الثقافية الاجتماعية التي يتواجد فيها الفرد[1].

وتكمن أهمية هذه المرحلة في الطفرة الكبيرة للنمو، والتي تسبب للمراهق والمراهقة وأسرتهما كثيراً من المشكلات الجادة والتي تتطلب من المربين عامة حسن تفهم خصائص تلك المرحلة لكي يساعدوا هؤلاء الشباب على التكيف السليم. فإذا ما عرف المربي ـ مثلاً ـ أن عدم استقرار المراهق، أو عدم انتباهه، أو شرود ذهنه، قد يرجع إلى تقلص في بعض عضلاته، أو قد يرجع إلى فقدان شهيته، أو قد يرجع لبعض الاضطرابات الهضمية، فإنه يستطيع في هذه الحالة أن يواجه الموضوع برؤية وتبصر[2].

وهذا يلقي على الآباء والأمهات تبعات كبيرة ومسؤوليات تجاه أبنائهم المراهقين لحسن رعايتهم وتربيتهم، خاصة في مجتمعنا الذي يمتلىء بالكثير من المثيرات الثقافية والاجتماعية، والتي تشد إليها المراهق، وتملأ عليه حياته. وهنا تكمن أهمية الرجوع إلى تربيتنا الإسلامية التي تجنبنا الكثير من انحرافات الشباب ومشكلاته، وهذا ما سوف نفصله في هذا الفصل ـ إن شاء الله.

وسوف يعالج هذا الفصل عدداً من جوانب التربية المتصلة بتربية المراهق ويبدأ بالتربية الجسمية، ثم يعقبها بالتربية الاجتماعية والتي تتضمن أيضاً في جنباتها الكثير من موضوعات التربية الأخلاقية، إلا أن الجانب الغالب هو الجانب الاجتماعي ولذا أطلقنا عليها التربية الاجتماعية من باب تغليب الكثير على القليل. ثم انتقلنا إلى التربية الجنسية باعتبارها واحدة من أهم أنواع التربية وخاصة في فترة المراهقة.

أما التربية العقلية فقد تركناها جانباً، نظراً لأن دور الآباء يكون محدوداً، خاصة مع المسؤوليات الكثيرة الملقاة على عاتقهم، وإن دورهم يقتصر حالياً على الجوانب الجسمية والاجتماعية والجنسية والإيمانية والاقتصادية (الإنفاق على الأبناء).

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٩٧.

(٢) عزيز حنا داود، زكريا زكي اثناسيوس: دراسات في علم النفس، مرجع سابق، ص ١٤٥.

وفيما يتعلق بالجانب الإيماني فقد سبق شرحه في الفصل السابق، بصورة عامة، مما ينطبق في كثير من الأحوال على المراهق، كما أن التربية الإيمانية موضوع هام جداً ويحتاج لدراسة منفردة وليس جزءاً من فصل في هذا البحث.

وقبل البدء في عرض واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة البلوغ من النواحي الجسمية والاجتماعية والجنسية.

يجدر بنا أن نحدد ما المقصود بكل من المصطلحين: البلوغ والمراهقة.

وسوف نتناول كل مصطلح على انفراد:

البلوغ puberty:

يعني البلوغ من الناحية اللغوية، وكما جاء في القاموس المحيط[1]، معنى «الإدراك»، فهي مشتقة من «بلغ». وجاء في لسان العرب[2]: «بلغ الغلام احتلم، كأنه بلغ وقت الكتاب عليه والتكليف». وبنفس المعاني تقريباً جاء في معجم متن اللغة[3]: «بلغ الغلام والجارية بلوغاً أدركا، وأصله بلغ الحُلُم، وأوان التكليف».

أما ما جاء في المعاجم الأجنبية فكلمة بلوغ Puberty مشتقة من الكلمة اللاتينية Puberbas والتي تعني عمر الرجولة[4]. أما جير سلد[5] فيرى أن البالغ

---

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط جـ٣ (المطبعة الحسينية المصرية القاهرة، ١٣٣ هـ) ص ١٠٣.

(٢) ابن منظور: لسان العرب جـ ١ (الدار المصرية للتأليف والنشر مصورة عن طبعة بولاق، القاهرة، د.ت.) ص ٣٠١.

(٣) أحمد رضا: معجم متن اللغة، جـ٣ (دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨) ص ٧٣٩.

(٤) E. B. Hurlock: **Developmental Cychology** (New York, Mc. Graw Hill Book Co., INC,. 1955), P. 171.

(٥) A. Jersild: **The Psychology of Adolescence** (New York: The Mac Millan Co., 1958)(F. 33.

هو «ذا أشعار»، وهذا يتفق مع رأي منير البعلبكي[1] حيث يذكر أن البلوغ يعني ظهور شعر العانة في المنطقة العانية.

هذا مع الناحية اللغوية للكلمة، أما ما تعنيه عملياً، فإن الموسوعة الأمريكية[2]. تفيد أنها تعني: «الفترة التي يصل فيها الفرد إلى النضج الجنسي، ويصبح النشاط الإنسالي ممكناً»، وجاء نفس المعنى لدى مصطفى فهمي[3] فعرف البلوغ بأنه «نضوج الغدد التناسلية، واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلى فترة الإنسان الراشد».

أما بشأن علامات النضج الجنسي، ففي الفتاة تأتي علامة الطمث (أو ما يسمى بالعادة الشهرية)، ولكن ذلك لا يعني النضج الجنسي الكامل، فقد ورد في الموسوعة البريطانية: «أن القدرة على الإنجاب لا تكمل لدى البنات إلا بعد مرور بعض الوقت على الطمث الأول»[4] ويحدد ذلك بصورة أكثر دقة ما ذكره مصطفى الخالدي حين قال: «وكثيراً ما يأتي الحيض قبل الإخصاب Fertility وتحتاج الفتاة إلى سنتين أو ثلاث بعد ابتداء حيضها حتى تصبح قادرة على الإنجاب»[5]. وأما علامة النضج الجنسي لدى الفتى فهي افراز الحيوانات المنوية، ويبدو ذلك في الاحتلام. ويقال نفس الشيء في الفتى ما قد قيل لدى الفتاة، من أن الاحتلام الأول لا يعني النضج الجنسي الكامل، فالأمر يحتاج لفترة زمنية حتى يصبح قادراً على الإنجاب.

المراهَقة Adolescence :

ففي لسان العرب[6]، «راهق الغلام فهو مراهق: إذا قارب الاحتلام

---

(١) منير البعلبكي: المورد (دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٧) ص ٧٣٧.

(٢) «Puberty» Encyclopedia Am., 1975, Vol., XXII. P. 753.

(٣) مصطفى فهمي: سيكلوجية الطفولة والمراهقة (مكتبة مصر، "لقاهرة، د.ت.) ص ٢٠٥.

(٤) «Adolescence», Encyclopedia Br. 1973, Vol., I.P. 162.

(٥) مصطفى الخالدي: الحمل والولادة (منشورات ليلى الخالدي التذكارية بيروت، ١٩٦٣) ص ٧٣.

(٦) ابن منظور: لسان العرب، مرجع سابق، جـ ١١، ص ٤٢٢.

والمراهق: الغلام الذي قارب الحلم». وفي أساس البلاغة[1] نجد «صبي مراهق: مدان للحلم، والحلم يعني إدراك وبلوغ مبالغ الرجال».

وفي المعاجم الأجنبية، تأتي كلمة مراهقة، وكلمة رشد (Adulthood) مشتقتان من نفس الفعل اللاتيني Adolescere الذي يعني التدرج نحو النضج[2].

وبالنسبة للمعنى الاصطلاحي، فيرى أحمد زكي صالح[3] أن «المراهقة مصطلح وصفي يقصد به مرحلة نمو معينة تبدأ بنهاية الطفولة وتنتهي بابتداء مرحلة النضج أو الرشد، أي إن المراهقة هي المرحلة النمائية أو الطور الذي يمر فيه الناشىء ـ وهو الفرد غير الناضج جسمياً وانفعالياً واجتماعياً وعقلياً ـ نحو بدء النضج الجسمي والعقلي والاجتماعي».

ويعرفها كل من فورد وبيتش بأنها «هي الفترة التي تمتد ما بين البلوغ والوصول إلى النضوج المؤدي إلى الإخصاب الجنسي، حيث ستصل الأقسام المختلفة للجهاز الجنسي إلى أقصاها في الكفاءة وفي المراحل المختلفة لدورة الحياة. وفي الحقيقة سوف لا تكتمل مرحلة المراهقة إلا عندما تصبح جميع العمليات الضرورية للإخصاب والحمل والإفراز ناجحة»[4].

وعلى ذلك فإن «البلوغ يأتي في بدء المراهقة، ويمثل جزءاً من مرحلة المراهقة»[5]، كما أن «البلوغ يعتبر وجهاً من أوجه النمو العضوي والنضج الجنسي، بينما المراهقة أكثر اتصالاً بالتطورات الانفعالية والعقلية والشخصية الناجمة إلى حد بعيد عن تغيرات البلوغ وحاجاته»[6].

---

(١) الزمخشري: أساس البلاغة (محمد مصطفى الكتبي، القاهرة، ١٣٢٧ هـ) جـ١، ص٢٠٣.

(٢) Pikunas and E.J. Albrecht: **Psychology of Human Development** (Nork: Mc Graw Hill Book Co., INC., 1961) p. 171.

(٣) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص١٩٣.

(٤) Ford and Beach: **Encyclopedia of Social Science** Vol., I,PP. 171 - 172.

(٥) E.B. Hurloch: Developmental Psychology, Op. Cit., P. 172.

(٦) J.Pkunas and E.J. Albrecht, Op. Cit. P. 171.

ويبدي أحمد زكي صالح تحفظاً على مفهوم المراهقة، وهو الادعاء بأن سبب المراهقة يرجع إلى نوع من التغيرات العضوية الداخلية والتي تسمى التغيرات الجنسية، ويقول إن «المراهقة هي مرحلة نمو تتأثر بما قبلها من مراحل وتؤثر فيما بعدها من مراحل نمائية، وهي متعددة الجوانب، فكما أن المراهق ينمو جسمياً، فهو كذلك ينمو فسيولوجياً وجنسياً، وينمو عقلياً وينمو انفعالياً وينمو اجتماعياً وينمو مهنياً»[1].

وبالنسبة للسن التي يبدأ عندها مرحلة البلوغ، فترى هيرلوك[2] إن «العمر المتوسط لبلوغ الذكور هو بين ٥ر١٣ - ٥ر١٤، وبالنسبة للإناث فيقع قبل ذلك بستة أشهر أو سنة». وقد يؤثر الطقس على بداية سن البلوغ، ففي المناطق الباردة قد تتأخر البداية، بينما في المناطق المعتدلة تأتي مبكرة بمتوسط ١٢ - ١٣ سنة للبنات، و١٤ - ١٥ سنة للذكور. وتمتد فترة المراهقة - عضوياً وحيوياً - حتى سن العشرين حينما يكتمل النضج الفسيولوجي من حيث القدرة على التناسل. وقد تمتد مرحلة المراهقة من الناحية الاجتماعية في البلاد العربية إلى أخريات العقد الثاني من الحياة، حين ترفع الولاية عن الفتى والفتاة[3].

وبعد تحديد مفهومي البلوغ والمراهقة، يمكننا أن ننتقل إلى دراسة الواجبات الملقاة على عاتق الوالدين تجاه أبنائهم المراهقين، بالنسبة لأهم جوانب عمليات النمو والتي تتصل اتصالاً مباشراً بواجبات الآباء والأمهات تجاه أبنائهم، وهذه الجوانب هي: الجسمية، والاجتماعية والجنسية.

أولاً: التربية الجسمية

ينمو المراهق[4] في أبعاد مختلفة منها البعد الجسمي، ويشمل هذا البعد

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٩٤.

(٢) E.B. Hurloch: OP. cit., p. 172.

(٣) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١٩٦.

(٤) عندما نذكر كلمة المراهق أو المراهقين فإننا نعني كلا الجنسين الذكور والإناث، أما عندما نقصر=

مظهرين هامين من مظاهر النمو هما: النمو الفسيولوجي أو التشريحي والنمو الجسمي. ويقصد بالنمو الفسيولوجي: النمو في الأجهزة الداخلية غير الظاهرة التي يتعرض لها المراهق أثناء البلوغ وبعده. ويشمل ذلك بوجه خاص النمو في الغدد الجنسية. أما النمو الجسمي، فهو عبارة عن التغيرات في الأبعاد الخارجية للمراهق كالطول والوزن والعرض وتغيرات الوجه. وسوف نتناول كل مظهر من النمو ـ الداخلي والخارجي ـ بالتفصيل ونقف على مشكلاتها وواجبات الآباء والأمهات تجاه تلك المشكلات، سواء من وجهة نظر علماء التربية وعلم نفس النمو، أو من وجهة نظر التربية الإسلامية، بوجه خاص.

النمو الفسيولوجي(١):

لعل أهم وأول مظهر من مظاهر النمو الفسيولوجي في المراهقة هي مظاهر النضج الجنسي. وغدة الجنس عند الأنثى هي المبيضان، ووظيفتهما إفراز البويضات، ويظهر الطمث نتيجة لانفجار البويضة الناضجة في المبيض، ويبدأ الحيض عادة في السنة الثالثة عشرة، وإن كان ثمة فروق بين الأفراد في السلالة الواحدة، كما أن النضج الجنسي يتأثر بالكثير من العوامل مثل التغذية والأنماط الثقافية المحيطة بالمراهق. ويصاحب النضج الجنسي لدى الفتيات ظهور العلامات الجنسية الثانوية، فتنمو عظام الحوض ويختزن الدهن في الأرداف

الكلام على أحد الجنسين، فإننا نشير إلى المراهق أو المراهقين باسم الفتى أو الشباب أو البنين وإلى المراهقة أو المراهقات باسم الفتاة أو البنات.

(١) يمكن الرجوع إلى عدد من المصادر الأساسية في علم النفس والتي منها:

★ أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق ص. ص ٢٠١ ـ ٢٠٦.

★ مصطفى فهمي: سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مرجع سابق ص. ص ٢٠٦ ـ ٢١١.

★ عزيز حنا، زكريا اثناسيوس: دراسات في علم النفس، مرجع سابق، ص. ص ١٤٨ ـ ١٥٣.

★ حامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكلوجية النمو، مرجع سابق، ص. ص ٢١٣ ـ ٢١٤.

★ حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق، ص. ص ٢٩٧ ـ ٣١٠.

★ نوري حافظ: المراهق (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠).

وينمو الشعر فوق العانة وتحت الإبط، كما تنمو الأعضاء التناسلية المناسبة للرحم والمهبل والثديين.

والغدة التناسلية الأساسية عند الذكر هي الخصية التي تفرز الحيوانات المنوية والهرمونات الجنسية، وتسبح هذه الحيوانات في السائل المنوي الذي تفرزه البروستات، وبالنسبة لبدء أول قذف فقد توصلت الدراسات إلى تحديد سن تقريبي وهو الثالثة عشرة والنصف وأما عن العلامات الجنسية الثانوية عند الفتى فتبدأ بظهور الشعر فوق العانة، وتحت الإبط وفوق الشفة العليا وعلى الذقن، ويتضخم الصوت، ويزداد النمو الجسمي كثيراً.

ويرتبط ارتباطاً وثيقاً النضج الجنسي ومظاهره بما يسمى بجهاز الغدد، ومن هذه الغدد:

ـ **الغدة النخامية**: وهي أهم الغدد في جسم الإنسان وخاصة الفص الأمامي منها، الذي تزيد إفرازاته من الهرمونات المنبهة للجنس وقت البلوغ.

ـ **الغدة الدرقية**: وهرمونها يؤدي إلى إسراع العمليات الكيمائية في الجسم والمساعدة على نمو الفرد. وزيادة إفراز الغدة الدرقية يسبب للفتيات آلام الحيض واضطرابات في الجلد وزيادة العرق، والإغماء وسرعة دقات القلب.

ـ **الغدة الكظرية**: وهما غدتان فوق الكلى، وهرمونها يؤثر في النمو الجنسي بوجه عام.

ـ **الغدة الليمفاوية (ذات القنوات)**: مثل غدة الصفراء، والغدد اللعابية، والغدد العرقية، وأهم هذه الغدد تأثيراً في مرحلة المراهقة هي الغدد العرقية، التي تنشط جداً وتكون في درجة عالية من الحساسية، مما يجعلها تفرز كميات كبيرة من العرق عند بذل أي مجهود ولو بسيط.

ومن الأجهزة الداخلية التي يحدث بها نمو وترتبط بحالة المراهق:

ـ **الجهاز الدوري**: حيث ينمو القلب بسرعة لا تتمشى مع سرعة

الشرايين، وكذلك يرتفع ضغط الدم في فترة المراهقة. وقد يسبب هذا الاضطراب في النمو حالات الإغماء والصداع والقلق والاضطراب والدوخان.

ـ **الجهاز التنفسي**: تنمو الرئتان، ويتسع الصدر تبعاً لذلك، وتكون الرئتان في حالة الأولاد أكبر منها في حالة البنات. وربما يرجع ذلك إلى قلة ممارسة الفتاة للرياضة خصوصاً بعد السادسة عشرة، في الوقت الذي يستمر فيه الولد في ممارسة مختلف ألوان النشاط الرياضي.

ومن خلال العرض السابق للنمو الفسيولوجي يمكننا التوقف عند بعض النقاط أو المضايقات أو المشكلات التي تعترض النمو الطبيعي للمراهق، وذلك بغرض توجيه أنظار الآباء والأمهات والمعلمين لها:

١ ـ فبالنسبة لظهور الطمث عند الفتاة، فإن الفتاة التي لا تعلم شيئاً من والدتها عن الحيض قبل حدوثه قد تشعر بالخجل والاشمئزاز إذا جاءها الحيض. وعندئذ قد لا تشعر بالخوف فقط، بل قد تشعر بالاستياء والمرارة من والديها، لأنهما لم ينبئاها بما سوف يحدث لها[١] وسواء توقعت البنت «حدوث أول حيض» أم لم تتوقعه فإنها عادة تنتبه لحدوثه. ويجب إعداد البنت لهذا الحدث لأن بعض البنات ينظرون في رعب وهلع إلى الحيض على أنه نزيف لا يمكن إيقافه. وقد يرتبط الحيض في هذه الحالة بعدم السرور أو بالخبرات المؤلمة باقترانها معاً في الدوام مما قد يصبغ وقت حدوثه بصبغة غيز سارة[٢].

هذا بالإضافة إلى أن الطريقة التي تواجه بها الأم ابنتها المراهقة عند معرفتها بظهور دم الحيض، من التكتم الشديد والسرية التامة وعدم التحدث مع أخواتها أو أبيها أو صديقاتها في هذا الشأن، قد يسبب للفتاة الكثير من الاضطرابات النفسية. وقد أورد مصطفى فهمي نتائج إحدى الدراسات على ٧٤٥ فتاة فكانت النتيجة كالآتي[٣]:

---

(١) هـ. هـ. ريمرز، س. ج. هاكيت: دعنا نفهم مشكلات الشباب. ترجمة عطية محمود هنا (مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦١) ص ٢٦.

(٢) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٣٠٢.

(٣) مصطفى فهمي: سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مرجع سابق ص ٢١٠.

٥١٪ من الحالات أحسسن بأنهن أصبن بالدهشة عند ظهور الحيض لأول مرة.

٢٤٪ من الحالات كن غير مباليات.

١٢٪ من الحالات أصابهن الحزن.

٧٪ من الحالات كن منزعجات.

٦٪ من الحالات كن فخورات.

وأورد البعض أن بعض الدراسات[١] أشارت إلى أن البنات يختلفن كثيراً بالنسبة لمدى إعدادهن نفسياً لظهور الحيض عندهن لأول مرة - بالنسبة لردود الفعل والانفعالات التي يتعرض لها آنذاك. فالانفعالات التي تتعرض لها البنت نتيجة لظاهرة الحيض ستكون في كثير من الأحيان استناداً إلى استعداد البنت للقلق أو الشعور بالخطيئة حول وظائفها الجسمية، بالإضافة لمدى الشعور بالثقة في نفسها، كما تعتمد على مجالات الحرية والانفتاح والقيود المحيطة بها.

وتؤكد إحدى النظريات أن هذه الظاهرة ترتبط بقبول البنت أو رفضها لمكانتها ودورها في المجتمع. فالمرأة التي تجد في الحيض ظاهرة صعبة وحرجة في حياتها، قد تجد صعوبة في تكييف حياتها مع الأوجه الأخرى لدورها في المجتمع، مثل إنجاب الأطفال وتنشئتهم وتربيتهم وملازمتهم حتى اعتمادهم على أنفسهم[٢].

ويجب أن تتفهم الفتاة أسباب الحيض والعمليات الجسدية التي تقود إليه بصورة واضحة. يجب أن تفهم أن هذه هي حكمة الله تعالى من أجل حفظ النوع الإنساني، وأن أمومتها متوقفة على نمو هذه الوظائف. هذا ولا يمكن التجاهل بأنه من وجهة نظر الفرد بأن الحيض مزعج وكثيراً ما يكون مصحوباً بانزعاج جسدي بالغ. ولذلك فإنه من الأهمية بمكان عظيم أن تشعر الفتاة بأن للحيض غاية مفيدة وأنه ليس مجرد شيء يجب تحمله أو التنكر له. وقبل كل

---

(١) نوري حافظ: المراهق، مرجع سابق، ص ٦٦.

(٢) نوري حافظ: المرجع السابق مباشرة، نفس الصفحة.

شيء يجب أن تتحقق الفتاة من أنه لا يوجد سبب لخجلها من الحيض أو استشعار المهانة بسببه وذلك على اعتباره واسطة لتحقيق واحدة من أهم وظائفها كامرأة[1].

وانزعاج الفتاة من ظهور الطمث الأول يجب ألا يمنعها من مزاولة نشاطاتها المعتادة بما في ذلك الألعاب الرياضية، بالرغم من أن بعض الفتيات يفضلن عدم الانخراط في التمرينات الجسدية العنيفة في اليوم الأول أو اليومين الأولين. ولكن الدراسات والأبحاث الطبية أكدت أنه من الأفضل للفتاة أن تكون فعالة ونشيطة حتى منذ بداية الحيض، وأن هذا بالذات يقلل من الألم والانزعاج[2].

وفي حالة شكوى الفتاة من الألم وعدم الراحة فإنه من المناسب استشارة طبيب، حيث إن الفتاة السوية الصحيحة غالباً ما تعلق أهمية بالغة على آلام الطمث.

٢ ـ وبالنسبة للفتى ، فإن مظهر البلوغ الأول هو إفراز المني، والذي ينظر إليه الفتى باهتمام حيث إن هذا المظهر يعبر عن «الذكورة» والتي تتضمن معنى المكانة والقيمة بين أقرانه من الذكور.

ومن الأهمية بمكان عظيم أن يهيأ الفتى لقذفه الأول، فيجب أن يشرح للفتى مسبقاً أن السائل المنوي يحتوي على الحيوانات المنوية التي إذا ما التقت بالبويضة التي تفرزها الأنثى تقود إلى الحمل، وأن السائل المنوي لا وظيفة أخرى له، وأنه لا يحتوي على أية مواد كيماوية ذات أهمية.

وقد يشعر الفتى أنه حين يقذف السائل المنوي فإنه يضيع قوته، ولقد كان هذا في الواقع اعتقاد الأقدمين[3].

---

(١) درويس أودلم: **رحلة عبر المراهقة**. ترجمة فاخر عاقل، ط ٢ (دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧) ص ٤٣.

(٢) نفس المرجع السابق، ص ٤٢.

(٣) درويس أودلم: **رحلة عبر المراهقة**، مرجع سابق، ص. ص ٤٥ ـ ٤٦. وأيضاً حامد عبد السلام زهران: **علم نفس النمو**، مرجع سابق، ص ٣٠٥.

ولا تقل أهمية تحضير الأبوين ابنهما لعلامات بلوغه من تحضيرهما ابنتهما لعلامات حيضها. والمراهقون الذين لا يكون لهم علم مسبق، أو الذين يسمعون إشاعات غامضة لا يصابون بالارتباك فحسب، وإنما قد يصابون بالهلع خاصة وأن الوالدين يريان أنه من الصعب أن يناقشا الأمر مع الفتى حين يلاحظون لأول مرة المني الذي يلطخ منامته (بيجامته) أو بياضات سريره.

٣ ـ وبالنسبة لمظاهر النمو الجنسي الثانوية لدى الفتاة، فقد تشعر بالحرج عندما تجد أن اجزاء جسمها النامية (خاصة الثديين والردفين قد أخذت شكلاً جديداً لافتاً للأنظار بطريقة تختلف عن ذي قبل، لأنها أجزاء خارجية تظهر من الملابس ويمكن أن تتحرك. وقد يدفعها ذلك لعدم ممارسة الألعاب الرياضية أو الجري لخجلها، ومن ثم تعمل جاهدة على التقليل من الطعام، أو تناول ألوان خاصة منه «عمل الريجيم»، كل ذلك بقصد التقليل من وزنها، متخيلة أن ذلك يساعدها على عدم تزويد الثديين والأرداف، مع أن السبب الحقيقي يرجع إلى النمو العظمي، وبدء نشاط الغدة النخامية[1].

وهنا يجدر الإشارة إلى أن الإسلام حدد معالم عورة المرأة وفرض عليها تغطيتها، فقال تعالى: ـ **﴿وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها، وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو. . .﴾**[2].

ـ وقال تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً﴾**[3].

وألزمها بتغطية الصدر وعدم تحديد معالم جسمها بارتداء الملابس الضيقة

---

(١) راجع حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، [مرجع سابق، ص ٣٠٥. وأيضاً مصطفى فهمي:] سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ص ٢١٠.
(٢) سورة النور، آية: ٣١.
(٣) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

التي تظهر مفاتنها أمام الرجال[1].

ومن بين الأسباب الأخرى التي تضايق الفتاة ظهور بعض الشعيرات على الشفة العليا والذقن والساقين، كل ذلك يجعلها تطيل النظر في المرأة وتعمل جاهدة على إزالة هذه الشعيرات، أو تفكر في طريقة لتخفي بها هذه الشعيرات.

وقد أباح الإسلام للمرأة إزالة هذه الشعيرات من جسدها لعدم تشبهها بالرجال أما إزالة شعر الحاجبين أو تغيير معالمهما، فإن ذلك مما نهى عنه رسول الله ﷺ: فعن ابن مسعود أنه قال لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله. فقالت له امرأة في ذلك، فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله، قال تعالى: ﴿**ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾[2] (الحشر: ٧).

٤ ـ وبالنسبة لنمو الأجهزة الداخلية، ففي الجهاز الدوري ينمو القلب بسرعة لا تتمشى مع سرعة نمو الشرايين، مما ينتج عنه ازدياد ضغط الدم في فترة المراهقة، ويترتب على ذلك كثرة حالات الإغماء والصداع والقلق والاضطراب والدوخان، وعلى المربي أن يوفر قدراً كافياً من الراحة، ويقدر تلك الأعراض لعلمه بالمسببات.

وبالنسبة للجهاز الهضمي فإن الزيادة المستمرة في طول وزن المراهق تحتاج إلى تغذية مستمرة منوعة، وتظل شهية المراهق مفتوحة لمدة حوالي ثلاثة أو أربعة أعوام. وقد يعاني المراهق من بعض الاضطرابات المعوية والتي قد ترجع إلى عدم انتظام سرعة النمو بين أجزاء الجهاز الهضمي وملحقاته، وهنا تتضح أهمية الغذاء البروتيني وأهمية الفيتامينات.

وبالنسبة للغدد، فالغدة العرقية تنشط جداً، وتكون في درجة عالية من

---

(١) سوف تعالج هذه النقطة بتفصيل أكثر في هذا الفصل، ص.

(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجة. مذكور في: محمد صديق حسن خان البخاري، مرجع سابق، ص ٥٣٠. النامصة: التي تنقش الحاجب حتى ترققها. وقيل هو من النمص، وهو نتف الشعر عن الوجه.

الحساسية، مما يجعلها تفرز كميات كبيرة من العرق في مقابل أي مجهود ولو بسيط، مما يضايق المراهق بدرجة كبيرة. وفي حالة استثارة المراهق انفعالياً نجده يتصبب عرقاً ويزداد حرجاً، وهذا يستدعي من المربين مراعاة ذلك.

٥ ـ وبالنسبة للنضج الجنسي المبكر، ففي الإناث قد يكون مصدر قلق وازعاج لهن، وعلى العكس قد يكون لبعضهن مصدر سرور وبهجة. فقد يؤدي بالفتاة إلى ابتعادها عن رفيقاتها وشعورها بالغربة بينهن، ومما يزيد الأمر صعوبة إن هذا النضج الفسيولوجي لا يصاحبه نضج عقلي أو اجتماعي. وقد يسبب النضج الجنسي المبكر للفتاة نزاعاً مع والديها اللذين لا يزالان ينظران إليها بعين الطفولة، مما يؤدي إلى ثورتها لاعتقادها بأنها قد بلغت حداً من النضج يؤهلها للانخراط في مجتمع الكبيرات من الإناث.

وكذلك الحال للذكور، فالولد الذي ينمو بصورة مبكرة سوف ينعم بكثير من الامتيازات، وقد يتمتع بالمكانة الاجتماعية بسبب طوله الفارع ووزنه الثقيل، إذا ما قورن برفاقه الذين لا يزالون صغاراً أو يبدون كالأقزام بالنسبة له. وهو يمارس التمرينات الرياضية العنيفة دونهم، ويتمتع بالامتيازات التي كانت وقفاً على الكبار[1].

النمو الجسمي:

يمثل النضج الجنسي خطوة نحو اكتمال الشخصية بوجه عام، ولكن لا تقل التغيرات الجسمية الخارجية (العضوية) في أهميتها السيكلوجية والاجتماعية عن النمو الفسيولوجي. والواقع أن المراهق والآخرين من حوله الذين يلتصق بهم يشعرون بالتغيرات الجسمية أكثر من شعورهم وإدراكهم بالتغيرات الجنسية ولعل الوالدين هما أوائل الناس في ملاحظة النمو السريع في العقد الثاني من الحياة نظراً لما يتضمنه هذا النمو من ملابسات اقتصادية تقع

(١) نوري حافظ: المراهق، مرجع سابق، ص ٦٧.

على كاهلهما فملابس الصيف الماضي لم تعد صالحة لهذا الصيف، .. الأمر الذي يجعلهما يفكران إزاء هذه المشكلة تفكيراً خاصاً[١].

مظاهر النمو الجسمي[٢]:

يحدث في هذه الفترة من النمو ما يسمى بـ «طفرة النمو» Growth Spurt حيث تزداد سرعة النمو لمدة ثلاث سنوات (١٠ ـ ١٤ عند البنات، ١٢ ـ ١٦ عند البنين) وذلك بعد فترة النمو الهادىء في المرحلة السابقة. على أن النمو يستمر إلى حوالي ١٨ سنة عند البنات، وإلى ٢٠ سنة عند البنين، وتصل أقصى سرعة للنمو الجسمي عند البنات في سن ١٢ سنة وعند البنين في سن ١٤.

ويتغير شكل الوجه إلى حد كبير وتزول ملامحه الطفولية، ويزداد [illegible] زيادة سريعة، ويتسع الكتفان ومحيط الأرداف ويزداد طول الجذع، وطول الساقين مما يؤدي إلى زيادة الطول والقوة. ويزداد أيضاً نمو العضلات والقوة العضلية بصفة عامة، ويزداد الوزن زيادة سريعة نتيجة لنمو العضلات والعظام.

وتوجد فروق بين الجنسين في مظاهر النمو الجسمي: فالبنين أقوى جسمياً نسبياً من البنات حيث تنمو عضلاتهم أسرع، أما عند البنات فيتراكم الدهن في أماكن معينة. ويتزايد نمو النشاط العضلي عند البنات حتى سن ١٦ سنة بينما تصل القوة العضلية أقصاها عند البنين في سن ١٥ سنة وتستمر في الزيادة حتى سن ١٨ سنة.

وتنمو عظام الحوض عند الفتاة بشكل أوضح منه عند الفتى تمهيداً لوظيفة الحمل والولادة. وتهتم الفتاة أكثر من الفتى بالمظهر الشخصي من حيث الطول والوزن والمظهر العام وتسعى دائماً لكي تبدو «أكثر جمالاً وجاذبية» لذلك فإنها تقضي وقتاً طويلاً أمام المرآة.

هذه أهم مظاهر النمو الجسمي للمراهق بصفة عامة وسوف نقف عند

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ٢٠٦.

(٢) راجع أحمد زكي صالح: المرجع السابق، ص. ص ٢٠٧ ـ ٢١٣.

بعض هذه المظاهر لنتعرف على مشكلاتها النفسية والاجتماعية بهدف توجيه الآباء والأمهات والمربين إلى أدوارهم ومواقفهم السليمة إزاءها.

١ ـ تسبب الزيادة المفاجئة والتغيرات الجسمية السريعة التي تحدث في فترة ما قبل البلوغ مباشرة وتستمر بدرجة أقل بعد الخامسة عشرة والمعاملة المتناقضة التي يلقاها ممن حوله حساسية للمراهق نحو جسمه أو ذاته، ويؤدي اختلاف الأعضاء الجسمية في درجة وسرعة النمو إلى عدم التوازن الجسمي.

فحركاتهم تكون قليلة التناسق والتناغم. إنهم دائمو الاصطدام بالأشياء ويكثرون من إسقاطها وتكسيرها. وهم يبدون عاجزين تماماً عن إغلاق باب دون ضربة بعنف. وهم يقولون بأنهم يشعرون وكأنهم كلهم أيادي وسيقان ولا يعرفون مطلقاً ماذا يفعلون بأيديهم وأرجلهم. حينما يجلسون يبسطون أذرعتهم وسيقانهم وحينما يقفون يترنحون. ويجد الوالدان صعوبة كبيرة في عدم الثورة على هذه المخلوقات الصعبة المراس وكثيراً ما ينتقدون مظهرهم غير المناسب وسلوكهم بنوع من «التريقة والتنكيت» على المراهق، ولكن الأمر عند المراهق أبعد ما يمكن أن يكون موضوع سخرية واستهزاء. إذ إنه يشعر بشيء كبير من القلق والانزعاج الذي يثير لديه جواً من عدم الاطمئنان وخللاً في الأمور التي تعود عليها[1].

إن لسرعة التغيرات الجسمية آثاراً سيئة بالنسبة لتصرف المراهقين، فقد يزداد نمو القدمين والذراعين بسرعة مذهلة مما قد يظهرها بعيدة كل البعد عن التناسق بالنسبة لأعضاء الجسم الأخرى، وسيصبح حذاؤه ضيقاً لا يتسع لضخامة قدمه. وقد يدفع حرص المراهق على جاذبيته وحبه لمظهره إلى لبس أحذية تضغط على قدمه وتشوهها، ولذلك كان من واجب الأبوين أن يلاحظا الدمامل التي تنمو على أقدام أبنائهم ويعالجوها، لا سيما وإن علاجها أصبح ميسوراً اليوم وإن الكثيرين من شباب اليوم مصابون بأقدام مشوهة.

وكثيراً ما يدفع التفاخر البنات، وأحياناً البنين، إلى الامتناع عن لبس

---

(١) درويس أودلم: رحلة عبر المراهقة، مرجع سابق، ص ٤٧.

نظاراتهم حالما يتركون المدرسة دون أن يدركوا مقدار الأذى الذي يلحقونه بأبصارهم.

٢ ـ لعل أكثر فئات المراهقين تعرضاً لسوء التكيف الاجتماعي بسبب النمو الجسمي هما فئة المراهقات المبكرات في النضج، وفئة المتأخرين من الجنسين كذلك. فقد تصبح الفتاة المبكرة في النمو الجسمي حساسة وقد تؤدي بها هذه الحساسية إلى الانطواء أو إلى كراهية الذات أما فئة المتأخرين من الجنسين عن أقرانهم في النمو الجسمي فكثيراً ما يعانون من ضعف البنية وفقر العضلات، وقد يؤدي ذلك إلى الشعور بالنقص ثم إلى سوء التكيف الاجتماعي.

وتحتاج هاتان الفئتان إلى التوجيه وإلى القيام ببعض ألوان النشاط العقلي والاجتماعي الذي يعوضهم عن النقص الجسمي، أو يحقق لهم التقبل والتكيف.

أما المبكرون في النمو الجسمي من الذكور فهم أسعد الفئات كلها حظاً في هذه المرحلة، حيث يحقق لهم تفوقهم الجسمي تفوقاً في المنزلة الاجتماعية بين أقرانهم، وتولي مواضع الزيادة والقيادة وخاصة في الأنشطة التي تحتاج إلى البنية النامية والعضلات القوية.

كل هذه الحالات تلقي على الآباء والأمهات والمربين أعباء تفهم هذه الحقائق عن التغيرات الجسمية وآثارها النفسية والاجتماعية حتى يستطيعوا على الأقل أن يوجهوهم التوجيه السليم، وأن يقابلوا اضطرابهم باتزان وثورتهم بصبر، وارتباكهم بالتشجيع وخلق الثقة فيهم حتى يجتازوا المرحلة بسلام ويواجهوا المرحة التالية وهم أكثر استعداداً لها.

٣ ـ تتميز مرحلة الطفولة المتأخرة بصحة جيدة، وعندما يحل دور البلوغ يلاحظ تغير عام في صحة الفتى أو الفتاة. ويتميز هذا الدور بأنه فترة أقرب إلى المرض منها إلى الصحة، ويرجع سبب ذلك إلى سرعة النمو وما يصاحبه من تغيرات داخلية. من أجل ذلك يلاحظ سرعة تعرض المراهق للإصابة بالأنيميا،

التي تجعل الجسم أقل مقاومة للأمراض التي يتعرض لها.

بالإضافة إلى ما سبق فإن سرعة النمو في السنوات الأولى من مرحلة المراهقة، تؤدي إلى أن يشعر المراهق في كثير من الأحيان بالإجهاد، والميل إلى التراخي، وعدم الرغبة في اللعب، كما يفقد الشهية، ويشعر من وقت لآخر بآلام في المعدة (عند البنات) كما يكون عصبياً، قلقاً دائم الشكـوى من الصداع[1].

أما في المرحلة الأخيرة من المراهقة نجد أن صحة المراهق تأخذ في التحسن، وقد أثبتت بعض الإحصاءات أن قلة من المراهقين في هذا السن هي التي تستلزم أمراضهم استدعاء الطبيب. إن الكثير من الأمراض التي يشكو منها المراهقون والمراهقات في هذه السن تكون أمراضاً وهمية، فهم يلجأون إلى الشكوى من المرض كوسيلة دفاعية للهروب من المسؤوليات وخاصة ما يتعلق منها بالمدرسة.

وتضيف إحدى الباحثات أن الإمساك شائع عند الفتيات والفتيان، ولذلك يجب تعويد الطفل الصغير على إخراج فضلاته بانتظام، لأهمية هذا الأمر. وقد يحدث أحياناً أن يهمل المراهقون والمراهقات إخراج فضلاتهم فيبدون فاتري النشاط مثقلي الأجفان، بل قد يستشعرون المرض، وهم كثيراً ما يستنكرون سؤال الوالدين عن هذه الناحية ويرفضون أكل الخضار والثمار الطازجة التي تساعد على تنظيم جهازهم الهضمي[2].

٤ ـ وتوجد بعض المنغصات للمراهقين والتي تسمى بـ «حَبْ الشباب» والتي تظهر على الوجه والظهر والصدر، وتنتج عن زيادة فعالية الغدد الجلدية التي تنتج عادة مادة دهنية تحفظ الجلد صحيحاً وتمنعه من الجفاف فإذا ما أفرزت هذه الغدد المزيد من المادة الدهنية سدت المسام، فإذا ما علقت ذرة من

---

(١) مصطفى فهمي: سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ص. ص.٢٢٤ ـ ٢٢٥. وأيضاً حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٢٢١.

(٢) درويس اودلم: رحلة عبر المراهقة، مرجع سابق، ص ٥٠.

غبار في المسامة المتوسعة ظهرت بثرة ملتهبة تكون سوداء في قمتها.

ومن الأسباب التي تهيىء الفرصة لظهور بثور الشباب البشرة الدهنية، وإهمال غسل الوجه ونظافته، وعدم التمتع بالشمس والهواء، والإفراط في تناول المواد النشوية والدهنية، واضطراب الهضم، واضطراب الغدد الصماء، ونقص فيتامين «أ». وينصح علماء النفس بتجنب القلق أو الخجل من مواجهة الناس، كما ينصح الأطباء بغسل الوجه عدة مرات يومياً بالماء الدافىء والصابون الطبي، والمثابرة على الرياضة والتمتع بالشمس والهواء ،وعدم عصر البثور الموجودة بالوجه حيث إن ذلك يلهبها أكثر ، والإقلال من تناول المواد النشوية والدهنية[1]و. . .

ويجب أن يطمئن الشباب أن هذه البثور شيء طبيعي في هذه المرحلة، فقليلاً ما يستمر وجودها بعد سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة.

وبعد استعراضنا لجوانب التربية الجسمية في فترة المراهقة والتوقف عند بعض مشكلاتها، نختتم هذه النقطة بتلخيص أهم التوجيهات التي على المربين بصفة عامة مراعاتها:

١ ـ يجب الاهتمام بإعداد المراهقين للنضج الجسمي والتغيرات الجسمية التي تطرأ في هذه المرحلة: معناها، والفروق الفردية فيها، وتقبلها والتوافق معها. . الخ، وإعداد البرامج التربوية المخططة الخاصة بذلك.

٢ ـ يجب مراعاة الفروق الفردية بين الجنسين بصفة عامة.

٣ ـ يجب عدم التركيز على النمو العقلي على حساب النمو الجسمي.

٤ ـ يجب العمل على استثمار طاقة المراهقين في أوجه النشاط الرياضي والكشفي والصحي والثقافي والفني والعلمي والاجتماعي داخل المدرسة وخارجها.

٥ ـ يجب الاهتمام بالتربية الصحية والقضاء على الأمية الصحية وزيادة

(١) راجع حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٣١١.

الوعي الغذائي والعادات الصحية الخاصة بالنوم والراحة لمواجهة النمو الجسمي السريع، والالتزام بالجانب الصحي لعلاج حَبْ الشباب.

٦ ـ توجيه المراهقين إلى الابتعاد عن الإفراط في السهر والتدخين واللهو وكل ما يستنفد طاقاتهم وحيويتهم.

وبالرغم من أن علم نفس النمو الحديث قد أفاض الكثير في توجيه الشباب والمراهقين بالنسبة للنواحي الجسمية والاهتمام بها وحسن رعايتها، إلا أننا نجد أن التربية الإسلامية قد قدمت الكثير أيضاً في هذا المجال.

وتتميز توجيهات التربية الإسلامية بشمولها لجميع مراحل النمو، مع التركيز على مرحلة المراهقة والرشد.

وتتباين وتتعدد مجالات التربية الجسمية في الإسلام، ابتداء من الاهتمام بالجسد بحسن التغذية الطيبة والحلال، إلى مراعاة حاجات الجسم من النوم، والاهتمام بأمور النظافة الشخصية، ومروراً بميدان التربية البدنية. وسوف نتوقف عند بعض هذه المجالات كأمثلة لبقية المجالات الأخرى، ونتعرف فيها على توجيهات مصادر التربية الإسلامية الرئيسية، وهما القرآن الكريم والسنة النبوية، بشأن التربية الجسمية بصفة عامة سواء لمن هم في مرحلة المراهقة والرشد، أم مرحلة الطفولة المتأخرة، أم مرحلة الطفولة المبكرة.

مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية:

ويمكن تتبع أهم هذه المظاهر من خلال النقاط الآتية:

١ ـ التغذية.
٢ ـ النظافة الشخصية.
٣ ـ التربية البدنية.

ونبدأ بالمظهر الأول للتربية الجسمية وهو:

١ ـ التغذية:

يتفق فقهاء المسلمين على أن كل ما يحفظ الجسم فهو مصلحة، وكل ما يضره فهو مفسدة يجب دفعها. ففي القرآن الكريم آيات صريحة تؤكد أن الله سبحانه وتعالى لم يحرم على الإنسان التمتع والانتفاع بما خلق في السموات والأرض، ولا يجوز لأحد أن يحرم الجسد من ملذات الحياة وطيباتها، حتى ولو كان بدعوى التقرب إلى الله. حيث يقول الله تعالى:

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين، قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون﴾(١).

كذلك يؤكد رسول الله ﷺ حقوق الجسد من العناية والرعاية فهذا عقبة بن عامر يقول: قلت: يا رسول الله، إن أختي نذرت أن تمشي إلى البيت حافية غير مختمرة، فيقول له رسول الله ﷺ: «إن الله لا يصنع بشقاء أختك شيئاً، لتحج راكبة، ولتكفر يمينها»(٢).

وكذلك هذا عبد الله بن عمرو بن العاص يريد أن يبالغ في صومه لزيادة سموه الروحي. فيقول له رسول الله ﷺ: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام، قلت: يا نبي الله إني أطيق أفضل من ذلك، قال: فإن لزوجك عليك حقاً، ولزوارك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً»(٣)...

فهذا اعتراف من الإسلام بحاجات الجسد ومطالبه من مأكل ومشرب حلال طيب، يقول الله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٣١ ـ ٣٢.

(٢) السيوطي: جمع الجوامع، ج ١، مج ٢، (مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٣ هـ، ١٩٧٣ م) ص ١٦٥٣.

(٣) مسلم، جـ ٨، ص. ص ٤١ ـ ٤٣.

تعبدون﴾[1]، ويقول أيضاً:

﴿فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون﴾[2].

ويقول: ﴿وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها، ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون﴾[3].

وبالرغم من هذه الدعوة الصريحة لتناول الطعام والشراب الحلال الطيب، إلا أن الإسلام نبه إلى عدم الإسراف في المأكل والمشرب، وبين اضرار ذلك على صحة الجسد والعقل. فقال تعالى:

﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده، ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾[4] ويقول:

﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا، إنه لا يحب المسرفين﴾[5].

ومن الأحاديث النبوية: يقول رسول الله ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاء شراً من بطنه بحسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه، فإن كان لا محالة: فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»[6].

وحذر رسول الله ﷺ من السمنة والبطنة والتي تأتي من الإسراف في الطعام والشراب، فقال: «إياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة، ومفسدة للجسم، ومؤدية إلى السقم، وعليكم بالقصد في قوتكم فهو أبعد من السرف وأصح للبدن، وأقوى على العبادة»[7] ويقول أيضاً: «أخشى ما خشيت على

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٧٢.

(٢) سورة النحل، آية: ١١٤.

(٣) سورة المؤمنون، آية: ٢٠ - ٢١.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٤١.

(٥) سورة الأعراف، آية: ٣١.

(٦) البخاري جـ٧، ص. ص ٤٠ - ٤١.

(٧) طه عبد الله عفيفي: من وصايا الرسول ﷺ (دار الاعتصام، القاهرة د.ت.) جـ١، ص ١٠٩

أمتي كبر البطن ومداومة النوم والكسل»[1].

هذا بالإضافة إلى أن الإسلام أرشد إلى بعض العادات الصحية التي تتعلق بالمأكل والمشرب حماية للإنسان من الأمراض. فقد «نهى رسول الله ﷺ أن يتنفس في الاناء أو ينفخ فيه»[2]، ويقول ﷺ: عن سلمان قال: قرأت في التوراة أن بركة الطعام الوضوءِ قبله، فذكر ذلك وهو بذلك يشير إلى أهمية غسل الأيدي قبل تناول الطعام وبعده[3]، وذلك لكثرة تعرضهما للتلوث.

هذه هي بعض من شواهد السنة النبوية التي تثبت التجارب الطبية والعلمية الحديثة أهميتها، بل وضرورتها لحفظ الجسم ورعايته ووقايته من الأمراض، وأولى باتباع هذه القواعد الصحية الشاب المسلم بصفة خاصة حتى يصون جسمه من الأمراض، ويتعود عليها لتصبح عادة سلوكية يلتزمها في بقية مراحل عمره.

النظافة الشخصية:

للنظافة دورها الهام والفعال في صحة البدن وبالتالي نموه النمو السوي. ويهتم الآباء والمربون الواعون المخلصون دوماً بإرشاد الناشئين والشباب إلى الأخذ بأسباب النظافة الشخصية في أبدانهم وملابسهم وغذائهم وجعل ذلك عادة راسخة في طبعهم يمارسونها في حياتهم اليومية دون إهمال أو نسيان.

والسنة النبوية أرشدت إلى صحة البدن، وبدأت بتأكيد الالتزام «بالطهارة» في البدن والثياب ونحوها وجعلتها شرطاً لازماً لصحة الصلاة التي هي عماد الدين. قال تعالى:

﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾[4].

---

(١) السيوطي: الجامع الصغير، جـ ١ (مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٦ هـ) ص ٢٤.
(٢) أبو داود: السنن، جـ ٣، ص ٣٣٨.
(٣) المرجع السابق نفسه، جـ ٣، ص. ص ٣٤٥ - ٣٤٦.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢٢.

ويقول رسول الله ﷺ: «إن الإسلام نظيف فتنظفوا، فإنه لا يدخل الجنة إلا نظيف»[1].

ويقول رسول الله ﷺ: «لا تقبل صلاة بغير طهور، ولا صدقة من غلول»[2] وإعلاء من شأن الطهور والنظافة وتأكيد أهميتها للإنسان جعلها رسول الله ﷺ نصف الإيمان، حيث قال: «الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأن (أو تملأ) ما بين السموات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها»[3].

وحددت السنة النبوية تفاصيل النظافة الشخصية، حيث اهتمت بتنظيف الأسنان والفم:

★ عن حذيفة أن رسول الله ﷺ «كان إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك»[4].

★ وسئلت عائشة بأي شيء يبدأ النبي ﷺ إذا دخل بيته، قالت: بالسواك»[5].

★ وقال النبي ﷺ: «لولا أشق على أمتي، أو على الناس لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[6].

★ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ شرب لبناً فمضمض وقال: «إن له دسماً»[7].

---

(١) السيوطي: الجامع الصغير، جـ ١، ص ١٩٦.
(٢) مسلم، جـ ١، ص ١٤٠.
(٣) مسلم، جـ ١، ص ١٤٠.
(٤) البخاري، كتاب الوضوء، جـ ١، ص ٧١.
(٥) مسلم، جـ ١، ص ١٥٢.
(٦) البخاري، كتاب الجمعة، جـ ٢، ص ٥.
(٧) البخاري، كتاب الوضوء، جـ ١، ص ٦٣.

من ذلك يتبين حرص النبي عليه الصلاة والسلام على استعمال السواك لما فيه من نظافة للفم والأسنان وتقوية للثة، كما أنه كان يغسل فمه بعد الأكل لطرد فضلات الطعام المتعلقة بالفم حتى لا تتعفن وتسبب الأمراض بالإضافة إلى أنه في كل وضوء وغسل يغسل المؤمن فمه (يتمضمض) ثلاث مرات وهذا يكفي لاستمرار طهارة الفم وحسن رائحته طوال اليوم.

الاهتمام بتنظيف الأنف:

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «إذا استيقظ أحدكم من منامه فليستنثر ثلاث مرات فإن الشيطان يبيت على خياشيمه»[1] كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أمر في الوضوء بالاستنثار ثلاث مرات، وهذا من شأنه إزالة الأتربة والأوساخ والجراثيم التي تعلق بالأنف.

الاهتمام بالاستحمام:

فقد أوجب الإسلام على المسلم الاستحمام في حالات كثيرة منها: وقوع الحدث الأكبر للرجل (الملامسة أو الاحتلام)، والتطهر من الحيض والنفاس للمرأة، والغسل في العيدين، ويوم الجمعة. فقال رسول الله ﷺ: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم»[2] ووضع حداً أقصى لفترة الغسل وهو سبعة أيام لا يتعداها، وأوضح الرسول ﷺ أن يغسل رأسه وجسده جيداً، فقال: «حق على كل مسلم أن يغتسل في كل سبعة أيام يوماً يغسل فيه رأسه وجسده»[3] وعن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ «يغتسل يوم الفطر. ويوم الأضحى»[4].

---

(١) مسلم، جـ ١، ص. ص ١٥١ - ١٥٢.
(٢) مسلم، جـ ٣، ص ٣.
(٣) البخاري، جـ٢، ص٧.
(٤) ابن ماجة: السنن، جـ١، تحقيق محمد عبد الباقي (مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٣) ص ٤١٧.

الاهتمام بغسل اليدين:

فقد أوجبت السنة النبوية غسل اليدين عقب الاستيقاظ من النوم مباشرة، فقال رسول الله ﷺ: «إذا استيقظ أحدكم من نومه فلا يغمس يده في الإناء حتى يغسلها ثلاثاً، فإنه لا يدري أين باتت يده»[1].

واهتم رسول الله ﷺ بنظافة اليد اليمنى بالذات، وأوصى بعدم استعمالها في الاستنجاء، فقال: «لا يمسكن أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول، ولا يتمسح من الخلاء بيمينه، ولا يتنفس في الإناء»[2].

الاهتمام بغسل الوجه واليدين والرجلين:

وأشار رسول الله ﷺ إلى إطالة حدود الغسل أثناء الوضـوء زيادة في الاهتمام بنظافة البدن وأجزائه، وأوضح ذلك في أكثر من موضع، فقال: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء، فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله»[3] كما أنه عليه الصلاة والسلام أشار إلى ضرورة اتقان الوضوء، وشجع على ذلك ووعد من يفعل ذلك بغفران الذنوب. فعن عمر بن الخطاب أن رجلاً توضأ فترك موضع ظفر على قدمه، فأبصره النبي عليه السلام فقال: «ارجع فأحسن وضوءك فرجع ثم صلى»[4]. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب»[5].

---

(١) مسلم، جـ ١، ص ١٦٠.
(٢) مسلم، جـ ١، ص ١٥٥.
(٣) مسلم، جـ ١، ص ١٤٩.
(٤) مسلم، جـ ١، ص ١٤٨.
(٥) مسلم، جـ ١، ص. ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

الاهتمام بغسل الأعضاء التناسلية والإخراجية:

فعن سلمان قال: قيل له: قد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخراءة. قال: «أجل، لقد نهانا أن نستقبل القبلة لغائط أو بول، أو نستنجي باليمين، أو أن نستنجي بأقل من ثلاثة أحجار، أو نستنجي برجيع أو عظم»(1).

وفي هذا الحديث دعوة لحسن تنظيف الأعضاء التناسلية، وكذلك فتحة الإخراج، وأن نستخدم في التطهير ما هو نظيف وطاهر مثل الماء ولا نستخدم العظم وما شابهه من أشياء غير طاهرة قد تساعد على نقل الأمراض لهذه الأماكن الحساسة.

كما أن الرسول عليه السلام لم يهمل توجيه المرأة إلى حسن تطهرها ونظافتها من دم الحيض: فعن عائشة رضي الله عنها أن امرأة سألت النبي ﷺ عن الحيض كيف تغتسل منه. فقال: «تأخذين فرصة ممسَّكة فتوضئين بها «قالت: كيف اتوضأ بها يا رسول الله؟ قال النبي ﷺ: «توضئين بها». قالت عائشة: فعرفت الذي يريد رسول الله ﷺ فجذبتها إليّ فعلمتها»(2).

الاهتمام بالتطيب:

ودعا رسول الله ﷺ إلى التطيب بالروائح العطرة التي ترتاح إليها الأنفس، وتجعلهم محل القبول، ونهى عن انبعاث الروائح المنفرة، مثل رائحة العرق، والتي تأتي من الإهمال في النظافة. فعن عائشة قالت: «كنت أُطَيِّب النبي ﷺ بأطيب ما يجد، حتى أجد وبيض الطيب في رأسه ولحيته»(3) وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من يعرض عليه طيب فلا يرده، فإنه خفيف المحمل، طيب الرائحة»(4).

---

(1) مسلم، جـ١، ص ١٥٤.
(2) البخاري، جـ ٩، ص. ص ١٣٤ - ١٣٥.
(3) البخاري، جـ٧، ص. ص ٢١٠ - ٢١١.
(4) النسائي: جـ ١، ص ١٨٩.

ونختتم هذه الجوانب المتعددة للنظافة الشخصية بحديث يحدد أمور الفطرة السليمة في النظافة. عن عَائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظافر، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء «قال زكريا: قال مصعب ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة»[1].

تلك ومضات من نور السنة النبوية الشريفة تهدينا إلى الأخذ بأسباب الصحة الذاتية المتكاملة، وتأصيلها في نفوسنا حتى تصبح سلوكاً يومياً ملازماً لنا، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: «الطهور شطر الإيمان. .» حثا منه للمسلمين عامة على أن يحرصوا على طهارة أبدانهم وأعضائهم المختلفة، وتحفيزاً لهم على القيام بذلك بصورة مستمرة في حياتهم اليومية، إذا ما أرادوا استكمال «إيمانهم» الذي هو تصديق وعمل. «وعقيدة وتطبيق»[2].

٣ ـ التربية البدنية:

اهتمت السنة النبوية اهتماماً فائقاً بالتربية البدنية، بأشكالها وعناصرها المختلفة، إدراكاً منها لفعاليتها في تكوين الجسم السليم، وإعداده اعداداً سوياً لمجابهة أعباء الحياة ومشاقها وتكاليفها، فكل عمل أو جهد أو نشاط أو حركة أو تنقل يقوم به الإنسان في حياته إنما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بحالة جسده الصحية.

ويمكن معالجة التربية البدنية من خلال ما ورد في السنة النبوية، تحت عناوين الموضوعات الآتية:

(أ) سباقات الخيل والإبل:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا سبق إلا في خف أو حافر أو نصل»[3]. ويقصد بالخف: الإبل، وبالحافر: الخيل،

---

(١) مسلم، جـ١، ص. ص١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني: أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، مرجع سابق، ص ٢٧٦.

(٣) أخرجه أصحاب السنن (الشيباني، جـ٢، ص ١٥٤) طبعة البابي الحلبي.

وبالنصل: السهم. وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «سابق رسول الله ﷺ بين الخيل التي اضمرت فأرسلها من الحفياء وكان أمدها ثنية الوداع، فقلت لموسى: فكم كان بين ذلك، قال: ستة أميال أو سبعة، وسابق بين الخيل التي لم تضمر فأرسلها من ثنية الوداع وكان أمدها مسجد بني زريق. قلت: فكم بين ذلك، قال: ميل أو نحوه»[1].

وحث رسول الله ﷺ على تعلم الفروسية لما لها من فوائد كثيرة، فقال: «الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»[2].

وعن قيس بن جرير قال: ما حجبني النبي ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا ابتسم في وجهي، ولقد شكوت إليه إني لا ألبث على الخيل، فضرب بيده في صدرتي، وقال: «اللهم ثبته واجعله هادياً مهدياً»[3].

كما كان رسول الله ﷺ قدوة لشباب المسلمين في ركوب الخيل، فعن أنس رضي الله عنه قال: «استقبلهم النبي ﷺ على فرس ما عليه سرج في عنقه السيف[4].

(ب) الرمي بالحراب:

عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية على المنبر: ﴿**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل**﴾[5] قال: «ألا إن القوة الرمي ثلاث مرات، ألا إن الله سيفتح لكم الأرض وستكفون المؤنة، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه»[6].

وعن خالد بن يزيد الجهين قال: كان عقبة بن عامر يمر بي فيقول يا خالد

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد والسير، جـ ٤، ص ٣٨.
(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ٣٤.
(٣) البخاري، كتاب الأدب، جـ ٨، ص ٢٩.
(٤) البخاري، كتاب الجهاد والسير، جـ ٤، ص ٣٧.
(٥) سورة الأنفال، آية: ٦٠.
(٦) مسلم، جـ ٦، ص ٥٢.

اخرج بنا نرمي، فلما كان ذات يوم أبطأت عنه فقال: يا خالد تعالى أخبرك بما قال رسول الله ﷺ: «إن الله يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة: صانعه يحتسب في صنعه الخير، والرامي به، ومنبله، وارموا واركبوا وإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا، وليس اللهو إلا في ثلاثة: تأديب الرجل فرسه، وملاعبته امرأته، ورميه بقوسه ونبله، ومن ترك الرمي بعد ما علمه رغبة عنه، فإنه نعمة كفرها أو قال كفر بها»[1].

★ وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ افتقد رجلاً فقال: أين فلان، فقال قائل ذهب يلعب، فقال رسول الله ﷺ: «مالنا وللعب فقال رجل يا رسول الله ذهب يرمي، فقال رسول الله ليس الرمي بلعب، الرمي خير ما لهوتم به»[2].

★ وعن يزيد بن أبي عبيدة، قال سمعت سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: مر النبي ﷺ على نفر من أسلم ينتضلون، فقال النبي ﷺ ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً، ارموا وأنا مع بني فلان قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال الرسول عليه السلام: ارموا فأنا معكم كلكم»[3].

وفي الباب أمثلة كثيرة من السنة النبوية تحض على ممارسة الرمي لما فيها من رياضة وقوة للجسم، وأيضاً إعداد لشباب المسلمين لمواجهة أعباء الدولة الإسلامية وتأمين سلامتها.

(جـ) رياضة السباحة:

احتلت السباحة مكانة مرموقة في السنة النبوية، وحث عليها رسول الله ﷺ حتى جعلها حقاً من حقوق الأبناء على الآباء، والأحاديث منها:

★ عن أبي سلمة مولى بن نافع «قال: قلت يا رسول الله للولد علينا حق كحقنا عليهم، قال: نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه السباحة والرمي

---

(١) النسائي، جـ٦، ص. ص ٢٢٢ - ٢٢٣.
(٢) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ٢، ص. ص ٢٨٩ - ٢٩٠.
(٣) البخاري، جـ٤، ص. ص ٤٥ - ٤٦.

والكتابة وأن يورثه طيباً»[1].

★ وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: علموا أبناءكم السباحة والرمي، والمرأة المغزل»[2].

(د) حمل الأثقال:

كذلك رياضة رفع الأثقال مارسها المسلمون وأقرها الإسلام فقد ورد «أن النبي ﷺ مر بقوم يرفعون حجراً ليعرفوا الأشد منهم، فلم ينكر عليهم»[3].

(هـ) رياضة المصارعة:

وهي رياضة تجعل الفرد مؤهلاً للدفاع عن نفسه وأهله ومجتمعه ودينه، وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ القدوة الحسنة بمصارعته «ركانة» وهو أحد رجالات قريش الأقوياء وأبرز مصارعيها: كان ركانة بن يزيد بن هاشم بن عبد المطلب أشد قريش فخلا يوماً برسول الله ﷺ في بعض شعاب مكة فقال له الرسول: «يا ركانة، ألا تتقي الله وتقبل ما أدعوك إليه؟» فقال: إني لو أعلم أن الذي تقول حق لاتبعتك. فقال رسول الله ﷺ: «أفرأيت إن صرعتك، أتعلم أن ما أقول حق»، قال: نعم «فقم حتى أصارعك» قال: فقام إليه ركانة يصارعه، فلما بطش به رسول الله ﷺ أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئاً. ثم قال: عد يا محمد: فعاد فصرعه فقال: يا محمد والله إن هذا للعجب أتصرعني[4].

(و) سباقات الجري والعدو:

عن عائشة قالت: خرجت مع النبي ﷺ في بعض أسفاره وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال للناس «تقدموا، فتقدموا». ثم قال لي: «تعالي

---

(١) جلال الدين السيوطي: الباحة في فضل السباحة، مخطوطة، د.ت.، ص ١.
(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ١.
(٣) الهيثمي، جـ ٥.
(٤) ابن إسحاق سيرة النبي، جـ ١، ص ٢٦٢.

حتى أسابقك»، فسابقته فسبقته، فسكت عني حتى حملت اللحم وبدنت ونسيت خرجت معه في بعض أسفاره، فقال للناس تقدموا فتقدموا، ثم قال لي تعالي حتى أسابقك فسابقته فسبقني، فجعل يضحك وهو يقول هذه بتلك»[1].

مما سبق عرضه عن أهم مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية، سواء في جانب التغذية، أو في جانب النظافة الشخصية، أو التربية البدنية، يتضح بجلاء أن الإسلام قد وضع الأسس السليمة والصحية للاهتمام والرعاية بالبدن وصحته. وقاية من الأمراض، وحفاظاً لمظهر المسلمين وقوتهم.

وما أجدر أن يتمثل الشباب المسلم بهذه الآداب الإسلامية الرفيعة، ويقتدوا بها في حياتهم اليومية، حتى يبرؤوا من الأسقام والأوجاع التي يعانون منها في مرحلة المراهقة، والتي سبق عرضها في بداية شرحنا للتربية الجسمية.

يقول الله تعالى:

﴿لقد كان لكم في رسولِ اللَّهِ أُسْوةٌ حسنةٌ، لمن كان يرجو الله واليومَ الآخرَ وذكر اللهَ كثيراً﴾[2].

ثانياً: التربية الاجتماعية

يعالج الباحث في هذا الجانب الهام من حياة المراهق، السمات أو الخصائص العامة التي توضح السلوك الاجتماعي للمراهق، والتي قد يسميها البعض «خصائص السلوك الاجتماعي» ويسميها البعض الآخر «حاجات المراهق الاجتماعية»، وقد تكون بين هذه الأسماء فروق، خاصة لمن يعالجها في مجال «علم نفس النمو»، ولكن في مجال علم «أصول التربية» فإن الأصوب أن نحاول تجميعها في مجموعة واحدة، ونصفها «بسمات أو خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق». وفي كل سمة أو خاصية سوف نعطي فكرة عامة عنها ثم نُتبعها بواجبات الآباء تجاهها، ثم بعد ذلك نعقب على هذه الخصائص

(١) أحمد بن حنبل: المسند، جـ٦، ص ٢٦٤، طبعة دار المعارف.
(٢) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

الاجتماعية من وجهة التربية الإسلامية بمصدريها (القرآن الكريم والسنة النبوية).

خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق

١ ـ الاستقلال والتحرر من السلطة وخاصة سلطة الوالدين:

يتسم النظام الأسري في المنطقة العربية بأنه نظام متماسك قوي، يحتل فيه السلطة العليا الأب عادة، تعاونه الأم، والأبناء والبنات ما هم إلا الرعية في هذه الدولة الصغيرة.

وكسلطة عليا، يعطي الوالد أو الوالدة، أو كلاهما، نفسه حق السؤال والاستفسار عن كل ما يتعلق بأبنائه المراهقين، وهما في غمرة الأحداث اليومية، لا يتنبهان إلى أن الصبي أو الفتاة لم يعودا ما كان عليه. فمثلاً: «لماذا تلبس هذا القميص؟»، أين أنت ذاهب في هذا اليوم؟ لماذا تأخرت حتى الساعة المتأخرة من الليل؟ ما سبب خروجك في هذا الوقت؟ وما إلى ذلك من أساليب إما بالقول أو بالفعل، وهي تهدف ـ بنية حسنة ـ إلى توجيه الأبناء الوجهة التي تتفق مع ما يراه مجموع الآباء في مجتمعنا الشغوف بمستقبل أبنائه[1].

ولكن المراهق لا يشعر بأن للأسرة كل هذه الحقوق عليه، فليس لها حق النقد المطلق، أو النهي دون إبداء الأسباب، أو التعليق الذي يمس الكرامة والشخصية، أو التهديد المستمر.. إن المراهق لديه شعور صادق بأنه يحتاج إلى نوع من الاستقلال، وخاصة الأمور التي تخصه مثل: نوع الملابس، تسريحة الشعر، انتقائه لأصدقائه، التصرف في مصروفه، قراءة قصة أو مجلة، محادثة تليفونية، الفترات التي يقضيها خارج المنزل دون سؤال،... وما إلى ذلك[2].

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص. ص ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

(٢) المرجع السابق مباشرة، نفس الصفحات، وكذلك عزيز حنا داود، زكريا اثناسيوس: دراسات في علم النفس، مرجع سابق، ص ١٦٨.

وعادة لا يقف المراهق ساكناً أمام هذه المعاملات الأسرية، إنما يأخذ في تنمية نوع من الاستجابات التي يعتبرها هو رد فعل طبيعي لهذا السلوك الأمر الذي قد يسبب، في أخف صورة، نوعاً من سوء التفاهم المستمر بينه وبين السلطات العليا في الأسرة.

ومن الصور والمظاهر الحادة والقوية التي يتخذها المراهق كرد فعل لمعاملات الوالدين: ثورة وتمرد واحتجاج، وغضب وتهديد بالهرب من المنزل أو محاولة إيجاد عمل وترك الأسرة والتطوع في سلك الجندية أو الجمعيات الهدامة. وتكون الفتيات أقل مقاومة من الفتيان لتقاليد وسلطات الأسرة، وهن في الغالب يكن أقل ثورة من الصبيان عند إبداء احتجاجهن على القيود المفروضة عليهن، وتبدو هذه الصورة واضحة في فتيات الأسر ذات التقاليد المرعبة أو من كانت حالتهن الاجتماعية والاقتصادية ملائمة، وتأخذ أحياناً مقاومة الفتيات لسلطة الأسرة بعض الصور غير المباشرة، كتفضيل الزواج المبكر أو إيجاد عمل لهن يحققن بواسطته ما ينشدن، من حرية واستقلال، أو يتركن أنفسهن هدفاً لأحلام اليقظة[1].

ويعتبر المراهق كل تدخل من والديه في شؤونه الخاصة، أو إهمال مطالبه، نوعاً من السيطرة، ومن ثم فهو يقابل ذلك بالثورة والعصيان أو الشعور بالغيظ وعدم الطمأنينة. وكلما زادت رغبة الوالدين في الحد من حرية المراهق واستقلاله، كلما زاد المراهق عناداً ونفوراً، والنتيجة المنطقية لهذه المعاملة، هي شعور المراهق بعدم السعادة، كما يفقد الثقة بنفسه، ويميل إلى التكاسل، ويبدو وجهه شاحباً وجسمه ضامراً، وصحته العامة عليلة، وهذه كلها تؤثر بلا شك على حيويته[2].

وهذا السلوك من المراهق يطلق عليه علماء النفس «الفطام النفسي» والذي يعني «العملية التي يتم بها انتقال الصبي أو الفتاة من المرحلة التي يعتمد

---

(١) مصطفى فهمي: سيكلوجية الطفولة والمراهقة، مرجع سابق، ص ٢٣٨.
(٢) مصطفى فهمي: مرجع سابق، ص ٢٣٩.

فيها على أسرته، إلى المرحلة التي يعتمد فيها على نفسه، لتكوين علاقات اجتماعية معينة، وقيم عن الموضوعات الخارجية العامة بطريقة خاصة»[1].

وموقف الآباء من معاملة ابنهما المراهق قد يكون راجعاً من الخوف على المراهق، أو الإشفاق عليه من مواجهة المواقف، أو حبهم الزائد له، وكل هذا يدفعهم لمزيد من الحرص عليه وفرض القيود على تصرفاته مما يسبب الخلافات وعدم الثقة بين الطرفين.

وقد دلت الأبحاث أنه توجد علاقة بين شخصية الآباء وشخصية الأبناء، فالآباء التسلطيون يميلون إلى القسوة في تنشئة أولادهم وإلى أن اولادهم يميلون إلى أن يشبوا تسلطيين مثلهم. ويعتقد أن الشخصية التسلطية تتصف بالجمود وعدم التسامح والمبالغة في الحب والولاء نحو الوالدين والأسرة مع عدوان كامن نحوهم، وعدوان ظاهر نحو الجماعات الخارجية. وتدل العديد من الدراسات على أن الآباء التسلطيين يثيبون أولادهم على مطابقة سلوكهم مع المعايير الاجتماعية ويعاقبونهم على الفردية والانحراف عن المعايير الاجتماعية. وقد وجد أن الآباء التسلطيين يحبون اعتراف أولادهم بفضلهم دائماً، وأنهم يهتمون بالمكانة والقوة أكثر من الحب والحنان. ويلاحظ كذلك أن تغيير سلوك الأولاد التسلطيين المتعصبين أصعب من تغيير سلوك غيرهم من الأولاد[2].

وبالنسبة للنمو المتقدم والمستمر في الاستقلال عن الأسرة والتحرر من سلطتها والاعتماد على النفس (خاصة في المرحلة العمرية ١٨ ـ ٢١ سنة) فقد يلاحظ ما يلي[3]:

★ قد تتدخل ظروف أخرى تجعل المراهق يعتمد على الوالدين والكبار ويبدو ذلك في اتجاهاته وسلوكه غير الناضج.

★ ومما يكف نمو الاستقلال، اختلاف المعايير والعادات بين جيل الكبار

---

(١) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

(٢) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق، ص. ص ٣٧١ ـ ٣٧٤.

(٣) المرجع السابق مباشرة، ص. ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

وجيل المراهقين والحب الظاهر في اتجاهات الوالدين، وخاصة إذا كان من النوع الذي ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب.

★ مما يساعد على الاستقلال، الدوافع الجنسية الغيرية عند المراهق والرغبة في تكوين أسرة، مما يجذبه بعيداً عن الروابط الأسرية.

★ المرَاهَقَة تنتهي إما بالاستقلال أو سوء التوافق.

وللتخفيف من مشكلة «النزعة إلى الاستقلال والاعتماد على النفس» أو ما يسمى مشكلة «الفطام النفسي»، فإن علماء النفس والاجتماع قد قدموا مجموعة من التوجيهات الهامة للآباء ومن يتعاملون مع المراهقين، ومنها:

١ - يجب أن يعلم الآباء أن النزعة إلى الاستقلال والاعتماد على النفس ظاهرة طبيعية لا تسبب كل هذا الانزعاج، بل على العكس يجب عليهم تشجيعها، حيث إنه من الضروري أن يتدرب المراهق خلال هذه الفترة على تحمل المسؤوليات، وعلى القيام بالأدوار التي سيتقلدها في المستقبل.

٢ - يجب على الآباء أن يبدؤوا بأنفسهم، فلا يتدخلون في كل شيء دون تميز بين الأمور الهامة والأمور العادية. فمثلاً قراءة مجلة، أو جريدة، أو الحديث في التليفون لمدة طويلة، . . . كلها أمور ثانوية بالنسبة للهدف الهام الذي تسعى الأسرة لتحقيقه وهو المستقبل العلمي أو التعليمي وما يتبعه من تنظيم أوقات الاستذكار وأوقات الراحة. «فالأجدر بالآباء مناقشة موضوع الاستذكار والنجاح الدراسي، كموضوع عام، وأن الامر يتطلب جانباً من تنظيم العمل اليومي، فقراءة الصحف والمجلات ومشاهدة بعض البرامج التليفزيونية قد يكون في الأوقات التي يتعب فيها المراهقون من حل مسائل الطبيعة أو الرياضيات»[1] . . . .

٣ - وبالنسبة للفتاة المراهقة، فإن الموضوع الهام بالنسبة لها هو «ارتداء الزي المناسب». فالأم هي عادة صاحبة الدور الأول في تنفيذ أوامر السلطات

---

(١) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ٢٥٥.

العليا، فالأب يحدث الأم فيما يراه، وهي تنفذ تعليماته بطريقتها الخاصة التي لا تخرج، في أغلب الأحايين، عن مجموعة من النواهي وعبارات النقد، بأسلوب قد يشوبه الألفاظ الجارحة بالنسبة للفتاة الحساسة في هذه الفترة من النمو، وهنا يحسن بالأسرة أن تقلع عن هذا الأسلوب، وتتبع أسلوب المناقشة الهادئة في مجتمع يضم بعض الكبيرات ممن تطمئن إليهن الأسرة، حتى تعطي الناشئة فكرة عامة عن الملابس والمناسب منها للأوقات والمناسبات الاجتماعية المختلفة.

وبصفة عامة على الآباء أن يدركوا أن عملية «الفطام النفسي» يجب أن تتم تدريجياً، تبدأ من الأمور البسيطة، وأساليب السلوك الخاصة، إلى العام منها. كما تجدر الإشارة إلى ضرورة تحمل بعض صغار كبار الأسرة أو كبار صغارها ـ وهم المراهقون ـ بعض المسؤوليات الاجتماعية في توجيه من غير عنف، وفي إرشاد من غير نهي، وفي تشجيع من غير لوم[1].

وصدق الله العظيم الذي يقول في وصف طريقة معاملة رسول الله ﷺ للمؤمنين، إذ يقول تعالى: **﴿فبما رحمة من الله لنت لهم، ولو كنت فظاً غليظ القلب لا نفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر﴾**[2].

٢ ـ تكوين جماعات الرفاق:

يؤدي التعارض بين الحاجات المختلفة إلى أن يشعر المراهق بعدم الأمان فرغبته في الاستقلال تعارض حاجته للاعتماد على دعم من الأبوين والأسرة، ويؤدي عدم الشعور بالأمان إلى ظهور دافع جديد هو الحاجة إلى الانتماء، أي إلى أن يكون له من ينتمي إليه، ويعتز به، ويفخر بانتسابه إليه، وعن طريق هذا الدافع يمكن تعليم المراهق الولاء للوطن وللأسرة ولجماعة الأقران، وهذا

---

(١) المرجع السابق مباشرة، ص. ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١٥٩.

الإحساس بالحاجة إلى أن يكون فرداً في جماعة أو عضواً في تنظيم لها أهمية اجتماعية وآثار إيجابية على سلوك المراهق، حيث يخلق فيه روح الجماعة، وحب التبعية لقوانينها، والإذعان لرأيها، والخضوع لما تراه وتقرره، وهذا يخلص المراهق من الأنانية والعزلة(١).

وعندما يتجه المراهق لاختيار أفراد جماعته أو أصدقائه المقربين له، فإنه يتسم هنا بالإيجابية، بعكس الطفل، الذي لا يمانع مطلقاً في أن يختار له الوالدان بعض الأصدقاء، أو أن يشار عليه بقطع علاقته بهم.

ولما كان المراهق يصر على اختيار أصدقائه دون توجيه من الكبار، فإن الحظ كثيراً ما يخطئه، إذ يثبت له بعد الخبرة والتعامل معهم أن الكثيرين منهم غير جديرين بصداقته، وهنا يدب النزاع بينهم وتنفصم عرى الصداقة بينهم، ويتبع ذلك شعور بخيبة الأمل.

ولذا يسعى المراهق فيما بعد إلى تحري بعض المواصفات في صديقه أو أصدقائه. فيختار المراهق أصدقاءه من بين هؤلاء الذين يشبعون حاجاته الشخصية والاجتماعية، ويشبهونه في السمات والميول ويكملون نواحي القوة والضعف فيه. وقد يتطلب المراهق في صديقه أن يكون قادراً على فهمه وأن يظهر الحب والود بما يساعده على التغلب على حالات الضيق التي تؤرقه من وقت لآخر. وقد يحدث أن يكون الصديق أكبر منه سناً (أحد مدرسيه أو أقاربه مثلاً). ويشترط في هؤلاء ألا يكون لهم عليه سلطة مباشرة، وتكون علاقة المراهق بهم قائمة على الود والاحترام، ومن ثم يجد الجو الذي يسمح بالحديث عن همومه وأفكاره بغير تكلف(٢).

وتتسم هذه الصداقات باستمراريتها ودوامها فترة زمنية كبيرة، بعكس ما كان يحدث في فترة الطفولة. كما أن صداقات المراهق تميل إلى الجنس

---

(١) حامد عبد العزيز الفقي: دراسات في سيكلوجية النمو، مرجع سابق ص ٢٣١.
(٢) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٣٥١. وأيضاً مصطفى فهمي، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

الآخر، خصوصاً في مرحلة المراهقة الوسطى والمتأخرة (١٥ ـ ٢١ سنة).

وفي مرحلة المراهقة يزداد ولاء المراهق لجماعة الأصدقاء وتمسكه بالصحبة، ويحاول مشاركتها في جميع مجالات نشاطها، وأن يخضع لنظمها، حتى ولو كان هذا النشاط لا يقره الكبار من الآباء. فالمراهق يثق في جماعته ويحترمها ويقدرها، أكثر من احترامه وتقديره للكبار من حوله. لذلك فهو يرفض أن توجه إليه الأوامر والنواهي والنصائح أمام رفاقه. وقد يصاحب تكوين تلك الجماعات (الشلل أو الثلة) الابتعاد المؤقت عن المنزل والاهتمام بجماعات أخرى في النادي أو الحي أو المدرسة. وهم يفضلون التخطيط لنشاطهم الجماعي بعيداً عن مشاركة الكبار وفي منأى عن رقابتهم. وإذا لم تباشر تلك الجماعات بعين متيقظة من الكبار فإنها قد تجنح وتتكون العصابات، ويحدث ما يسمى بالجناح، حيث تقوم تلك الجماعات بالثورة ضد النظم والقوانين الموضوعة والمعترف بها من مجتمع الكبار[1].

ومما تجدر الإشارة إليه إلى أن جماعة الرفاق يفوق تأثيرها على المراهق تأثير الوالدين عليه، فهي ستؤثر على كلامه، على فكرته على ما هو جميل وما هو قبيح، وما هو صحيح، وغير صحيح، وماذا يجب أن يرتدي من الملابس وماذا يجب أن يفعل في أوقات فراغه وقد يرتدي المراهق أحياناً ألبسة غير مريحة، لكي ينسجم ويتكيف لعادات جماعته، وقد يتفوه بألفاظ بذيئة أو غير مألوفة وتعبيرات نابية لا يقرها أفراد العائلة[2].

وفيما يتعلق بتوجيهات الآباء تجاه جماعات الرفاق وأصدقاء أبنائهم المراهقين، فإننا سنعالج هذه النقطة بالتفصيل في نقطة منفصلة حين نتحدث عن التربية الاجتماعية في الإسلام.

٣ ـ الحاجة إلى التقبل الاجتماعي:

حيث يعتبر شعور المراهق بتقبل الأبوين والأسرة له من أهم عوامل

---

(١) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٣٥٢. وأيضاً عزيز داود حنا، زكريا اثناسيوس: مرجلاً سابق، ص ١٦٧.

(٢) نوري الحافظ: مرجع سابق، ص ١٥٤.

النجاح، كما يعتبر شعوره بالنبذ والكراهية منهما من أهم أسباب الفشل. فالتقبل الاجتماعي يحقق الأمان النفسي للمراهق، ويشعره بأنه يتحرك على أرض صلبة، وأن وراءه سنداً ورصيداً من المحبة والتأييد. وقد يرجع الفشل الدراسي في كثير من الحالات إلى اهتزاز هذا الشعور لدى المراهقين، أو الحرمان من إشباع وتحقيق الدافع إلى التقبل الاجتماعي[1].

ويلعب الاستحسان والاستهجان دوراً هاماً في التقبل الاجتماعي، حيث يتأثر المراهق بالاستحسان وكذلك بالاستهجان ممن حوله لأنه شديد الحساسية ويعاني كثيراً من القلق، ولذا فإن الحاجة للتقبل الاجتماعي تعتبر من أقوى حاجات المراهق.

٤ ـ الاستعداد لتكوين أسرة:

فقد اتضح من دراسة ميدانية على مائتي فتى وفتاة من المدارس الثانوية المصرية[2] أن الشباب المراهق من الجنسين يريد أن يعرف كيف يجعل أفراد الجنس الآخر يهتمون به، كما أنهم لا يعرفون السلوك الاجتماعي الصحيح في حضرة الجنس الآخر، كما أنهم لا يعرفون إلا القليل عن الزواج والحياة الزوجية المقبلة.. ومن نتائج هذا البحث وضع الباحث توصيته بضرورة تنظيم مجموعة من الدروس تهدف إلى:

(أ) مساعدة الشباب عامة على تحديد دور كل من الزوج والزوجة في مجتمعنا الحديث.

(ب) تشجيع الشباب على الكثير من الإشباع في الحياة الأسرية وأن يوضح لهم أن التعاون المثمر بين الزوج وزوجته هو الأساس في الحياة الأسرية وفي السعادة المنزلية.

ويشدد الباحث على ضرورة تنظيم هذه المحاضرات العلمية عن الناحية

---

(١) حامد عبد العزيز الفقي: مرجع سابق، ص ٢٣٣.

(٢) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص. ص ٢٦٠ ـ ٢٦٣.

الأسرية (نفسياً واجتماعياً واقتصادياً) بين طلاب التعليم الثانوي والتعليم الجامعي، لأننا إن لم نفعل ذلك خاطرنا بزهرة شبابنا وشاباتنا في إبعادهم عن الحياة الأسرية التي لا يمثلون دور التابع، إنما يمثلون فيها دوراً أساسياً كزوج وزوجة وآباء وأمهات.

٥ ـ الميل إلى الزعامة:

إن الزعيم هو ذلك الشخص الذي يستطيع أن يكون له أتباع ومريدون، نتيجة تأثيره عليهم. ولما كانت أنواع النشاط والميول في مرحلة المراهقة مختلفة ومتعددة، ولما كانت كل ناحية تحتاج إلى زعيم تتوفر فيه شروط خاصة، وجب أن توجد أنواع مختلف من الزعامات، وهي: زعامة اجتماعية، زعامة عقلية، زعامة رياضية.

ومن خلال نتائج بعض الأبحاث تبين أن الخصائص الآتية ـ بصفة عامة ـ لازمة لتكوين الزعيم في مرحلة المراهقة[١].

(أ) خصائص جسمية تتصل بالوزن والطول والقوة البدنية.

(ب) خصائص تتصل بالملبس والمظهر الخارجي، كأن يكون هندامه نظيفاً وشكله غير قبيح.

(ج) خصائص عقلية وأهمها الذكاء.

(د) المركز الاجتماعي الذي يوفر الكثير من الخبرات لهؤلاء المراهقين.

(هـ) خصائص شخصية كاعتماده على نفسه وقدرته على الابتكار وإصدار الأحكام.

٦ ـ النقد والرغبة في الإصلاح:

فمن الشائع لدى المراهقين أنهم كثيراً ما يبحثون في أخطاء الآخرين

---

(١) مصطفى فهمي: مرجع سابق، ص. ص ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

ونقدها، وبطريقة علنية، ويكون النقد في بعض الأحيان مصحوباً باقتراحات عملية للإصلاح. ويوجه هذا النقد لمختلف الجماعات كالأسرة والمدرسة والمجتمع بصفة عامة. وهو في نقده المستمر قد يلجأ إلى العنف، وقد يتحمل في سبيل ذلك مشاق ومتاعباً تسبب له فقد بعض أصدقائه مع إغضاب الأهل[1].

ويبدأ المراهق توجيه نقده إلى والديه، من حيث مظهرهما كاللبس والسلوك وطريقة تربيتهما لإخوته الصغار. وهو دائماً يقارن بين عادات وسلوكيات ومظهر آباء وأمهات أصدقاءه ووالديه، أو ما يراه في السينما والتلفزيون والفيديو والمجلات. فإذا لم تتطابق المستويات التي رآها مع سلوكيات والديه، فإنه يتضايق كثيراً، ويوجه لهما نقداً حماسياً، ويصل أحياناً لحد الاحتجاج الشديد.

كما يوجه المراهق نقده للمنزل من حيث موقعه وأثاثه وتنظيم هذا الأثاث، والطعام وطريقة طهيه ومواعيد الأكل.

ويفسر ذلك النقد بأن المراهق قد يكون اقترب من النضج الاجتماعي وتمسكه ببعض المثل والقيم والاتجاهات نحو الخير والعمل الصالح، وقد يرجع إلى افتقار المراهق للتقدير الاجتماعي وعدم الاعتراف بشأنه، وسعيه إلى الشهرة والظهور وإثبات ذاته بطريقة «خالف تعرف»[2].

٧ - الاهتمام بالمظهر الخارجي[3]:

(أ) **الملابس**: من ناحية انتقاء الأنواع والألوان وأحدث الموديلات وأكثرها لفتاً للأنظار، ويتمركز اهتمام كل من الفتى والفتاة على إرضاء الجنس الآخر، والإعجاب بنفسه والتفاخر بمظهره وملبسه.

(ب) **الشعر**: يهتم كل منهما بتصفيف شعره، ويزداد الأمر لدى الفتيات

---

(١) المرجع السابق مباشرة، ص. ص ٢٤٤ - ٢٤٥.
(٢) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٣٥٤.
(٣) عزيز حنا داود، زكريا اثناسيوس: مرجع سابق، ص. ص ١٦٥ - ١٦٦.

وتفنن في تصفيفه ودهانه كي يلفت الأنظار، كما أن الفتى يطيل شعره أو يقصه تبعاً للموضة بين أقرانه، ويلاحظ طول الوقت الذي يمضيه الفتى والفتاة أمام المرآة لتصفيف ودهان الشعر.

(جـ) **الأظافر**: خصوصاً من جانب الفتيات، حيث تطيل أظافرها وتهتم بطلائها وتنظيفها لكي تكسبها جمالاً.

(د) **البشرة وخصوصاً بشرة الوجه**: حيث يستعمل المراهقون أنواعاً عديدة من المساحيق وخاصة الفتيات. ويتألم المراهق كثيراً في حالة ظهور «حَبْ الشباب» في وجهه.

بعد تناول أهم خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق، من وجهة نظر علماء النفس والاجتماع، وتوجيهاتهم للآباء والمربين باتخاذ الإجراءات والسلوتيات المناسبة لمعالجة المشكلات الاجتماعية التي تنجم عن مرور الفتى والفتاة في هذه المرحلة الحرجة من النمو، وحتى يضمنوا حسن إعداد هؤلاء لاحتلال أدوارهم في المجتمع فيما بعد. بعد تلك الملاحظات نعقب بما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من توجيهات لرعاية أبنائنا، ومنها نتبين دور التربية الإسلامية في هذا المقام.

وقبل البدء في التعليق المفصل لدور الآباء في حسن رعاية أبنائهم، فإن الباحث يرى، من خلال ما عرض في النقاط السبع السابقة، أن أهم توجيه أو نصيحة نضعها أمام الآباء والمربين، وتعتبر بمثابة القاسم المشترك الأعظم لعلاج كل المشكلات والسلوكيات السلبية التي تصدر من فتياننا وفتياتنا، هو **تأديبهم وتنشئتهم على حسن الخلق**.

فالأخلاق في الإسلام تحتل المرتبة الثانية بعد الإيمان، بل هي أهم ثمرات الإيمان الصحيح والعبودية الخالصة لله تعالى والطاعة الصادقة، ولا يتم إيمان المسلم ولا يكتمل إسلامه إلا إذا حسنت أخلاقه. ولارتفاع مكانة الأخلاق في الإسلام، فقد «ورد في القرآن الكريم ألف وخمسمائة وأربع آيات تتصل بالأخلاق، سواء في جانبها النظري أو في جانبها العملي، وهذا المقدار يمثل ما

يقرب من ربع عدد آيات القرآن الكريم»[1]. فمن هذه الآيات قوله تعالى في معرض ثنائه على نبيه محمد ﷺ: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[2]. فقد جعلت هذه الآية الكريمة الخلق أجَلَّ صفات النبي الكريم وأعلى ثناء يمكن أن يثني به عليه.

وإذا تتبعنا أحاديث الرسول ﷺ: عن مكانة الأخلاق في الإسلام فسوف نجد منها الكثير، ولكننا سوف نقدم أمثلة لعل الآباء والمربين يأخذون بها.

★ قال رسول الله ﷺ: «حسن الخلق نصف الدين»[3].

★ وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة. والبذاء من الجفاء والجفاء في النار»[4].

★ عن مسروق قال: كنا جلوساً مع عبد الله بن عمر يحدثنا إذ قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً متفحشاً، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»[5].

★ عن أبي الدرداء أن النبي ﷺ قال: «ما شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[6].

★ وعن جابر أن رسول الله ﷺ قال:

«إن من أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً، وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون

---

(١) عمر محمد التومي الشيباني: فلسفة التربية الإسلامية. ط ٢ (الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨ م) ص ٢٢٢.

(٢) سورة القلم، آية: ٤.

(٣) المتقي الهندي: كنز العمال جـ ١، مرجع سابق، ص ١٣٠ (رواه الديلمي في الفردوس عن أنس).

(٤) الترمذي، جـ ٨، ص ١٧١.

(٥) البخاري، جـ ٨، ص ١٦.

(٦) الترمذي، جـ ٨، ص ١٦٧ - ١٦٨.

والمتفيهقون؟. قال: المتكبرون[1].

★ وقال رسول الله ﷺ: «خياركم أحاسنكم أخلاقاً»[2].

هذا جانب بسيط مما أوضحته السنة النبوية من مكانة الأخلاق وحسن خلق المسلم سواء في رفعة مكانته في الدنيا أو الآخرة. وهو ما ندعو إليه الآباء والمربين أن يتخلقوا به في سلوكهم وتعاملاتهم حتى يكونوا قدوة حسنة لأبنائهم.

وننتقل لمناقشة تفصيلات وجوانب التربية الاجتماعية والأخلاقية في ضوء ما جاء بالقرآن الكريم والسنة النبوية. وسوف يضع الباحث في اعتباره، ما جاء من خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق، عند شرح المبادىء الإسلامية. وعليه فإن الباحث سوف يعالج النقاط الآتية:

التربية الاجتماعية في ضوء القرآن والسنة:

١ ـ معاملة الأبناء باللين والرفق والرحمة:

يوجه الإسلام نظر الآباء إلى حسن معاملتهم لأبنائهم، والتحلي بالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الرحيمة، والملاطفة الرصينة، فهذا مما يكسب الأبناء شخصية سوية ويشعروا بحسن التقدير والمكانة، واحترام ذاتيتهم، ويساعدهم على تخطي عقبة «الفطام الاجتماعي».

ومن توجيهات القرآن الكريم في هذا المجال:

قال تعالى: ﴿**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى**﴾[3]. .

وقال أيضاً: ﴿**والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، والله يحب**

---

(١) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ٨، ص ١٣٠ (رواه الطبراني في الأوسط عن أنس).
(٢) رواه الأربعة. ناصف، جـ٥، ص٦٢.
(٣) سورة النحل، آية: ٩٠.

المحسنين﴾[1]. وقال كذلك: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[2].

وأرشد الآباء إلى ضرورة توجيه النصح لهم، خاصة في مرحلة الشباب، فجاء على لسان سيدنا لقمان وهو يعظ وينصح ابنه: «وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يا بني لا تشرك بالله﴾[3].. وجاء على لسان سيدنا يعقوب وهو يعظ أبناءه: ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي؟ قالوا: نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾[4].

وقال رسول الله ﷺ: «ما نَحَل (أي أعطاه) والد ولداً من نحل أفضل من أدب حسن»[5]، وقال أيضاً: «أكرموا أولادكم وأحسنوا أدبهم»[6].

وقال: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن موضعه، ويحسن أدبه»[7].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «الغلام يعق عنه (أي يذبح عنه) يوم السابع، ويسمى، ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ تسع سنين عزل عن فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة والصوم، فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه، ثم أخذ يديه وقال: قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا، وعذابك في الآخرة»[8].

وأما عن الرفق واللين في معاملة الأبناء، فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «يا عائشة إن الله رفيق يُحب الرفق، ويعطي على

---

(١) سورة آل عمران، آية: ١٣٤.
(٢) سورة البقرة، آية: ٤٣.
(٣) سورة لقمان، آية: ١٣.
(٤) سورة البقرة، آية: ١٣٣.
(٥) أخرجه الترمذي (الشيباني، جـ١، ص ٤٨).
(٦) رواه ابن ماجة عن ابن عباس، ص ٧٩. عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ ١.
(٧) المتقي الهندي: كنز العمال، جـ ٦، ص. ص٤٢٨ ـ ٤٢٩ (رواه البيهقي في شعب الإيمان).
(٨) رواه ابن حبان، ص ١٧٩ في عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ ١.

الرفق ما لا يُعطي على العنف، وما لا يعطي على ما سواه»[1].

وقال أيضاً: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»[2].

والباب فيه الكثير من الأحاديث التي تحض على الرفق واللين في معاملة الأبناء والمساواة بينهم في كل شيء، من غير إسراف[3].

«كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام أشار إلى ضرورة التعامل بالرحمة مع الأبناء، وعدم الغلظة والشدة والقسوة معهم، والصبر على أذاهم حتى يشبوا ويكبروا وتستوي أخلاقهم وشخصياتهم»[4].

٢ ـ حسن اختيار الأصدقاء:

من العوامل ذات الأثر الكبير في جنوح الشباب، رفاق السوء، ولا سيما إن كان زمام الفتى والفتاة على الغارب (بدون قيد)، فإن كان المراهق ضعيف العقيدة، متميع الخلق، فهو سرعان ما يتأثر بعادات وطبائع الجماعة التي ينتمي لعضويتها، قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»[5] وهذا يحذرنا من مرافقة الصديق سيىء الطبع والأخلاق والإيمان. فهو شؤم على صاحبه. سوف تجره صحبته هو وصاحبه إلى نار جهنم. يقول الله تعالى: **﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتىٰ ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً. لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني. وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾**[6].

وتقديراً لهذه الآثار، وحماية للخلق الحسن أمر رسول الله بتخير

(١) مسلم، جـ ٨، ص ٢٢.
(٢) النووي: ص ٤٢٢.
(٣) راجع الفصل الثالث، تحت عنوان (معاملة الأطفال بالرفق واللين دون إسراف).
(٤) راجع ما جاء بالبحث في الفصل الثالث، تحت عنوان (التعامل بالرحمة مع الأبناء).
(٥) أبو داود، جـ ٤، ص ٤٠٧.
(٦) سورة الفرقان، آية: ٢٧ ـ ٢٩.

الجليس. فقال: «مثل الجليس الصالح كمثل صاحب المسك إن لم يصبك منه شيء أصابك من ريحه. ومثل الجليس السوء كمثل صاحب الكير إن لم يصبك من سواده أصابك من دخانه»[1].

وهذا حال الصديق العابر في الطريق، فكيف الحال بصديق العمر أو الذي يستمر لفترة طويلة تمتد سنوات؟ إن صداقة الأذكياء الأتقياء قد ترفع إلى القمة، أما صداقة السفهاء البُله فهي منزلق سريع إلى الحضيض.

يقول الله تعالى: ﴿**وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين. هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون**﴾[2] وقال أيضاً: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، إلا المتقين**﴾[3].

وإذا كان الإسلام يحث الوالدين على متابعة واختيار رفاق أبنائهم حتى يسلموا من شرهم، فإنه في نفس الوقت حض على إقامة وتوثيق عرى الصداقة القائمة على طاعة وحب الله. يقول الشيخ محمد الغزالي «إذا نشأت الصداقة لله فلن تبقى إلا بطاعته، ولن تزكو إلا ببعد الصديقين معاً عن النفاق والفساد، فإذا تسربت المعصية إلى سيرة أحدهما أو سيرتهما، تغيرت القلوب وغاض الحب: وفي الحديث... »والذي نفسي بيده ما تواد اثنان فيفرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما». من أجل ذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ يتواصون بالحق والتعاون على فعل الخير حفظاً لما بينهم من ود»[4].

وأرشد الرسول المربي لكيفية توثيق الصداقة بين المسلمين، فقال: «إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره إنه يحبه»[5] وفي حديث آخر عن أنس كان رجل عند النبي ﷺ، فمر رجل، فقال: «يا رسول الله إني أحب هذا، قال: أعلمته؟ قال: لا. قال: فأعلمه. فلحقه، فقال: إني أُحبُك في الله. فقال: أحبك الذي

(١) مسلم، جـ٨، ص. ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٢) سورة الجاثية، آية: ١٩ ـ ٢٠.
(٣) سورة الزخرف، آية: ٦٧.
(٤) محمد الغزالي: خلق المسلم، ط ٧ (دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤) ص ٢٣٦.
(٥) أحمد: مذكور في: محمد الغزالي، المرجع السابق، ص ٢٣٧.

أحببتني له»[1]. وفي حديث ثالث يرشد الرسول عليه السلام إلى ضرورة التعرف على الأصدقاء بذكر الاسم والعمل وما شابه ذلك تاكيداً للمودة بينهم. فقال: «إذا آخى الرجل الرجل فليسأله عن اسمه واسم أبيه وممن هو، فإنه أوصل للمودة»[2].

كما أشار الرسول ﷺ إلى عيادة الصديق إذا مرض، وأيضاً أشار إلى تبادل الهدايا في المناسبات الاجتماعية والدينية، وأيضاً أباح تناول الطعام في بيت الصديق، فهذا كله مما أرشد إليه الإسلام في حق الصديق واختياره وتوثيق الصلة ودعمها.

فما أجدر الآباء والمربين أن يأخذوا بهذه التوجيهات الكريمة، حتى تنصلح أحوال أولادهم، وتسمو أخلاقهم، ويظهر في المجتمع أدبهم، وحتى يكونوا في الأمة أداة خير ، ورسل إصلاح، ودعاة هداية، فينصلح المجتمع بصلاحهم وتفتخر الأمة بكريم فعالهم.

٣ ـ مراعاة الآداب الاجتماعية العامة:

سبق أن ذكرنا في تناولنا لخصائص السلوك الاجتماعي للمراهق، أن ـ المراهق يتجه إلى الاستقلال الاجتماعي والانتقال من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النفس، ويتضمن هذا تطلع المراهق إلى تحمل بعض المسؤوليات الاجتماعية والقيام بدوره الاجتماعي. وتلعب الأسرة دوراً هاماً في مساعدة المراهق على القيام بدوره الاجتماعي وتحقيق علاقات ودية وصحيحة مع من حوله من أفراد الأسرة أو أقربائه أو جيرانه. وقد يكون اكتساب هذه الخبرات مباشرة عن طريق استغلال المناسبات الاجتماعية واجتماعات الأسرة لإشراك المراهق فيها مع حسن التوجيه السليم. وقد يكون اكتساب هذه الخبرات الاجتماعية بطريقة المحادثات التوجيهية والتي تتسم بالإخلاص في

---

(١) أبو داود، مذكور في المرجع السابق.

(٢) الترمذي، مذكور في المرجع السابق،

القول، والبساطة في العرض، وألا تكون مركزة بشكل يمل منه المراهق.

وقد اهتم الإسلام بتربية النشء على مراعاة الآداب الاجتماعية وغرسها في نفوسهم، حتى تصبح جزءاً من شخصياتهم ومعاملاتهم اليومية.

ومجالات الآداب الاجتماعية العامة التي أشارت إليها التربية الإسلامية متعددة منها: آداب الأكل والشراب، وآداب اللباس والزينة، وآداب التحية والسلام، وآداب الزيارة، وآداب المجالس، وآداب العطاس والتثاؤب، وآداب التهَنئة، وآداب الاستئذان، وآداب التغذية.

وقد تناولها بالشرح والتفصيل كثير من الكتاب، ولذا فإننا سوف نختار منها نموذجين. وهذان النموذجان هما آداب الاستئذان، وآداب التحية والسلام.

آداب الاستئذان:

وهو واجب ملقى على الآباء، يبدؤون تعليمه في مراحل النمو الأولى وحتى مرحلة المراهقة. والقرآن يعطي للآباء الدرس الأول في الاستئذان ثم يأتي رسول الله ﷺ ليفصل لنا هذا الدرس ويبينه لنا بسنته التطبيقية.

يقول الله تعالى في سورة النور:

﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء، ثلاث عورات لكم، ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن. طوافون عليكم بعضكم على بعض، كذلك يبين الله لكم الآيات، والله عليم حكيم ★ وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾[1]، . .

وقد شرع الله في هذه الآيات الاستئذان من جانب الأولاد الذين لم يبلغوا سن الحلم في ثلاثة أوقات، خشية أن يكون الأب أو الأم في حالة لا يحبان أن

---

(١) سورة النور، آية: ٥٨ ـ ٥٩.

يطلع عليها أحد من أولادهما، بالإضافة إلى أنها أوقات راحة ونوم. وهذا الأمر بالاستئذان ينطبق أيضاً على الأولاد الذين بلغوا سن الحلم، والذين يكونون قد تربوا على هذه الآداب الإسلامية الكاملة.

وللاستئذان آداب أخرى، نذكر منها:

١ ـ أن يسلم ثم يستأذن:

فقد جاء رجل يستأذن على النبي ﷺ في الدخول وهو في بيت، فقال: أ ألج؟ فقال رسول الله ﷺ لخادمه: «اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان، فقل له، قل: السلام عليكم، أ أدخل؟ فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أ أدخل؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل»[1].

٢ ـ أن يعلن عن اسمه أو كنيته:

فعن أبي موسى لما جلس النبي ﷺ على بئر البستان، وجاء أبو بكر فاستأذن، فقال أبو موسى من؟ قال: أبو بكر، ثم جاء عمر فاستأذن، فقال: من؟ قال: عمر، ثم عثمان كذلك»[2].

وعن جابر قال: «أتيت النبي ﷺ فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال: أنا. أنا؟ كأنه كرهها»[3].

٣ ـ أن يستأذن ثلاث مرات:

قال رسول الله ﷺ: «الاستئذان ثلاث، فإن أذن لك وإلا فارجع»[4] وهذا تأكيد لقوله تعالى: **﴿.. وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، هو أزكى لكم والله بما تعملون عليم﴾**[5].

---

(١) أبو داود، عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ١.
(٢) الصحيحين، عبد الله علوان، مرجع سابق.
(٣) الصحيحين، عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ١.
(٤) الصحيحين، المرجع السابق.
(٥) سورة النور، آية: ٣٨.

٤ ـ أن يتحول عن الباب عند الاستئذان:

وذلك خشية خروج امرأة أجنبية لا تحب أن يراها أحد في أي مظهر، أو أن يكون الرجل لم يكن لباسه مهندم. فقال رسول الله عليه الصلاة والسلام: «إنما جعل الاستئذان من أجل البصر»(١) وفي حديث آخر «كان رسول الله ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه، ولكن من ركنه الأيمن، أو الأيسر، ويقول: السلام عليكم، السلام عليكم»(٢).

آداب التحية والسلام:

وبعد أن يستأذن الرجل للدخول إلى بيت صديقه أو بيته، فعليه أن يبدأ بإلقاء السلام، وكيفيته أن يقول المبتدىء «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته» ويرد المجيب بصيغة: «وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته»، وإفشاء السلام بين الإخوة من الإسلام، قال رسول الله ﷺ «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم»(٣).

وعن عبد الله بن عمرو، أن رجلاً سأل النبي ﷺ أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت وعلى من لم تعرف»(٤).

وكذلك على المسلم أن يَعْلَم أن يسلم الصغير على الكبير والماشي على الواقف والقليل على الكثير. فقال رسول الله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير»(٥).

وأن يعلم الأب ابنه أن رد السلام واجب، قال تعالى: ﴿**وإذا حييتم بتحية**

---

(١) الشيخان: المرجع السابق.
(٢) أبو داود، المرجع السابق.
(٣) مسلم، جـ ٧، ص ٥٣.
(٤) البخاري، جـ ٨، ص ٦٥.
(٥) مسلم، جـ ٧، ص ٢.

فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾[1]، وقال رسول الله ﷺ: «خمس تجب للمسلم على أخيه المسلم. رد السلام، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة، وعيادة المريض، واتباع الجنائز»[2].

وأن يتعلم الابن أن يلقى صديقه بالبشر والابتسام وطلاقة الوجه، قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يفترقا»[3]، وقال أيضاً: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»[4].

وعلى الآباء أن يعلموا أبناءهم أن هناك أحوالاً يكره فيها السلام مثل: المتوضىء، ومن في الحمام، ومن يأكل، وتال القرآن، وذاكر الله، وخطيب في الجمعة أو غيرها، ومؤذن أو مقيم للصلاة،..

٤ ـ مظاهر الانحراف الاجتماعي للشباب:

من خلال تناولنا لمظاهر السلوك الاجتماعي لدى الفتيات والفتيان، تبين تأثير جماعة الرفاق على سلوكيات وأخلاقيات هؤلاء المراهقين، كما اتضح الدور الهام والخطير للأسرة في عمليات التطبيع الاجتماعي، سواء في مراحل النمو الأولى (الطفولة المبكرة، والطفولة المتأخرة) أو في مرحلة المراهقة (المبكرة والوسطى). وهذا الدور المتعاظم للأسرة يلقي عليها تبعات جساماً خصوصا في زمان كثرت فيه وانتشرت جماعات الأجرام، والأخلاقيات الوضيعة (كذب، ونفاق وخيانة الأمانة، و....) وذاعت بين الشباب أفكار خاطئة تدعو إلى التشبه بالجنس الآخر وتقليد أخلاقيات الأمم الأخرى الساقطة. وساعد على ذلك كله انتشار وذيوع وسائل الإعلام والثقافة المتقدمة والمليئة بالغث الكثير والسمين.

---

(١) سورة النساء، آية: ٧٦.
(٢) مسلم، جـ٧، ص٣.
(٣) البخاري، جـ٨، ص٦٣.
(٤) مسلم، جـ٧، ص٥.

وقد عالجت التربية الإسلامية بمصدريها الرئيسيين، الكتاب والسنة، صور الانحراف الاجتماعي ودعت الآباء والمربين إلى الحذر منها، سواء للآباء أنفسهم، أو لأبنائهم بتقليدهم واتباع هديهم إن خيراً أو شراً.

وسوف نتناول جانباً من مظاهر الانحراف الاجتماعي، ونركز على البعض منها لخطورته على أفكار وقيم واتجاهات الشباب والشابات.

ظاهرة الكذب:

وهي ظاهرة منتشرة بين أبنائنا كثيراً، وقد قبحها رسول الله ﷺ في كثير من أحاديثه فقال: «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كان فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر»[١]. وفي حديث آخر يقول: «.... إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب، ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً»[٢].

وعادة الكذب قد يتبعها الولد أسوة بأبيه أو أمه أو من مجتمع الكبار من حوله، وهنا تكمن أهمية القدوة الصالحة داخل الأسرة، وأهمية تحري الآباء الصدق في كل ما يقولون لأولادهم. وأوصى الرسول عليه الصلاة والسلام بضرورة الصدق حتى عندما يمزح الأب مع طفله الصغير.

ظاهرة السباب والشتائم:

وترجع إلى القدوة السيئة في المنزل، وأيضاً رفاق السوء، ولذا على الآباء أن يتخلقوا بالقدوة الحسنة في حسن الخطاب، وتهذيب اللسان، وجمال التعبير، كما عليهم أن يجنبوا أولادهم رفاق السوء، ويبصروهم بعواقب زلات اللسان وبذاءاته، ومن الأحاديث النبوية: قوله عليه الصلاة والسلام «سباب

---

(١) البخاري، جـ ٤، ص ٢٣٩، طبعة دار إحياء الكتب العربية.

(٢) البخاري: جـ ٨، ص ٣.

المسلم فسوق، وقتاله كفر»[1]، وقوله «إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه، قيل يا رسول الله كيف يلعن الرجل والديه؟ قال: «يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه»[2].

وقوله ﷺ «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم»[3] ويقول: «ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خلق حسن، وإن الله ليبغض الفاحش البذيء»[4].

ظاهرة الميوعة والاختلاط والتبرج:

بالرجوع إلى أهم مظاهر النمو الجنسي لدى المراهقين خاصة في فترة المراهقة الوسطى (١٥ ـ ١٧ سنة)، يتضح ما يأتي:[5].

١ ـ تزداد «الانفعالات الجنسية» في شدتها، وتكون موجهة عادة نحو الجنس الآخر، ويلاحظ الإكثار من الأحاديث والقراءات والمشاهدات الجنسية.

٢ ـ يمر المراهق بمرحلة انتقال من «الجنسية المثلية»[6] إلى «الجنسية الغيرية» ويلاحظ الاهتمام بأعضاء الجنس الآخر والحديث عنهم والاطلاع على حياتهم الخاصة، والالتقاء معهم والتسامر معهم، ويلون هذا كله الرغبة الجنسية ويميل الفتى للنظر إلى مفاتن المرأة وإلى أعضاء جسمها، وتكون نظرته كلها رغبة وشهوة.

٣ ـ في نهاية مرحلة المراهقة الوسطى يصل جميع البنين والبنات إلى «النضج الجنسي»، وفي المرحلة التالية للمراهقة، وهي المراهقة المتأخرة والتي تمتد من ١٨ سنة إلى ٢١ سنة، تنمو الجنسية الغيرية أكثر ويبدأ المراهق

---

(١) مسلم، جـ١، ص٥٨.
(٢) البخاري.
(٣) البخاري.
(٤) الترمذي، جـ٨، ص ١٦٨ (قال عنه حديث حسن صحيح).
(٥) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٣٥٨ ـ ٣٦٠، ٣٨٠ ـ ٣٨٢.
(٦) تعني أن يتوجه المراهق انفعالياً ويميل عاطفياً بدرجة تزيد عما هو مألوف نحو أفراد جنسه.

في البحث عن رفيق يكمل شخصيته ويشبع حاجاته العاطفية مع الميل إليه بنظرة مثالية. كما يلاحظ الاتجاه نحو الزواج والاستقرار العاطفي والأسري.

هذا ما يقرره علماء النفس من خلال نتائج دراساتهم، والإسلام لم يخرج كثيراً عن القواعد العامة للنمو الجنسي لدى المراهقين، فالقرآن الكريم يقرر أن من آيات الله في خلقه أن جعلهم زوجين، ذكراً وأنثى، في جميع المخلوقات، ومنها بني آدم يقول تعالى: ﴿ **ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون**﴾[1]، ويقول: ﴿**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا**﴾[2]، وحتى تكتمل الصورة فقد أوجد الله تعالى بين الذكر والأنثى المشاعر العاطفية الإنسانية حتى يرتبط بعضهما ببعض، وتتكون الأسرة ويستمر الإنسان على الأرض، ليعمرها. فقال تعالى: ﴿**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[4]. كذلك إن السنة النبوية قد أكدت على هذه المشاعر والاتجاهات تجاه الجنس الآخر، ودعت الشباب إلى إشباعها بالطرق المشروعة، ومن لم يستطع، فعليه بغض البصر عن المحارم، وكذلك بالصوم، يقول رسول الله ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[5].

وحددت السنة مجال نظر الرجل للمرأة الأجنبية عنه، وكذلك الحال بالنسبة للمرأة، فقال تعالى: ﴿ **قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم، إن الله خبير بما يصنعون★ وقل للمؤمنات يغضضن**

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٤٩.
(٢) سورة الحجرات، آية: ١٣.
(٣) سورة النساء، آية: ١.
(٤) سورة الروم، آية: ٢١.
(٥) مسلم، جـ٩، ص١٧٢.

من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو . . . ﴾[1]

كما اعترف الإسلام بتعدد درجات الإيمان لدى المسلمين فمنهم المسلم التقي الورع الذي يخشى الله تعالى في السر والعلانية ولا يأتي ما حرم الله ويصون فرجه عن الفحشاء، ومنهم الفاسق الفاجر الذي مات قلبه ويرتكب ما حرم الله من منكر وفحشاء وزنى، وبين أولئك وأولئك درجات متعددة.

«مما سبق يتضح أن الإسلام اعترف بالرغبة الجنسية لدى الذكر والأنثى، وجعلها ضرورة لاستمرار النوع الإنساني، وحدد طرق إشباعها، وأرشد لـ[illegible] التحكم فيها صيانة لقيم المجتمع وتقاليده، والحفاظ على الحرمات، ووجه الشباب إلى الزواج، وحذرهم من مغبة الانسياق وراء إشباع رغباتهم الجنسية»[2].

ولكن إذا ما نظرنا إلى واقع حال المجتمع الإسلامي اليوم، فسوف نجد فيه الكثير من صور الانحراف الاجتماعي، وخاصة لدى الشباب وفي محاولة لتشخيص جانب من هذا الواقع الأليم، يمكن القول:

١ ـ إن المجتمع الإسلامي تأثر كثيراً بأخلاقيات وقيم واتجاهات وعادات المجتمعات الأجنبية، وسلك طريقها، واتبعها شبراً بشبر، لدرجة تقليده لهم في تسريحات الشعر وتفصيلات ملابس الرجال والنساء، وطريقة الكلام ورد السلام وأداء التحية، . . . والكثير من المظاهر التي تخالف عقيدتنا الإسلامية[3].

والله يحذرنا من اتباع أهل الكفر ومجاراتهم في عاداتهم وملابسهم،

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) يمكن الرجوع إلى تفاصيل ذلك في بداية الفصل الثاني من هذا البحث، كما توجد الكثير من الكتابات الإسلامية المستفيضة حول هذا الموضوع.

(٣) يمكن مراجعة الفصل السادس من البحث التالي: نبيل عبد الحليم متولي: **أخطار الإيديولوجية الصهيونية والإيديولوجية الأخرى على المجتمع العربي الإسلامي** (منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ١٩٩٠).

﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم...﴾[1]

﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا، قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾[2]، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، تلقون إليهم بالمودة، وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾[3]. ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم﴾[4]، ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين﴾[5]، ﴿ها أنتم تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله، وإذا لقوكم قالوا آمنا، وإذا خلوا عضّوا عليكم الأنامل من الغيظ، قل موتوا بغيظكم، إن الله عليم بذات الصدور﴾[6].

كما أن الرسول ﷺ يأمرنا بأن نخالف أهل الكتاب في عاداتهم فيقول: «إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم»[7]، كما أن الله يأمر نساء المؤمنين جميعاً بأن يتميزن عن نساء الكفار والإماء في ثيابهم، يقول الله تعالى: **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفوراً رحيماً﴾[8]**. ويؤكد هذا المعنى رسول الله فيقول: «صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا»[9].

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٠.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٣٥.

(٣) سورة الممتحنة، آية: ١.

(٤) سورة الممتحنة، آية: ١٣.

(٥) سورة آل عمران، آية: ١٠٠.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١١٩.

(٧) متفق عليه، النووي، ص ٥٨٢.

(٨) سورة الأحزاب، آية: ٥٩.

(٩) معنى «كاسيات» أي من نعمة الله «عاريات» من شكرها، وقيل معناها: تستر بعض بدنها وتكشف بعضه إظهاراً لجمالها ونحوه. وقيل تلبس ثوباً خفيفاً رقيقاً يصف لون بدنها. معنى «مائلات» قيل=

ولا شك أن مجتمعاتنا الإسلامية مليئة بهذه الصور البذيئة في الشوارع والأماكن العامة وأماكن اللهو والعمل ومؤسسات التعليم، مما تعتبر نسخاً منقولة طبق الأصل من المجتمعات الغربية والشيوعية من خلال المجلات المتخصصة في نشر أحدث خطوط الموضة. ولعل آخر صيحة هي دخول الأجانب في رسم خطوط أزياء ملابس البنات والسيدات المحجبات، وتقام لها المعارض المتخصصة في الفنادق الكبرى (الهيلتون، والشيراتون، والمرديان، وصالات الأندية الرياضية الكبرى)، وينقلها لنا إلى داخل منازلنا أجهزة التليفزيون. وكل هذا بهدف مسخ الشخصية المسلمة في مجتمعاتها وإبعادها عن دينها، وبالتالي يسهل السيطرة عليها وقيادتها.

٢ ـ ومن المظاهر التي يتصف بها المجتمع الإسلامي حالياً، هي صفة الاختلاط بين الجنسين في مجالات العمل والتعليم والشارع والأندية، داخل البيوت، وما تبع ذلك من مظاهر الانحراف الأخرى مثل ارتكاب الفاحشة (الزنا) وخطف البنات واغتصابهن، ولهو الشباب بمتابعة الأفلام والأغاني العربية والأجنبية وخاصة المثيرة للعنف والجنس.

فهذه القضية من أهم وأخطر القضايا التي يحذرنا الله منها يقول تعالى: **﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾**(١).

ويقول تعالى: **﴿ولا تقربوا الفواحش﴾**(٢) فيحرم على المسلمين القرب من الزنا، فما بالك بارتكاب الزنا نفسه؟ ويقول الرسول ﷺ «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة: العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يكذبه»(٣). فالزنا له مقدمات

= عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه (مميلات) أي يعلمن غيرهم فعلهن المذموم، وقيل مائلات يمشين متبخترات مميلات لأكتافهن وقيل مائلات: يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا. مسلم، النووي، مرجع سابق، ص ٥٨١.

(١) سورة الإسراء، آية: ٣٢.
(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥١.
(٣) متفق عليه، النووي (طبعة بيروت) مرجع سابق، ص ٥٧٨.

وعلى مستويات متدرجة، وله أنواع، ولعل النظر باعتباره من مقدمات الزنا، هو أخطر هذه الأنواع، فعن طريقه يدرك الإنسان ما حوله دون أن يلمسه أو يشمه أو يمشي إليه. لذلك يحذرنا الله ورسوله من إطلاق النظر، فيقول تعالى: **﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾**[2].

أما أحاديث الرسول ﷺ فهي كثيرة في هذا المجال، فيقول في شأن حق الجلوس في الطرقات: «غض البصر، وكف الأذى، ورد السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[3]، وقال أيضاً: «لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل، ولا المرأة إلى المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد»[4]، ويحدد الرسول عليه السلام عورة المرأة فيقول: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان»[5].

وأما عن الاختلاط بين الجنسين فيقول الله تعالى: **﴿وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب﴾**[6]. ويقول الرسول: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»[7]، «ونهى رسول الله ﷺ أن يمشي الرجل بين المرأتين»[8]، وكان الرسول عليه السلام في طريقه وأمامه امرأة فقال لها: «تنحي عن الطريق». فقالت: «الطريق واسع. فقال: «دعوها فإنها جبارة»[9].

وبالرغم من هذا البيان الواضح، فإن الكثير من المسلمين سلكوا طريقاً

---

(١) سورة النور، آية: ٣١.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٣٦.

(٣) متفق عليه، النووي، مرجع سابق، ص ٥٧٩.

(٤) رواه مسلم، النووي، مرجع سابق، ص ٥٨٠. ومعنى لا يفضي الرجل إلى الرجل: أي لا يضطجعان متجردين في ثوب واحد.

(٥) رواه الترمذي، مذكور في ابن الأثير الجزري: جامع الأصول من أحاديث الرسول، جـ٧، ط ١ (مطابع السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥١) ص ٤٢٥.

(٦) سورة الأحزاب، آية: ٣٧.

(٧) و (٨) رواه أبو داود. مذكور في ابن الأثير الجزري، مرجع سابق، ص ٤٢٥.

(٩) أخرجه رزين، ابن الأثير الجزري، ص ٤٢٤.

غير ذلك، وتابعوا الشيطان وأعوانه. فترى من المسلمين من يطالب بالاختلاط بين الجنسين وخاصة بين الشباب في سني التعليم.

ففي مقالة بمجلة الوحدة يقول الكاتب[1]: «إن مجتمعنا العربي المعاصر إذ يطرح مسألة الاختلاط ويطالب بها، إنما يطرح مسألة مطروحة منذ القدم، ويزداد الإلحاح عليها في مرحلة المراهقة»، ويستشهد الكاتب برأي ذوي النفوس الضعيفة، فيقول إن المفكر العربي سلامة موسى في كتابه «الشخصية الناجحة» يرى أن الاختلاط ضرورة كبيرة للتكيف الاجتماعي، كما يعرض لرأي د. خليل ميخائيل معوض الذي يرى (أن الاختلاط بين الجنسين ضرورة اجتماعية ونفسية لما في ذلك من توجيه للميول الجنسية نحو الاتجاه السليم).

وتبين لنا إحدى الدراسات الميدانية[2] المقارنة بين طلاب جامعة الخرطوم والتي تطبق مبدأ الاختلاط، وطلاب جامعة أم درمان الإسلامية والتي تلتزم بمنع الاختلاط، تبين أن طلاب الجامعة الإسلامية أكثر التزاماً بالقيم الخلقية الإسلامية من طلاب جامعة الخرطوم. وهذا يؤكد ما ناقشناه في الفقرات السابقة من دعوى الالتزام بعدم الاختلاط بين الجنسين، حتى لا يكون ذلك بداية لمقدمات الزنا.

«وقد تنبهت دول كثيرة إلى خطورة دعوى الاختلاط بين الجنسين، حيث ذاقت من ويلاته الكثير، سواء أكانت دولاً شرقية أم غربية، علمانية أم إلحادية. فقد أصدر التليفزيون الهندي»[3] قراراً بمنع الفتيات اللاتي يقدمن الإعلانات على شاشته من الغمز بعيونهن، وقال مدير التليفزيون إن غمز فتاة تقدم إعلاناً عن أحمر الشفاه مثلاً، يثير كل أنواع الايحاءات المريبة. ومما يذكر أن التليفزيون الهندي كان قد منع من قبل ظهور السيقان والأذرع العارية والقبلات على شاشته.

---

(١) علي نوح: التعليم المختلط من خلال رؤية اجتماعية تربوية «مجلة الوحدة»، الرباط السنة (٢)، العدد (١٤)، نوفمبر، ١٩٨٥، ص. ص ٦٢ ـ ٢٨.

(٢) نبيل عبد الحليم متولي، مرجع سابق، ص. ص ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٣) جريدة الأهرام، بتاريخ ١٩٨٧/٣/١٤، ص ٢.

هذا بشأن «غض البصر» وقيوده في بلاد يدين معظمها بديانات غير سماوية. ، فما بالك بالدول الإسلامية والتي يظهر على شاشات تليفزيوناتها الممثلات والفنانات والمذيعات في أبهى صورة، وفي مواقف غير أخلاقية.

ومما يزيد الأمر سوءاً ظهور وانتشار أجهزة التليفزيون الملون والفيديو والتي تزيد جمال الصورة ودقتها مع إمكانية إعادة عرضها مرة أخرى أو تثبيت الصورة المطلوبة.

ثالثاً: التربية الجنسية

الحديث عن التربية الجنسية حديث يشوبه شيء من الحرج، خاصة في مجتمعاتنا العربية، تبعاً للعرف والتقاليد السائدة في هذه المجتمعات، ولكن تجنب الحديث عن التربية الجنسية مثله كمثل تجنب الحديث عن التربية القومية أو التربية الاجتماعية أو التربية الخلقية أو التربية الدينية. فما من شك أن تجنب مثل هذا الحديث يؤدي بنا إلى مخاطر تجنب مشكلة موجودة أمامنا فعلاً ونود الهروب منها لسبب أو لآخر(١).

فالسلوك الجنسي مشكلة هامة في الطفولة بصفة عامة والمراهقة بصفة خاصة، حيث يبلغ النشاط الجنسي أعلى قمة. ويحس المراهق بالتناقض بين ما يسمع وما يرى بخصوص الجنس. ويتساءل: هل الجنس خير أم شر؟ مقدس أم مدنس؟ يؤدي إلى السعادة أم إلى الشقاء؟(٢).

وتفرض التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الخلقية قيوداً على النشاط الجنسي للشباب بما يحقق مصلحة الفرد والجماعة، ورغم ذلك، فإنه يبدو أن المجتمع لم ينجح تماماً في محاولاته بفرض التكتم الشديد والمنع التام للسلوك الجنسي.

ومن المسلم به أنه إذا أحيط السلوك الجنسي بغلاف من التحريم والتكتم

---

(١) أحمد زكي صالح: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ٢٧٩.
(٢) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٠٧.

والتمويه، وإذا أغمض الوالدان أو المربون أعينهم وصموا آذانهم ولم يقوموا بواجبهم في التربية الجنسية نحو أبنائهم، بحث هؤلاء الأطفال والمراهقون عن «مصادر أخرى» لإشباع حاجتهم إلى المعرفة في هذا الشأن. وربما اتجهوا إلى أدعياء المعرفة، وربما تطوع هؤلاء بهذه المعلومات في غير أوانها، وربما اتجهوا إلى الأفلام الجنسية والصور الجنسية والكتب المثيرة. والنتيجة المؤسفة هي «المعلومات الخاطئة والوقوع في التجريب أو الخبرات الحقيقية، والشعور بالاشمئزاز والإثم والخوف والقلق والاستغراق في أحلام اليقظة والانحراف الجنسي»[1].

لذا فإن الحاجة ماسة وضرورية للتربية الجنسية: فموضوع التربية الجنسية يهم ولاة الأمور من حيث التربية الجنسية السليمة، وتنظيم النسل، وآداب العلاقات الجنسية ومعاييرها وقوانينها. كما أن هذا الموضوع يهم المربين الذين طالما يسألهم التلاميذ عن موضوع الجنس. والموضوع يهم المراهقين الذين تم بلوغهم الجنسي ويميلون للجنس الآخر ولا يعلمون ماذا يفعلون[2].

والدين الإسلامي يقوم على إدراك فطرة الإنسان، وفطرته هذه، وهي إشباع الدافع الجنسي، اعترف بها الإسلام وأمر بتفريغها وإشباعها بالطرق المشروعة، كما حدد لها القواعد، حتى لا يصطدم إشباعها مع مصالح وقيم بقية أعضاء المجتمع. والطريق الذي رسمه الإسلام لإشباع الرغبة الجنسية هو الزواج، وخاصة الزواج المبكر. يقول الله تعالى:

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[3].

ومن هنا أوجب الإسلام الزواج، وحرم الرهبانية والزهد فيه بدعوى

(١) المرجع السابق مباشرة، ص ٤٠٨.
(٢) المرجع السابق، ص ٤٠٩.
(٣) سورة الروم، آية: ٢١.

التقرب إلى الله، ودعا كذلك إلى تبسيط إجراءات الزواج من مهر، وشروط في الزوجة أو الزوج[1].

وهذا التشجيع من الإسلام لشبابه في الإقبال على الزواج حفاظاً لفروجهم وأخلاقهم وعقيدتهم، لم يجعله أكبر همهم، وشغلهم، بل دعا إلى التوسط في إشباع الرغبات الجنسية، بحيث لا يشغل ذلك عن مصالح الدنيا والجهاد في سبيل الله بكل صوره.

وخير مثال على ذلك قصة الصحابي حنظلة بن أبي عامر، الذي خرج لداعي الجهاد يوم عرسه وكان جنباً، وجاهد مع صحابة رسول الله ﷺ واستشهد في غزوة أحد، فأطْلَع الله نبيه على حال حنظلة فقال الرسول لأصحابه: «إني رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحاف الفضة»، ويسرع الصحابة إلى حنظلة ينظرون إليه فإذا رأسه يقطر ماءً، فأرسلوا إلى امرأته يسألونها فأخبرتهم أنه سمع هيعة الحرب حتى خرج وهو جنب لم يغتسل فغسلته الملائكة[2].

هذا بشأن الإسلام وموقفه من حفظ الرغبات الجنسية وإشباعها بالطرق المشروعة، ودعوته الصريحة إلى الزواج. أما فيما يتعلق بشأن التربية الجنسية، فقد شجع الرسول عليه الصلاة والسلام نساء المؤمنين وكذلك الشباب المسلم على الاستفسار عن كل ما يعن لهم من أسئلة واستفسارات بشأن المشكلات الجنسية التي تصادفهم.

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ومن ذلك:

★ عن المقداد «أن علياً رضي الله عنه، أمره أن يسأل رسول الله ﷺ عن الرجل إذا دنا من امرأته فخرج منه المذي، ماذا عليه، فإن عندي ابنة رسول الله ﷺ، وأنا أستحي أن أسأله. قال المقداد فسألت رسول الله ﷺ،

---

(١) راجع تفصيل ذلك في الفصل الثاني تحت عنوان (الزواج في الإسلام والهدف منه) ص.

(٢) الحديث رواه الترمذي والإمام أحمد. عبد الله علوان، مرجع سابق، ص ٥٥٦، جـ١.

فقال: إذا وجد أحدكم ذلك فلينضح فرجه بالماء، وليتوضأ وضوءه للصلاة»[1].

★ وعن عائشة رضي الله عنها «سُئِلَ النبي ﷺ عن احتلام الرجل؟ فقالت أم سليم: وكذا المرأة إذا احتلمت، أعليها غسل؟ قال: نعم، النساء شقائق الرجال»[2] (الشقيق: المثل والنظير).

★ وعن عائشة «أن أسماء بنت شكل سألت النبي ﷺ عن غسل المحيض؟ فقال: تأخذ إحداكن ماءها وسدرها فتطهر فتحسن الطهور، فتصب على رأسها فتدلكه دلكاً شديداً، حتى تبلغ شؤون رأسها. ثم تصب عليها الماء. ثم تأخذ فرصة ممسكة فتطهر بها. قالت أسماء: وكيف تطهر بها؟ قال: سبحان الله! تطهري بها. قالت عائشة: كأنها تخفي ذلك؟ تتبعي أثر الدم. فقالت عائشة: نِعْمَ النساء نساء الأنصار، لم يكن يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين»[3] (الفِرصة: قطعة من صوف أو قطن أو غيره).

ننتقل بعد تلك المقدمة لمناقشة أبعاد موضوع التربية الجنسية، ونتناول فيها النقاط الآتية:

١ ـ تعريف التربية الجنسية.
٢ ـ أهداف التربية الجنسية.
٣ ـ برنامج التربية الجنسية.

ـ مسلمات معرفية.
ـ من الذي يقوم بالتربية الجنسية.
ـ الشروط اللازمة في المربي.
ـ المرحلة العمرية التي تقدم فيها.

---

(١) أخرجه مالك وأبو داود. محمد صديق حسن خان البخاري: حسن الأسوة، باب ما ورد في الاستيحاء من المسألة، ص ٣٧٩.

(٢) أخرجه أبو داود والترمذي، مذكور في تيسير الوصول، جـ٣، ص ٩٠، وكذلك المرجع السابق، ص ٣٨٢.

(٣) رواه مسلم. محمد صديق خان البخاري، مرجع سابق، باب ما ورد في غسل الحائض والنفساء، ص ٣٨٥.

ـ أسلوب التقديم (فردي أم جمعي).
ـ نوعية المعلومات.

١ ـ تعريف التربية الجنسية Sex Education:

يعرف حامد عبد السلام زهران التربية الجنسية بأنها. «ذلك النوع من التربية التي تمد الفرد بالمعلومات العلمية والخبرات الصالحة والاتجاهات السليمة إزاء المسائل الجنسية، بقدر ما يسمح به نموه الجسمي والفسيولوجي والعقلي والانفعالي والاجتماعي، وفي إطار التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية السائدة في المجتمع، مما يؤهله لحسن التوافق في المواقف الجنسية ومواجهة مشكلاته الجنسية في الحاضر والمستقبل مواجهة واقعية تؤدي إلى الصحة النفسية»[١].

ويعرفها أحمد زكي صالح بأنها «هي ذلك النوع من التربية التي تساعد الطفل على مواجهة مشاكله الجنسية مواجهة واقعية، وأن يطلع على تطورات الحياة الجنسية عند الحيوان والإنسان بطريقة علمية عقلية على قدر ما يسمح به نموه العقلي والجنسي»[٢].

كما يعرفها حامد عبد العزيز الفقي بأنها «تهدف ـ في البيت والمدرسة ـ إلى تحقيق فهم أفضل لطبيعة الجنس، وتكوين الاتجاهات الإيجابية لدى كل من الجنسين نحو الآخر تمهيداً لحياة زوجية سعيدة تقوم على الحب، وتحقق الإشباع الجنسي والنفسي للزوجين»[٣].

ومن استعراض التعاريف السابقة يتضح أن التعريف الأول هو التعريف الأشمل، حيث جمع في طياته أبعاداً متعددة، مثل نوعية المعلومات، ومناسبة المعلومات مع المراحل العمرية المتعددة للفرد بصفة عامة، وليس الطفل فقط،

(١) حامد عبد السلام زهران: علم نفس النمو، مرجع سابق، ص ٤٠٦.
(٢) أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ٢٨٢.
(٣) حامد عبد العزيز الفقي: مرجع سابق، ص ٢٥٨.

ومراعاة الجانب الديني والاجتماعي، وأيضاً الهدف المرجو منها سواء حالياً أو مستقبلياً.

٢ ـ أهداف التربية الجنسية:

في ضوء تعريف التربية الجنسية، والذي سبق عرضه، يتضح أننا في حاجة لبرامج علمية مدروسة ومخططة للتربية الجنسية تهدف إلى[1]:

(أ) تزويد الفرد بالمعلومات الصحيحة عن ماهية النشاط الجنسي.

(ب) تعليمه الألفاظ العلمية المتصلة بأعضاء التناسل والسلوك الجنسي، مسترشداً بما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأيضاً الأصول العلمية الحديثة.

(جـ) إكسابه التعاليم الدينية والمعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية الخاصة بالسلوك الجنسي.

(د) تشجيعه على تنمية الضوابط الإرادية لدوافعه ورغباته الجنسية، وشعوره بالمسؤولية الفردية والاجتماعية، ومعرفة خطورة الحرية الجنسية على الفرد والمجتمع.

(هـ) ضمان إقامة علاقات سليمة بين الجنسين قائمة على فهم دقيق واتجاهات صحية، ومراعاة للقواعد الدينية والأخلاقية الإسلامية.

(و) تصحيح ما قد يكون هناك من معلومات وأفكار واتجاهات خاطئة نحو بعض أنماط السلوك الجنسي الشائع.

(ز) تزويد الفرد، حسب مراحل العمر المختلفة، بالمعلومات الصحيحة واللازمة، في ضوء الفقه الإسلامي، فيما يخص ألوان النشاط الجنسي.

---

(١) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٤١٠.

٣ ـ برنامج التربية الجنسية:

يتناول هذا البرنامج عدداً من الأبعاد، نعرض لها من وجهة نظر علم النفس والتربية، وأيضاً التربية الإسلامية. وقبل البدء في عرض هذه الأبعاد، تجدر الإشارة إلى أن المعالجة سوف تكون بشيء من العمومية، دون الدخول في تفاصيل ذلك البرنامج، حيث إن الهدف هنا ليس تقديم برنامج علمي عن التربية الجنسية، بقدر ما هو توجيه أنظار الآباء والمربين إلى أهمية هذا النوع من التربية، وكذلك توجيههم إلى ضرورة التعرف على الحقائق والمعلومات الصحيحة والكاملة بشأن التربية الجنسية، حتى يكونوا على علم ودراية عند تربية أبنائهم جنسياً، فالمثل يقول (فاقد الشيء لا يعطيه). وبرنامج التربية الجنسية يقوم في أساسه على مسلمات معرفية، يفترض أن الآباء والمربين على علم واقتناع تامين بها.

وهذه المسلمات المعرفية هي[1]:

(أ) يجب أن ينظر الآباء والمربون إلى التربية الجنسية باعتبارها جزءاً من العملية التربوية، والتي هي عملية حياة يتعلم فيها الفرد الحياة وتنمو فيها شخصيته نمواً سليماً.

(ب) أن الأطفال لا يظلون أطفالاً بل يكبرون ويبلغون جنسياً.

(جـ) بالرغم من التغيرات الفسيولوجية المشاهدة للبلوغ الجنسي تقع في فترة المراهقة، إلا أن القوى الجنسية الضرورية تعمل منذ الطفولة.

(د) المراهقون لديهم حب استطلاع شديد خاصة عما يحدث أثناء الاتصال الجنسي.

(هـ) الغريزة الجنسية لها قوتها ولا يمكن تجاهلها، وهي من أهم الغرائز، وهي التي تدعو كلًّا من الذكر والأنثى أن يتصلا جنسياً بهدف التكاثر.

---

(١) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٤١٢.

(و) ظهور الدوافع والميول الجنسية عملية حيوية سوية لا بد أن تقع خلال نمو الطفل ونضجه.

(ز) التربية الجنسية تمثل حجر الزاوية في الزواج الموفق والسلوك الجنسي المتوافق.

ولنا أن نتساءل:

من الذي يقوم بعبء برنامج التربية الجنسية؟

فالبعض يرى[1] أن الآباء يتعذر عليهم في أغلب الآحايين القيام بهذه المهمة، خاصة في مرحلة المراهقة المتوسطة (المدرسة الثانوية)، لأنهم يعتبرونها شائكة، ولعدم اتساع وقتهم لذلك، وخاصة إذا كانت المسؤوليات العائلية الملقاة على عاتقهم كثيرة متشعبة كما هو الحادث فعلاً، لذلك يجب أن نبحث فيمن يقوم بهذه المهمة على الوجه الصحيح. ويقترح لذلك المدرس أو رائد الفصل أو المشرف أو المدرب الرياضي، وذلك لعاملين: لأنه يكتسب ثقة المراهق واحترامه وشعوره بالأمن لديه والعطف عليه، ولأن المدرس هو الشخص الذي يتصل بالمراهق اتصالاً وثيقاً في جو حر مطلق من القيود والالتزامات.

ويرى آخرون[2] أن المسؤولية تقع بشكل رئيسي على الوالدين، خاصة في مراحل النمو الأولى (الطفولة المبكرة والمتأخرة، والمراهقة المبكرة).

أما البعض[3] فيرى أن العملية يجب أن تتعاون فيها عدة أطراف بشكل متناسق ومتكامل، وهذه الأطراف هي:

★ **الوالدان:** إذا توافرت النية وصدق العزم واتسع الوقت وتوفرت

---

(١) أحمد زكي صالح، مرجع سابق، ص ٢٨٥.
(٢) حامد عبد العزيز الفقي، مرجع سابق، ص ٢٦٠ - ٢٦٣ - وأيضاً نوري حافظ، مرجع سابق، ص. ص ٢٠٢ - ٢٠٣.
(٣) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٤١٢.

المعلومات العلمية والإعداد للقيام بهذه المهمة.

★ **المربون**: سواء أكانوا معلمين أو أخصائيين اجتماعيين بالمدرسة.

★ **علماء النفس**: خاصة المرشدون والمعالجون النفسيون، حيث يقومون بمهام وقائية وعلاجية.

★ **الأطباء**: في عملهم العلاجي وبعض المحاضرات.

★ **رجال الدين**: في الوعظ والإرشاد الديني.

ويضيف بإمكانية دعوة بعض أو كل هؤلاء لإلقاء محاضرات بالمدرسة، وإجراء مناقشات وندوات تتناول الموضوع من عدة زوايا.

ويؤكد كثير من علماء النفس على أهمية توفر الشروط اللازمة فيمن يتولى مهمة التربية الجنسية، والتي من بينها[1]:

أن يكون ذا إلمام تام بمميزات المراهقة النفسية، وذا فهم واضح لما هو في سبيل معالجته، وأن يكون مقدراً لمشاكل المراهق مهما بدت تافهة، وأن يكون صاحب أفق عقلي متسع بمعنى أن يكون رحب الصدر للآراء المختلفة، طويل البال في المناقشة، يمكنه أن يتفاهم بالمنطق السليم وأن يكون خالياً من الآراء المتزمتة. وأن يكون قد تغلب على مشاكله بنجاح.

وبالنسبة للمرحلة العمرية التي تبدأ عندها التربية الجنسية:

فالبعض يرى[2] أن تبدأ عقب الولادة مباشرة، بل إن الميول والاتجاهات الجنسية لدى الطفل قد تتأثر باتجاهات الوالدين وميولهما نحوه قبل أن يولد، فقد تؤدي رغبة الوالدين في إنجاب أنثى إلى معاملة المولود الذكر على أنه أنثى.

---

(١) أحمد زكي صالح، مرجع سابق، ص ٢٨٦. وأيضاً حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق ص. ص ٤١٢ - ٤١٣.

(٢) حامد عبد العزيز الفقي، مرجع سابق، ص ٢٥٠.

والبعض الآخر[1] يرى أن التربية الجنسية « عملية مستمرة» ولا تقتصر على سن معينة، بل تبدأ من الطفولة ثم تستمر خلالها وفي مرحلة المراهقة حتى الرشد، وقبل الزواج وبعده.

أما البعض[2] فيرى أن التربية الجنسية يجب أن يركز عليها المربون خلال أربع مراحل متتالية هي : (٧ ـ ١٠) سنوات ويلقن فيها الطفل آداب الاستئذان والنظر، (١٠ ـ ١٤) سنة ويجنب الولد (المراهق) كل الاستثارات الجنسية، (١٤ ـ ١٦) سنة ويعلم فيها الولد (البالغ) آداب الاتصال الجنسي إذا كان مهيئاً للزواج، وفي سن ما بعد البلوغ (الشباب) يعلم فيه آداب الاستعفاف إذا كان لا يقدر على الزواج.

والرأي عندنا أن التربية الجنسية عملية مستمرة تبدأ مع الطفولة وتستمر لما بعد الزواج، ونتفق في هذا مع الرأي الثاني.

وفيما يتعلق بأسلوب تقديم المعلومات الجنسية (فردي أم جماعي):

فيتفق الكثير من الباحثين[3] أن تكون المشاورة فردية وليست جمعية، بمعنى أنه يجب أن يناقش المربي مع المراهق مشكلاته على حدة حتى يكسب ثقته، فيسر له ما يشاء من أسرار، أو ما يعتقد أنها أسرار، كما يجب أن تكون الإجابة على قدر السؤال لا أكثر ولا أقل، لأنها إن كانت أكثر من اللازم اعتقد المراهق أنه أمام شخص نظري يتكلم أكثر مما يعمل، وإذا كانت أقل مما ينبغي اعتقد أنه أمام شخص جاهل مخطىء لا يدري شيئاً عن مشاكله. ويجب أن تكون الإجابة في منتهى الصراحة والإخلاص.

ويضيف البعض[4] أنه في أجزاء معينة من البرنامج يحسن أن يكون

---

(١) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص ٤١٣.
(٢) عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ ١، ص. ص ٥٠٣ ـ ٥٠٤.
(٣) أحمد زكي صالح، مرجع سابق، ص ٢٨٦.
(٤) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ٤١٣.

التوجيه جمعياً للتغلب على الخجل وأخذ المسالة مأخذاً علمياً صريحاً، كما يحسن فصل البنين عن البنات.

وبالنسبة لنوعية المعلومات الجنسية:

فيمكن أن تنقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تتعلق بالجوانب الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية. وهذه الموضوعات يمكن أن تبدأ بأبسط المسائل الأولية المتعلقة بالصحة الجنسية وتمتد إلى أعقد المشكلات الجسمية والاجتماعية والنفسية التي تتعلق بالسعادة الزوجية وحياة الأسرة. ويمكن الرجوع إلى المراجع المختصة للتعرف على تفاصيل ذلك[1].

وأما المجموعة الثانية من المعلومات الجنسية فتتعلق بالمسائل الفقهية الإسلامية. ويمكن في هذا الرجوع إلى كتب الفقه الإسلامي، وكذلك ما كتبه، ملخصاً، الأستاذ عبد الله علوان في كتابه «تربية الأولاد في الإسلام، ج ١» حيث وضع برنامجاً متكاملاً للتربية الجنسية يقوم على الروح الإسلامية والمنهج الإسلامي.

---

(١)★ حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص. ص ٤١٦ ـ ٤١٩.

★ أحمد زكي صالح: مرجع سابق، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٦.

★ محمد علم الدين: التربية الجنسية بين الواقع وعلم النفس والدين (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠).

★ مصطفى عبد الواحد: الإسلام والمشكلة الجنسية، ط ٢ (مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٧٢).

★ منيرة حلمي: مشكلات الفتيات المراهقات وحاجاتها الإرشادية (دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٦).

★ فرانسيس ل. ايلغ، لويز ب. ايمز: سلوك الطفل، مرجع سابق، ص. ص ٣٧٢ ـ ٣٨٤.

التوصيات

في مرحلة ما قبل الإنجاب.
في مرحلة طفل ما قبل المدرسة.
في مرحلة طفل المدرسة الابتدائية
في مرحلة المراهقة.

يعالج هذا الفصل أهم نتائج البحث التي توصل إليها من خلال الفصول الأربعة السابقة، مبتدئين بمرحلة ما قبل الإنجاب، ثم مرحلة الطفولة المبكرة، ثم الطفولة المتأخرة والوسطى، ثم مرحلة المراهقة وفي كل مرحلة من المراحل الأربع نحاول صياغة بعض التوصيات التي يأمل الباحث في الأخذ والعمل بها من قبل المهتمين بهذا الأمر، كي تتحقق الفائدة المرجوة من هذا البحث والله هو الموفق.

وجدير بالذكر أن طبيعة هذا البحث توجب أن يتم التركيز بشكل رئيسي على توجيه الآباء لحسن رعاية أولادهم والاهتمام بهم في مختلف مراحل النمو، ولذ فإن توصيات البحث سوف تتسم بالتعامل مع الآباء وواجباتهم تجاه تربية أبنائهم بشكل رئيسي ثم يأتي الخطاب موجهاً بعد ذلك إلى المربين والباحثين والمهتمين برعاية الأطفال والشباب بصفة عامة.

أولاً: في مرحلة ما قبل الإنجاب:

١ ـ اهتم الإسلام بالشباب وأولاه رعاية خالصة، نظراً لكونه الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القوي في كل الجنبات، ومن مظاهر هذا الاهتمام، دعوته للشباب بالإقبال على الزواج، إشباعاً لدافع الغريزة الجنسية الذي يلح كثيراً

ويقوة طلباً للإشباع. ولم يقف الإسلام موقف المتشدد من إشباع هذه الدافع الهام، بل اعترف بقوته، وأثره في سلوك الشاب، ومن ثم رسم له الطريق القويم الذي يسلكه في إشباعه. وهذا الطريق هو الزواج، والزواج المبكر خاصة، قال تعالى: **﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾**[1].

كما حث الرسول ﷺ الشباب على الزواج، باعتبار ذلك سنة محمودة، وحرم الرهبانية واعتزال النساء، لما فيهما من خروج على الفطرة السليمة. وفي حالة عدم تيسر حال الشباب في الزواج، فإن الحل الأمثل لاستعلاء الدافع الجنسي هو الصوم، فإنه له وجاء.

ولم يترك الإسلام أمر الزواج هكذا بدون توجيه وإرشاد، بل دعا الآباء إلى اختيار أزواج بناتهم ممن يرضون دينه وخلقه، كما أشار عليهم بعدم المغالاة في المهور، حتى لا تنزع البركة من الزواج، لدرجة أن رسول الله ﷺ، عقد زواجاً وكان المهر هو ما حفظه الرجل من القرآن.

كما حث الإسلام الآباء على التعاون في سبيل تدبير نفقات بيت الزوجية، وعدم تكليف الشباب ما لا يطيقون.

وإذا كان هذا هو شرع الله في الزواج والدعوة إليه، فإن واقع الحال يختلف كثيراً عن ذلك، والأمر معروف لدى الجميع وغني عن الوصف والبيان.

وقد استن شباب الجماعات الإسلامية في بعض المجتمعات الإسلامية سنة حسنة، وهي «الزواج الجماعي» دعوة منهم في تقليل نفقات الأفراح، من ناحية، والبعد عن العادات والسلوكيات التي تحدث في هذه المناسبات والتي لا تقرها الشريعة الإسلامية، من غناء مائع، وهرج ومرج بين الشباب والشابات، وارتداء الملابس الفاضحة، . .

والباحث لا يسعه إلا أن يبارك هذه الخطوة، ويدعو المسؤولين إلى

---

(١) سورة النساء، آية: ١.

تشجيعها بتقديم التسهيلات المالية، والهدايا، والتبرعات وما إلى ذلك.

كما أن الباحث يبارك طريقة عقد الزواج بالمساجد، تيمناً وبركة وإحياءً لدور المساجد في المجتمع، مع ضرورة تنزيه المسجد عن كل مظاهر الترف أو الاختلاط بين الجنسين أو ما شابه ذلك.

٢ ـ يهدف الزواج في الإسلام إلى تحقيق « السكن بين الزوجين» بمعنى إقامة العلاقات الزوجية على أساس من الود والاطمئنان والرحمة.

قال تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾[(١)].

والسكن هنا، ليس السكن المادي، ولكنه السكن النفسي، فالزوجة بمثابة السكن الذي يأوي إليه الزوج بعد تعب ومشقة الحياة وكدها وهمها.

وفي ضوء ذلك الهدف السامي للزواج في الإسلام، فإن الصور التالية مرفوضة:

ـ من يتصور أو يعتقد أن هدف الزواج هو إشباع للغريزة الجنسية فقط، ويتبع ذلك تعامله مع زوجته على أساس أنها متعة الحياة الدنيا، وإن الله أعطاه إياها لكي يفرغ شهوته في الحلال بدون مراعاة إفراغ شهوة امرأته. هذا التصور خاطىء تماماً ويتعارض مع نص الآية الكريمة.

ـ وقد يتصور أو يعتقد البعض أن الله تعالى أباح تعدد الزوجات، حتى إذا قضى الرجل حاجته من زوجته والتي كبرت ولم تعد تفي بالغرض المطلوب، فإنه ينتقل للزواج بأخرى لاستكمال مسيرته الأولى بإشباع حاجته.

وهذا التصور خاطىء ويتعارض مع القواعد التي قررها الإسلام للزواج بالثانية والثالثة والرابعة.

ـ إذا اتصفت الحياة الزوجية بالمشاحنات والخلافات الدائمة والمستمرة

---

(١) سورة الروم، آية: ٢٣.

فإن ذلك الأمر يشوه الهدف الأسمى للزواج في الإسلام.

ولنا وقفة طويلة عند تلك النقطة حتى نتبين أثر العلاقات الوالدية على سلوكيات الأولاد، ناهيك عن أثرها على الوالدين نفسهما.

فعلماء النفس يعرفون الأسرة المتصدعة نفسياً بأنها: الأسرة التي يعيش فيها الوالدان معاً ومع أطفالهما، ولكن تسودها المنازعات المستمرة، ويشيع فيها عدم احترام حقوق الآخرين، وهي التي يعيش فيها الطفل تحت ضغط مستمر وكثيراً ما يكون موضع سخرية باقي أفرادها، وهي في العادة أسرة متسلطة يتحكم فيها الأب ويتحول مركز الأم والأطفال إلى مركز سلبي، وكثيراً ما نجد الطفل في هذه الأسرة غير مرغوب فيه ولا يكون لديه أية خبرة بشعوره بالانتماء إليها[1].

وبهذا المفهوم عن الأسرة المتصدعة، أمكننا دراسة العلاقة بين الوالدين وأثرها على نمو الطفل النفسي.

فالخلافات العنيفة الهدامة التي تصيب صرح الأسرة وتهدم القيم والمعايير والأسس التي وضعها الوالدان في حياتهما معاً وكأسلوب لتربية أطفالهما فتلك هي التي تحطم الكيان الأسري، والتوازن العاطفي في الأسرة، ثم إن أخطر ما في هذه الخلافات هو مدى انعكاسها على حياة الأبناء ومدى اضطرابهم وفقدهم للجو النفسي السليم الذي ينمو فيه، ولذلك لا يعتبر من الخير في شيء استمرار الحياة الزوجية مع وجود حالة من التوتر العنيفة بين الزوجين، بل يعتبر الطلاق في مثل هذه الحالة ـ وإن كان أمراً غير مرغوب فيه ـ أمراً ضرورياً لصالح الزوجين وصالح الأبناء أيضاً.

ومن أهم آثار سوء العلاقات بين الوالدين على أطفالهم[2]:

١ ـ تنازع الولاء للأسرة واضطرار الطفل إلى الانتماء إلى أحد الطرفين

---

(١) محمد علي حسن: علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جنح الأحداث (مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠) ص. ص ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) المرجع السابق مباشرة، ص ١٧٣.

دون الآخر للضغوط الانفعالية التي يواجهها.

٢ ـ انهيار أمل الطفل في مصدر السلطة وهو الأب هنا، ومظهر العطف وهي الأم، وعدم استطاعتها تهيئة الجو النفسي السليم لنموه وعجزها عن رعايته، وصيانته، مما يدفع الطفل إلى الانسحاب بعيداً عن المنزل والانضمام إلى العصابات.

٣ ـ هروب الطفل إلى الشارع عله يجد فيه أيضاً متنفساً عما يجده في المنزل من متاعب.

٤ ـ انغماس الطفل في أحلام اليقظة.

٥ ـ انعدام ثقة الطفل في نفسه وفي الآخرين وانقلابه إلى عدو لنفسه وعدو للجماعة كلها.

مما سبق يتضح أهمية وجود علاقات سوية بين الوالدين تتسم بالحب والود والتراحم، يترتب عليها شعور الطفل بأمنه واستقراره وتكامله النفسي، ويزيد من تمسك الطفل بأسرته وحرصه على البقاء فيها ما دام يجد فيها أمنه واستقراره النفسي.

وهذه وصية للوالدين نوجهها لهم وهم في بداية حياتهما الزوجية، لكي يحفظوها ويرعوها حق رعايتها، ويقدروا أهميتها، ويتذكروا معاً الهدف الإسلامي للزواج وآثاره على أطفالهم فيما بعد.

٦ ـ وإذا كنا نتحدث عن فترة ما قبل الإنجاب، فإنه تجدر الإشارة إلى أهمية تعرف كل من الزوجين لحقوقه وواجباته تجاه الآخر، من المنظور الإسلامي.

وقد قسم المتخصصون في هذا المجال الحقوق إلى ثلاث مجموعات[1]:

(١) ياسين محمد يحيى: المجتمع الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة (منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٤) ص. ص ١٢٦ ـ ١٤٦.

أولاً: حقوق مشتركة بين الزوجين.
ثانياً: حقوق الزوجة.
ثالثاً: حقوق الزوج.

فبالنسبة للحقوق المشتركة بين الزوجين: فهي:

(أ) **حق العشرة والاستمتاع**: مما لم يكن لهما قبل الزواج، يقول الله تعالى: **﴿والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون﴾**(١). وهذه العشرة استجابة لطابع الغريزة الفطرية لكل من الزوجين، كما أنها وسيلة للإنجاب والتناسل، وحفظ النوع البشري. وحق العشرة والاستمتاع حق لكل من الزوجين على الآخر. ومقتضى ذلك ألا يقصر كل منهما نحو الآخر في أداء هذا الحق، وقد وضع الإسلام آداباً لاستمتاع كل من الزوجين بالآخر، ويمكن مراجعتها في كثير من الكتب الفقهية وغيرها.

(ب) **المعاشرة بالمعروف**: فالعلاقة بين الزوجين يجب أن تسودها المودة والرحمة، وأن يشارك كل منهما الآخر في السراء والضراء. وأن يراعي مشاعر وعواطف الطرف الآخر، وألا يؤذيه بقول أو فعل. يقول الله تعالى: **﴿وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن، فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً﴾**(٢) فهذا حق للزوجة على زوجها وأما حق الزوج على زوجته، فيقول الله تعالى: **﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾**(٣)...

والسنة الشريفة مليئة بوصايا الرسول عليه السلام بالنساء وحسن معاشرتهم.

(جـ) **حرمة المصاهرة**: فيحرم على الزوج أصول زوجته تحريماً مؤبداً

---

(١) سورة المؤمنون، آية: ٥ ـ ٧.
(٢) سورة النساء، آية: ١٩.
(٣) سورة البقرة، آية: ٢٢٨.

سواء من جهة أبيها أو من جهة أمها، وسواء قبل أو بعد الدخول بها.

ويحرم عليه كذلك فروع زوجته بعد الدخول بها. كما يحرم على الزوجة أصول الزوج وفروعه سواء دخل بها أو لم يدخل.

(د) **ثبوت النسب**: يترتب على الزواج الصحيح ثبوت نسب الأولاد إلى الزوج، وثبوت النسب حق للزوجين، كما أنه حق للأولاد.

(هـ) **التوارث بين الزوجين**: وهذا الحق لا يشترط فيه الدخول أو الخلوة، وتفصيل ذلك لا يقع في هذا البحث.

وبالنسبة لحقوق الزوجة على زوجها:[1] **فهي**:

(أ) **الحق في المهر**: وهو من أحكام عقد الزواج الصحيح، وليس ركناً فيه أو شرطاً من شروط صحته. وقد سمى القرآن الكريم المهر فريضة، وصدقة ونحلة: **﴿وآتوا النساء صدقاتهن نحلة﴾**[2]. أي عطاء لا عوض عليه. والمهر قد شرع بمثابة هدية لازمة يقدمها الزوج لزوجته وليس عوضاً أو بدلاً كالأجرة أو الثمن. وفي هذا المعنى تكريم للزوجة وإعزاز لها. كما أن المهر ليس مقابل الاستمتاع بالزوجة، لأن حق الاستمتاع حق مشترك بينهما.

(ب) **الحق في النفقة**: ويقصد بالنفقة كل ما يلزم الزوجة من طعام وكسوة ومسكن ومصاريف علاج وغير ذلك مما يقضي به العرف. والنفقة حق للزوجة على الزوج حتى ولو كانت موسرة وكان الزوج معسراً، والسبب في وجوب النفقة هو احتباسها له. والاحتباس يتحقق بتسليم الزوجة نفسها له حقيقة أو حكماً. وإذا كانت الزوجة تعمل وهي في منزل الزوجية كأشغال الإبرة والكتابة والتأليف وحياكة الملابس، فإن نفقتها لا تسقط، ما دامت هذه الأعمال لا تؤثر على قيامها بحقوق زوجها، أما إذا كانت هذه الأعمال تؤثر على حقوق

---

(١) محمد السيد محمد الزعبلاوي: الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية، مرجع سابق، ص. ص ١٤١ ـ ١٥٩. وأيضاً المرجع السابق مباشرة.

(٢) سورة النساء، آية: ٤.

زوجها، فله أن يمنعها من القيام بهذه الأعمال ولكن نفقتها لا تسقط حتى إذا لم تستجب له.

أما إذا كانت الزوجة تعمل خارج منزل الزوجية، فإذا وافق الزوج على هذا العمل، فإن النفقة لا تسقط، وأما إذا كان الزوج غير موافق على عملها خارج المنزل، وأمرها بالامتناع ولم تمتثل فطبقاً للمذهب الحنفي تعتبر ناشزاً وتسقط نفقتها.

(جـ) **العدل في المعاملة**: فإذا كان الزوج متزوجاً بزوجة واحدة فالعدل يوجب عليه ألا يؤذيها بقول أو فعل، وألا يحرمها حقاً من حقوقها، وأن يعاشرها بالمعروف. وإذا كان الزوج متزوجاً بأكثر من واحدة، فالعدل يقتضي الأمور الظاهرية كالنفقة بأنواعها، وكذلك المبيت. أما العدل في الميل القلبي فليس مطلوباً لأنه لا يقدر عليه بشر.

(د) **الحق في الصيانة**: فالزوجة أمانة لدى الزوج، عليه أن يحافظ عليها ويصونها من كل ما يعرضها للأذى، أو يقلل من شأنها أو يمس عرضها، كما يجب عليه أن يغار عليها، والغيرة المطلوبة هي الغيرة المعتدلة التي لا تصل إلى حد الشك في الزوجة نتيجة لأي تصرف.

وبالنسبة لحقوق الزوج على زوجته، فهي:

(أ) **الحق في الطاعة**: وذلك في غير معصية لله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذا الحق مقرر للزوج بصفته رب الأسرة والمسؤول عن الإنفاق عليها. والزوجة في الإسلام تثاب من الله على طاعتها لزوجها.

قال رسول الله ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت»[1].

---

(١) رواه أحمد والطبراني. مذكور في «حسن الأسوة» محمد صديق حسن البخاري، ص ٥٥٦.

«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة»[1]. وفي حالة عدم طاعة الزوجة للزوج، فعليه أن يستعمل معها وسائل الإصلاح من موعظة، وهجر في المضاجع، وضرب غير مبرح امتثالاً لقوله تعالى: **﴿واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن، واهجروهن في المضاجع، واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، إن الله كان علياً كبيراً﴾**[2].

(ب) **الحق في القوامة**: أعطى الله تعالى الرجل الحق في القوامة، لما له من طبيعة تصلح لتحمل أعباء هذه المهمة، وباعتباره المسؤول الأول عن الإنفاق على الأسرة **﴿الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم﴾**[3]. وعلى ذلك على الزوجة أن تتعاون مع الزوج في تصريف شؤون المنزل، مع طاعته إن اختلفا في أمر ما. وعلى الزوج ألا يتمادى في استغلال هذا الحق ويتعدى على حقوق زوجته ويمتهن كرامتها ويعتدي عليها، قال تعالى: **﴿فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً﴾**[4].

(جـ) **الحق في قيام الزوجة على شؤون البيت**: فمن واجبات الزوجة أن ترعى شؤون بيتها، وتربي أولادها. فالرجل يخرج للبحث عن الرزق وعلى الزوجة أن ترعى بيتها في عدم وجوده، وتقوم على حسن إدارته. وإذا كانت حال الزوج المالية تسمح باستئجار خادمة لمساعدتها في شؤون البيت فلا مانع من ذلك.

٤ ـ اتضح من خلال معالجتنا الفصل الثاني، أنه من الضروري مراعاة حالة الأم النفسية أثناء الحمل، لما يتركه ذلك من آثار سيئة على صحة الجنين ونموه. فقد لاحظ العالم سونتاج أن الأجنة الأكثر فاعلية[5] ميالة إلى أن تولد بوزن منخفض بالنسبة لطولها، مما هو الحال بالنسبة للأجنة الذين هم أقل

---

(١) رواه ابن ماجة والترمذي، مذكور في المرجع السابق، ص ٥٥٦.
(٢) سورة النساء، آية: ٣٤.
(٣) سورة النساء، آية: ٣٤.
(٤) نفس الآية السابقة.
(٥) يقصد بها الأكثر تأثراً بانفعالات الأم الحادة مثل الغضب والعصبية والتوتر.

فاعلية في حياتهم الجنينية. يضاف إلى ما تقدم أن الأجنة ذات الفاعلية الأكثر تعاني من اضطرابات حشوية ومشكلات تغذية فيما بعد الولادة أكثر من الأطفال الأقل فاعلية. ويظهر الوليد في عهد ولادته عدم استقرار متزايد، وانزعاجاً، وصراخاً مفرطاً، وتهيجاً، ويتقيأ بصورة ملحوظة ومتكررة، ويصاب بالإسهال الشديد، كما أنه على العموم ينام أقل من بقية الرضع الآخرين، ويظهر حساسية زائدة للأصوات، ويبدأ ذلك بكل عنف، وغالباً ما يبكي أو يصرخ بصوت عال.

«وقد وجد العلماء أن (٣٠) امرأة ممن ولدن أطفالاً غير ناضجين قبل انتهاء فترة الحمل الكاملة كن أقل نضجاً من الناحية الانفعالية، وكن يحملن نظرة سلبية نحو الحمل، وأنهن أقل قدرة على حل مشكلاتهن العائلية والاجتماعية، مما هو الحال مع جماعة أخرى ضابطة من النساء توازيها في العمر، والعرق، والطبقة الاجتماعية، وفي التربية التي كانت أقل تعرضاً للاضطرابات الانفعالية في حياتهن»[1].

لذا ينصح الباحث الأمهات بألا يتعرضن أثناء فترة الحمل للانفعالات والأزمات النفسية الحادة التي لها أثر مباشر على حياة الجنين، ومن أهم هذه الأزمات الانفعالية:

ـ **الغضب**: إذ يزيد من عدد مرات الانقباضات أو النبضات القلبية في الدقيقة الواحدة، وبذلك تتضاعف كمية الدم التي يدفعها القلب، وهذا بالطبع يؤدي إلى إجهاد القلب.

ـ **العصبية والتوتر**: فيجعل الأم الحامل تثور لأقل الأسباب، فتفقد السلام الدائم مع نفسها وأولادها والآخرين، كما يكون لذلك أخطر الأثر على حياة الجنين ومستقبله.

لذلك وجب على الآباء ومن يحيط بالأم الحامل، وهي نفسها، حماية المرأة الحامل من خطورة الأزمات الانفعالية، بمعالجة أسبابها الأولى، والتي

---

(١) محمد الصالح عمر عزيز: «حقوق أطفالنا تبدأ قبل الولادة» **مجلة الوعي الإسلامي**، الكويت، العدد (٢٨٨)، ذو الحجة ١٤٠٨ هـ ـ اغسطس ١٩٨٨، ص. ص ١٠١ ـ ١٠٢.

تتمثل في الخلافات العائلية سواء مع الزوج أو الأولاد أو الأقارب، أو في محيط عمل المرأة.

وبهذه المناسبة يجب توجيه النصح والتوصية إلى الآباء والأمهات إلى ضرورة الحصول على قدر معقول من الثقافة الصحية حول أهم المؤثرات على الأم الحامل والجنين. ويمكن مراجعة ذلك في المرجع المشار إليه في الهامش، والمراجع الأخرى المماثلة[1].

٥ ـ اتضح من معالجة موضوع (الزواج المبكر) الآثار الاجتماعية والنفسية والفسيولوجية على الأم وعلى المجتمع. لذا يوصي الباحث:

ـ بضرورة مراعاة السلطات حالات الزواج المبكر التي تحدث في المناطق الريفية ومعالجتها بطريق التوعية.

ـ تطبيق القوانين التي تراعي السن التي يبدأ عندها اكتمال الفتى أو الفتاة من الناحية النفسية والعقلية والفسيولوجية، مع عدم التهاون في حالات تزوير شهادات الميلاد، أو حالات التسنين.

ـ مناشدة الآباء ـ بتوعيتهم دينياً ـ بألا يزوجوا فتياتهم أقل من السن القانونية، حرصاً على بناتهم واستقرارهن في بيوتهن. وحرصاً على صحة الأجنة التي تحملها فتياتهم.

ثانياً: في مرحلة طفل ما قبل المدرسة:

تعتبر هذه المرحلة خطيرة وهامة في شتى نواحي التربية الروحية، والعقلية، والخلقية، والوجدانية، والاجتماعية والبدنية.

ويؤكد علماء النفس والتربية على مدى أهمية «خبرات الطفولة» ويرون أنها ذات أثر بعيد في تكوين شخصية الناشىء، خاصة وإن السنين التي تسبق

---

(١) محمد عبد الظاهر الطيب: مشكلات الأبناء من الجنين إلى المراهق، (دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ١٩٨٩) ص. ص ٧ ـ ٢٩.

سن الدراسة والالتحاق بالمدرسة تمثل الفترة التي يتم فيها أسرع النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي[1].

«ومن هنا تتضح خطورة دور الأسرة ممثلاً في الوالدين، وضرورة تحملهما لمسؤولية الرعاية التربوية على وجهها الصحيح وحرصهما على توفير المناخ الملائم نفسياً ومادياً لنمو الطفل نمواً متكاملاً سوياً»[2].

وتتميز كل مرحلة من مراحل نمو الطفل بأساليب وطرق تربوية معينة تصلح لمرحلة، وقد لا تصلح لمرحلة أخرى.

ومرحلة طفل ما قبل المدرسة (الطفولة المبكرة) يمكن أن تتوافق معها الأساليب التربوية الآتية، والتي يكون فيها الوالدان محل المسؤولية الكاملة في رعاية الأبناء والاهتمام بهم من خلال اتباع تلك الأساليب والطرق التربوية.

١ ـ أسلوب القصص:

وهو من أهم أساليب التربية الحديثة، خاصة لأطفال مرحلة ما قبل المدرسة وما بعدها. والأسلوب القصص يتميز بتأثيره في العواطف وجذب الانتباه وتقمص شخصيات القصة. ولذلك يجب مراعاة إيراد القصص ذات المغزى الديني والأخلاقي والإنساني حتى تؤثر تأثيراً إيجابياً مرغوباً فيه، في سلوك الطفل ونوازعه وعواطفه. والطفل في هذه المرحلة من النمو يميل إلى التقليد والمحاكاة بطبعه خاصة في أواخر هذه المرحلة، لذلك من المستحسن أن نقص عليه القصص التي تتضمن شخصيات محببة ونماذج لشخصيات سوية ومستقيمة، يكون في تقليدها خير وصلاح ونفع للطفل في حاله ومستقبله. ولا بأس من عرض بعض القصص المختارة بعناية والمباعة في شرائط الفيديو. والقرآن الكريم والسنة الشريفة مليئة بالقصص التي يمكن إعادة كتابتها بشكل مبسط مع الصورة الملونة والمؤثرة في نفسية الطفل. ومن هذه القصص قصة أصحاب

---

(١) فاخر عاقل: علم النفس التربوي، مرجع سابق، ص ١١٤.

(٢) عبد الحميد الصيد الزنتاني: مرجع، سابق، ص ٥٤.

الفيل، وأصحاب الأخدود، وأصحاب الجنة، وموسى عليه السلام مع الخضر، والأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم، وأهل الكهف، والكثير من ذلك.

ويمكن لمزيد من الأمثلة للقصص القرآني وأسلوبه، والقصص في السنة النبوية، مع أمثلة واقعية منها مراجعة الكتب في هامش هذه الصفحة[1].

٢ ـ أسلوب الترغيب والترهيب:

وهو أسلوب يصلح للأطفال كما يصلح للكبار، وقد ورد في القرآن الكريم تمشياً مع الفطرة الإنسانية التي خلقها الله تعالى، وهو أعلم بأسرارها ودوافعها واستجاباتها وردود أفعالها. ومن أمثلة ذلك: «من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها»[2]، «جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً، ولباسهم فيها حرير»[3]، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان»[4] تلك أمثلة للترغيب، وهناك أمثلة للترهيب منها «ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم في النار هل تجزون إلا ما كنتم تعملون»[5]. أما أقوال الرسول ﷺ فإن المقام لا يتسع لها هنا، ويكفي أن نضرب مثلين لتلك الأقوال التي جمع فيها الترغيب مع الترهيب وهو أسلوب أكثر تأثيراً من إفراد كل منهما بعيداً عن الآخر.

قال عليه السلام: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب صديقاً. وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب كذاباً»[6].

---

(١) عبد الجواد سيد بكر: **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف** (دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣) ص. ص ٣٣٨ ـ ٣٤٠. وأيضاً: عبد الحميد الصيد الزنتاني، مرجع سابق، ص. ص ٢١٧ ـ ٢٢١. وكذلك سعيد اسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية** (دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤) ص. ص ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٠.

(٣) سورة فاطر، آية: ٣٣.

(٤) سورة الرحمن، آية: ٦٠.

(٥) سورة النمل، آية: ٩٠.

(٦) مسلم، جـ٨، ص ٢٩.

وقال عليه الصلاة والسلام: «من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء. ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء»[1].

ويجدر بنا أن نذكر أهم ما يجب على الآباء مراعاته عند اتباع أسلوب الترهيب والترغيب.

فبالنسبة للإثابة[2]:

(أ) عدم الإكثار من الإثابة حتى لا تفقد قيمتها وأثرها في نفوس الأبناء، وكذلك فتور مشاعر الآباء.

(ب) ألا تسبب الإثابة بين الأبناء مشاعر التنافس والغيرة والحسد والأنانية.

(جـ) إعطاء من يستحق الإثابة فقط، مع عدم التمييز بين الأبناء إذا كان السلوك المثاب عليه واحداً.

وبالنسبة للعقوبة[3]:

(أ) عدم الإكثار منها لكي لا تصبح مألوفة وتفقد فاعليتها.

(ب) مراعاة أن تكون مناسبة لدرجة الفعل الخاطىء، وألا يظهر الآباء روح التشفي والانتقام.

(جـ) استعمالها بهدوء ونزاهة حتى لا تخدش الكرامة ولا تؤلم النفس

---

(١) المرجع السابق، ص ٦١.

(٢) محمد الناصف: آراء في التربية (الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د.ت.) ص. ص ٤٩ - ٥٠.

(٣) المرجع السابق مباشرة، نفس الصفحات.

ولا تولد الحقد والكراهية.

(د) ألا يضرب الوجه، ولا يستعمل الألفاظ الجارحة.

٣ ـ أسلوب القدوة:

وهذا الأسلوب من أنجح السبل في تربية الأطفال والراشدين على السواء. وقد وجهنا القرآن الكريم إلى الاقتداء برسول الله ﷺ فقال: ﴿**لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر**﴾(١). وقال أيضاً: ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه. وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾(٢). كما عاب القرآن الكريم على الذين يقولون ما لا يفعلون، فقال: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾(٣). وقال: ﴿**أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون؟**﴾(٤).

وهذا الأسلوب الهام في تربية النشء لا يؤتي ثماره إلا إذا تكاملت جميع مصادر التربية بمفهومها الواسع، «فقد تتعارض أساليب التربية والمطالب التي يفرضها الكبار على الطفل مع تصرفاتهم هم أنفسهم فيعاني الطفل من جراء ذلك، وتتعرض شخصيته للضرر والانحراف، ومن ثم فإن التناسق بين أساليب التربية والتهذيب المختلفة مع القدوة في بيئة الطفل أمر بالغ الأهمية لنشأة الطفل وتكامل شخصيته»(٤).

وإذا كنا نحمل الآباء والمربين أعباء التربية بالقدوة الحسنة، فإننا نوجههم للاسترشاد برسول الله ﷺ في حياته كلها، فهو خير قدوة في بيته، وفي سيره، وفي جلوسه، وفي مسجده، وفي عبادته، وفي جهاده، وفي تعاونه مع الآخرين،

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٢١.

(٢) سورة الحشر، آية: ٧.

(٣) سورة الصف، آية: ٢ ـ ٣.

(٤) سورة البقرة، آية: ٤٤.

(٥) نجيب اسكندر وآخرون: قيمنا الاجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية، مرجع سابق، ص ٣٢.

وفي مظهره الشخصي، وفي كل سلوكياته وسكناته. وحقاً لقد وصفه الله تعالى بقوله:

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[1].

هذه هي أهم الأساليب التربوية التي يمكن للآباء أن يتبعوها لتربية أبنائهم في مرحلة ما قبل المدرسة، وقد توجد طرق وأساليب أخرى، إلا أن هذه الطرق تعتبر هي الأساس والأكثر تأثيراً من غيرها من الطرق.

وقد آثرنا أن نعرض لهذه الطرق في بداية تقديمنا لأهم التوصيات والإرشادات للآباء والمربين، باعتبارها الإطار الشامل الذي يضم كل ما سوف نذكره خاصة بجوانب التربية المتعددة: الجسمية والاجتماعية والوجدانية.

فبالنسبة للتربية الجسمية:

١ ـ يجب على الآباء المساواة في المعاملة بين البنين والبنات، وألا يفضلوا جنساً على آخر، وأن يرضوا بما رزقهم الله من الذرية، سواء أكانوا ذكوراً أم إناثاً. وعليهم أن يتيقنوا أن تربية البنت تربية إسلامية هي المفتاح الموصل للجنة، كما أكد ذلك رسول الله ﷺ.

٢ ـ يجب على الآباء أن يحسنوا اختيار أسماء أبنائهم، لأنهم يدعون بها يوم القيامة، كما أن لها تأثيراً بالغاً على نفسية الأولاد، فعليهم أن يبتعدوا عن تقليد المجتمعات الغربية في اختيار الأسماء، فالرسول عليه السلام أرشد الآباء إلى خير الأسماء، ولهم فيه أسوة حسنة.

٣ ـ على الآباء واجب الالتزام بختان أبنائهم الذكور في الصغر.

٤ ـ نظراً لأهمية الرضاعة الطبيعية للطفل والأم على السواء ، فعلى الأم واجب الالتزام بذلك ما أمكن، إذا لم يكن هناك مانع يحول دون الرضاعة الطبيعية من الأم.

---

(١) سورة القلم، آية: ٤.

٥ ـ نظراً لحاجة طفل هذه المرحلة إلى اللعب والنشاط الدائم والمستمر فعلى الآباء: إ

ـ أن يوفروا للطفل المكان المناسب في البيت للعب.

ـ أن يختاروا أنسب الألعاب بما يتلاءم مع المستوى العقلي للطفل.

ـ أن يشاركوا أطفالهم اللعب، ولا يترفعوا عن ذلك.

ـ أن يخصصوا أوقاتاً محددة في كل أسبوع للخروج بأطفالهم إلى الأماكن المفتوحة كالمنتزهات العامة والنوادي.

٦ ـ على الآباء أن يعودوا أبناءهم آداب الطعام والشراب خاصة في هذه المرحلة، وأن يصبروا عليهم ولا يتضايقوا أو يزهقوا «إذا ما واجهوا صعوبات في ذلك. كما عليهم أن يعلموهم متى يأكلون؟ وكيف يأكلون؟ وماذا يأكلون؟.

٧ ـ على الآباء العناية بصحة الطفل الجسمية والنفسية بتحصينه ضد الأمراض والاهتمام بتغذيته لتقابل متطلبات النمو المطرد.

٨ ـ على الآباء الاهتمام بأسنان الطفل ونظافتها، وعدم خلع الأسنان اللبنية عند تسوسها بل تحشى وينتظروا حتى تسقط، كما عليهم واجب فحص الأسنان مرتين سنوياً اعتباراً من العام الثالث من عمر الطفل.

٩ ـ وعلى الآباء تكوين عادات نوم صحية للطفل، وأن يكون سعيداً قبل ذهابه للنوم. فإرغامه على النوم أكثر من حاجته يؤدي غالباً إلى سلسلة من المشكلات السلوكية المرتبطة بالنوم، مثل رفضه الذهاب إلى الفراش أو رفضه النوم أو الاستيقاظ أثناء الليل أو الاستيقاظ المبكر في الصباح.

١٠ ـ على الآباء مراعاة عدم القلق بخصوص استعمال الطفل يده اليسرى، وخطورة إجباره على الكتابة باليد اليمنى، لما قد يصاحب ذلك من اضطراب حركي وعصبي.

وبالنسبة للتربية الوجدانية:

فإنه بالإضافة إلى ما تقدم وسبق ذكره في الفصل الثالث من توصيات للآباء بشأن تجنيب أبنائهم العوامل المسهمة في زيادة الخوف المرضي، نقدم مجموعة أخرى من التوصيات:

١ ـ على الآباء مراعاة الحذر من العقاب وخاصة العقاب البدني، فهو يؤدي إلى كف السلوك غير المرغوب فيه، كما يؤدي إلى الخنوع أو الثورة.

٢ ـ على الآباء مراعاة عدم تكليف الطفل بما لا يطيق وفرض الأوامر والنواهي في غلظة وإصرار.

٣ ـ كما عليهم تذكر الثبات في معاملة الطفل وعدم التذبذب بين الثواب والعقاب أو بين المحاسبة وغض النظر بالنسبة لنفس السلوك، وكل ما من شأنه تشويه صورة القدوة والأسوة الحسنة والشخصية المثالية المتزنة التي يحاول أن يقلدها الطفل، والمتمثلة في الأب والأم.

٤ ـ ونظراً لدخول وسائل الإعلام إلى كثير من منازلنا، وتأثر الأطفال انفعالياً بمشاهدة أفلام العنف على شاشة التليفزيون، خصوصاً أفلام العنف ذات الأبطال الآدمية، فيجب على الآباء تجنيب أبنائهم مشاهدة هذه الأفلام، ولا بأس من مشاهدة أفلام الكرتون الخالية من مشاهد العنف.

وبالنسبة للتربية الاجتماعية:

بالإضافة إلى الملاحظات والتوصيات التي قدمها الباحث عند تناوله هذه النقطة في الفصل الثالث، يمكن أن نقدم مجموعة إضافية من التوصيات للآباء:

١ ـ فنظراً لتأثر الطفل في هذه المرحلة بالعلاقات بين الوالدين واتجاهاتهم الوالدية، والعلاقات بين الوالدين والطفل، والعلاقات بين الإخوة، وجنس الطفل، وتربيته بين إخوته، ونظراً لأن الأسرة تلعب دوراً هاماً في توافق الطفل الاجتماعي عن طريق عملية التوحد معهم وتقمص شخصياتهم، فعلى

الآباء أن يحرصوا كل الحرص على توفير الجو النفسي الأسري السليم، المتسم بالحب والحنان والفهم والمدح.

٢ ـ العمل من جانب الآباء على تجنب السيطرة وفرض النظام بالقوة على الطفل، حتى لا تختلط عليه مفاهيم الحب والكره، والاعتماد والمقاومة.

وينصح الآباء لضمان طاعة طفلهم[١]:

ـ الحرص على جذب انتباه الطفل قبل إعطاء الأوامر.

ـ إعطاء الأمر ببطء ووضوح كاف ليتبعه الطفل.

ـ عدم إعطائه أوامر كثيرة مرة واحدة.

ـ الثبات وعدم الأمر بشيء الآن ثم النهي عنه بعد قليل.

ـ إثابة الطفل على الطاعة والسلوك السوي.

ـ عدم استخدام التهديد أو الرشوة.

ـ متابعة تنفيذ الطفل للأوامر.

ثالثاً: في مرحلة طفل المدرسة الابتدائية:

يستطيع الآباء عند معاملتهم أولادهم في هذه المرحلة أن يتبعوا نفس أساليب التربية الثلاثة الرئيسية التي تم عرضها في مرحلة طفل ما قبل المدرسة وهي: أسلوب القصص، وأسلوب الترغيب والترهيب، وأسلوب القدوة مع ملاحظة أن طفل هذه المرحلة يميل كثيراً في أفعاله إلى التقليد والمحاكاة أكثر من طفل ما قبل المدرسة، ولذا فإن أسلوب القدوة يعتبر من أهم أساليب التربية لطفل هذه المرحلة، ويأتي بعده في الأهمية أسلوب الترغيب والترهيب. وهذا بدوره يلقي بدوره بالمسؤوليات الجسام على عاتق الآباء كي يكونوا خير قدوة

---

(١) حامد عبد السلام زهران، مرجع سابق، ص ١٩٢ ـ ١٩٣.

لأبنائهم. وأن يتسموا بالثبات في المعاملة وعدم التذبذب، والعدل والمساواة بين الأبناء... ولهم في رسول الله ﷺ قدوة حسنة.

ويود الباحث القول إنه عند تناول أبعاد التربية المختلفة: الجسمية، والاجتماعية، والإيمانية، والعقلية، عرض الباحث في نفس الوقت لمجموعات من التوجيهات والإرشادات والتوصيات للآباء على وجه الخصوص وللمربين على وجه العموم، وحتى لا نقع في خطأ التكرار المخل بالمعنى، فإن الباحث سوف يكتفي بتقديم عدد من التوصيات. التي لم يرد ذكرها من قبل، وبعض التوصيات التي تتسم بالعمومية لجميع أنواع التربية.

فبالنسبة للتربية الجسمية:

نظراً لزيادة الكفاءة والمهارة اليدوية لطفل هذه المرحلة، فإنه يميل كثيراً إلى القيام بنشاط يتطلب استعمال العضلات الدقيقة، وهذه نقطة هامة يجب على الآباء والمربين حسن استغلالها، وذلك بغرس قيم حب العمل اليدوي، وتشجيعهم على التعليم بالممارسة، وتشجيعهم على اكتساب بعض الهوايات الخاصة كأعمال الرسم والرياضة البدنية، والنجارة، والحياكة، والألعاب الهادفة والميسرة في البيئة.

وبالنسبة للتربية الاجتماعية:

١ ـ يميل أطفال هذه المرحلة إلى التفاعل والتعاون الاجتماعي السليم مع الأصدقاء والأقارب، كما يتجه إلى المشاركة في بعض الأعمال، وأيضاً يود التخفف من مساعدة الآباء له، لذا على الآباء أن يهيئوا الفرص المناسبة التي تتيح لأطفالهم المشاركة الاجتماعية بأوسع معانيها، والاتجاه لتحمل جانب من المسؤولية.

ويمكن في هذا أن تستغل المدارس في فترة الإجازة الصيفية بفتحها أمام الأطفال لتمضية أوقات فراغهم في نشاط اجتماعي مفيد تحت إشراف وتوجيه الآباء والمعلمين.

٢ ـ نظراً لأن المدرسة الابتدائية تعتبر لكثير من الأطفال مرحلة منتهية يتجهون بعدها إلى سوق العمل، خاصة في الريف، وأطراف المدن الكبيرة فعلى الآباء تقع مسؤولية عدم إلحاق أبنائهم بأعمال مرهقة أو خطرة.

وبالنسبة للتربية الإيمانية:

١ ـ على الآباء الاعتدال في تكليف أبنائهم بأداء العبادات، فلا يكلفوهم ما لا يطيقون من النوافل في الصلاة مثلاً، وعدم إجبارهم على صيام شهر رمضان بكامله، فإن ذلك يأتي بالتدريج، مع تحبيبهم في أدائها. وقد نرى بعض الآباء يصرون على ارتداء الفتاة التي لم تبلغ بعد النقاب، ولبسها الملابس الفضفاضة التي لا تتناسب مع كثرة ونشاط حركة الطفلة. كما يتجهون إلى عدم مخالطتها لأقرانها من الصبيان كل هذه الصور، يجب أن تتم مراجعتها في ضوء مناقشة هادئة مع بعض الثقة من الفقهاء ورجال الدين حتى لا يحرم الأطفال من أنشطتهم المحببة إليهم، ونحرمهم من حقوق قررها لهم الدين الإسلامي والفطرة السليمة التي أوجدها الله تعالى فيهم.

٢ ـ يثير أطفال هذه المرحلة عدداً من الأسئلة تتعلق بمفهومهم عن الله وأين هو، وقدرته، والملائكة، والشيطان، والجنة. والنار.......... وعلى الآباء الإجابة السليمة والواعية بما يتناسب مع أعمار أولادهم ومستوى إدراكهم وفهمهم.

بالنسبة للتربية العقلية:

١ ـ يوصي الباحث بتوثيق الصلة بين الوالدين والمدرسين عن طريق اجتماعات مجالس الآباء والمعلمين، والاجتماعات غير الرسمية ولقاءاتهم في حفلات المدرسة ومناسباتها المختلفة، كل ذلك بهدف التعرف على المشكلات المدرسية والتحصيلية التي تقف أمام أبنائهم، ليشاركوا في حلها متعاونين في ذلك مع إدارة المدرسة.

٢ ـ تدل الدراسات على أن «الخلفية الاجتماعية الاقتصادية» ترتبط

ارتباطاً موجباً بالدرجات في اختبار الذكاء، فالأطفال من الطبقة العليا والوسطى يحصلون على درجات أعلى من الدرجات التي يحصل عليها الأطفال من الطبقة الدنيا، إذا تساوت الظروف الأخرى. كما يلاحظ أن اهتمام الوالدين بالمدرسة والتحصيل المدرسي والمستقبل العلمي للطفل أكثر في الطبقة الوسطى والعليا منه في الطبقة الدنيا.

ومن ذلك يوصي الباحث بتوفير أكبر قدر ممكن من المثيرات العقلية خاصة لأطفال الطبقة الدنيا المحرومة من كل شيء، وذلك عن طريق توجيه برامج خاصة للأطفال في الإذاعة والتليفزيون، وكذلك تنظيم المسابقات العلمية داخل الفصل والمدرسة وبين المدارس، ودعوة أهل الخير للتبرع لدعم شراء الألعاب والأجهزة الحديثة التي تحتاجها المدارس في المناطق الفقيرة، تعويضاً لأبناء هذه المناطق.

رابعاً: في مرحلة المراهقة:

إذا كان دور الآباء، والأسرة عامة، لهم مكانة عظيمة في تربية الأبناء في مراحل النمو الأولى، المبكرة والوسطى والمتأخرة من الطفولة، فإن دور الآباء لا يقل أهمية في مرحلة المراهقة.

وإذا كانت الأساليب التي اتبعها الآباء لتربية أبنائهم في المراحل الأولى للنمو اعتمدت على القصص، والترغيب والترهيب، والقدوة، فإن أساليب تربية المراهق سوف تختلف لحد كبير عما سبقها، حيث إن المراهق لم يعد يتسم سلوكه بالتقليد والمحاكاة لسلوك الآباء ومجتمع الكبار، وإنما يعتمد سلوكه في المواقف المختلفة على مدى اقتناعه هو شخصياً بها، حتى في المسائل الدينية. كما أنه يتوقع أن يعامل من مجتمع الكبار على أنه رجل كامل الرجولة أو امرأة كاملة الأنوثة، سواء في النواحي العقلية أو الاجتماعية أو الجسمية والجنسية.

ومن الأساليب التربوية التي يمكن أن يأخذ بها الآباء والمربون في تعاملهم مع المراهقين، بالإضافة إلى أسلوب القدوة الحسنة الأساليب الآتية:

١ ـ أسلوب الحوار والمناقشة:

وهو أسلوب «يمكن الإنسان من التمييز بين الحق والباطل بالحجة والمشاهدة الحسية، وليس بالقسر أو التقليد الأعمى»[١]. كما أنه له دوره في التمرن على سرعة التعبير والمنافسة والتفوق على الأقران والتعود على الثقة بالنفس.

وقد استعمل النبي ﷺ أسلوب الحوار كوسيلة فعالة في تعليم الصحابة والمسلمين أمور دينهم ودنياهم. واستخدمه الرسول عليه السلام بعدة صور:

ـ فقد يقوم المربي بتوجيه سؤال أو عدة أسئلة إلى المتعلم تقوده للتوصل بنفسه لمعرفة الحقيقة التي يسعى المربي لتعليمها، فعن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهي مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، حدثوني ما هي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله: فاستحييت، فقالوا: يارسول الله أخبرنا بها. فقال: هي النخلة»[٢].

ـ وقد يوجه السؤال من المتعلم إلى المربي، وهو الوضع الأكثر انتشاراً، والأحاديث في ذلك كثيرة.

ـ وقد يقوم المربي بسؤال المتعلم مجموعة من الأسئلة المتتابعة والهادفة إلى الوصول لحقيقة معينة، ويجيب المتعلم، ويصحح له المربي أو يكافئه بتقدير لفظي أو مادي. وفي هذا تدريب للعقل على الاستنتاج المنطقي، والاجتهاد في الرأي «فعندما أراد رسول الله ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمين قال: كيف تقضي إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله. قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله ولا في كتاب الله؟ قال: اجتهد برأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صدره، فقال:

---

(١) محمد فاضل الجمالي: نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي (الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠) ص ١١٤.

(١) البخاري، كتاب الأدب، جـ٨، ص ٤١.

الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله»[1].

- كما أن من صوره: المراجعة لزيادة الفهم والاستفسار عما غمض من معاني.

٢ - أسلوب الموعظة:

ومن أساليب التربية التي لها أثرها في توجيه المراهق والراشد، أسلوب الوعظ والنصح والإرشاد، وخاصة إن كانت صادرة من الأحباب والأصدقاء والأقارب، وكل من يثق به المراهق ويكون أكثر علماً وفناً وخبرة.

والقرآن الكريم به الكثير من المواقف التي يوجه فيها الموعظة والنصح للمشركين والكافرين والمؤمنين، سواء على ألسنة الأنبياء والرسول أو على لسان الحكماء والعلماء من أقوامهم. فاقرأ إن شئت **﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني﴾**[2]. . .، **﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى، ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة﴾**[3]، . . . والقرآن يخاطب الناس ويذكرهم.بهذه الحكم والمواعظ لعلهم يتذكرون ويتفهمون، ولا يمل من هذا التكرار، فنجد الآيات التالية مكررة بنفس المعنى **﴿وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾**[4]، **﴿وما يدريك لعله يزكى، أو يذكر فتنفعه الذكرى﴾**[5]، **﴿ذلك ذكرى للذاكرين﴾**[6].

واهتمت السنة النبوية بهذا الأسلوب أيما اهتمام، وفرضته على عامة المسلمين وخاصتهم. قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[7] والباب فيه الكثير، ولمن أراد

---

(١) أبو داود، جـ٣، ص. ص ٣٣٠ - ٣٣١. دار الكتاب العربي.
(٢) سورة لقمان، آية: ١٢ - ١٩.
(٣) سورة سبأ، آية: ٤٥ - ٤٩.
(٤) سورة الذاريات، آية: ٥٥.
(٥) سورة عبس، آية: ٢ - ٣.

(٦) مسلم، جـ١، ص٥٣.

التفاصيل يعود للمراجع المتخصصة ومنها ما ذكر في هامش هذه الصفحة[1].

ومن الأساليب التربوية الأخرى التي تنفع كثيراً في توجيه المراهقين والراشدين:

٣ ـ أسلوب ضرب الأمثال.
٤ ـ أسلوب الممارسة (العمل).
٥ ـ أسلوب المتابعة (الملاحظة).

وبالنسبة لأنواع التربية المختلفة ودور الآباء تجاه أبنائهم المراهقين فقد عرض الباحث لعدد كبير من التوجيهات عند تناوله لهذه الأنواع من التربيات، ولذا فإن ما يقدمه هنا هو استكمال لما بدأ عرضه في الفصل الخامس.

فبالنسبة للتربية الجسمية والجنسية:

فإن الباحث قد أفاض فيها الكثير خلال الفصل الخامس، والذي تضمن توصيات تتعلق بالنمو الجسمي، وتوصيات تتعلق بالنمو الفسيولوجي، وسواء كانت هذه التوصيات موجهة إلى الآباء أو موجهة إلى المراهقين أنفسهم.

وهذه التوصيات جميعها، ونظراً لأهميتها القصوى في التربية السليمة والصحية للمراهقين الذين هم شباب المستقبل، والذين تعتمد عليهم البلاد في بنائها، فإن الاهتمام بهم يجب أن يكون في الصدارة بالنسبة لبرنامج وزارات الشباب والرياضة، والتربية والتعليم، والأعلام والثقافة، والصحة.

وعليها أن تتكاتف وتوحد جهودها، وتنظمها أكثر في صورة خطة منظمة ومدروسة لتوعية هؤلاء الشباب المراهقين، وكذلك وضع برنامج آخر موجه إلى الآباء والمربين لزيادة حصيلتهم المعرفية عن أبنائهم المراهقين حتى يستطيعوا

---

(١) ـ عبد الحميد الصيد الزنتاني، مرجع سابق ص. ص ١٩٦ ـ ٢٣٤.
ـ عبد الله علوان، مرجع سابق، جـ ٢ ص. ص ٦٢٩ ـ ٧٧٧.
ـ عبد الجواد سيد بكر، مرجع سابق، ص. ص ٣٠٨ ـ ٣٠١.

أن يتعاملوا معهم بأفضل وأنسب الوسائل والطرق التربوية.

وهذا كله يمكن أن يتم من خلال عدة قنوات:

- برامج تليفزيونية.
- برامج إذاعية.
- مقررات دراسية بالمراحل الإعدادية والثانوية والجامعية.
- ندوات متنوعة، ثقافية ودينية، بالأحياء والمدن.

وأما بالنسبة لمحتويات هذه البرامج فهي تنقسم إلى عدة مجالات رئيسية، وكل مجال يمكن أن يضم عدداً من الأبعاد. ومن هذه المجالات الرئيسية:

- مجال التربية الجنسية.
- مجال التربية الجسمية.

وبالنسبة للفئات المستفيدة من هذه البرامج فهي:

- الآباء.
- المربون، كالمعلمين والأخصائيين الاجتماعيين والنفسانيين.
- المراهقون.
- الراشدون المقبلون على الزواج.

ونظراً لأن مجال التربية الجسمية والصحية والجنسية، وخاصة الأخيرة، لم يتناوله كثير من الباحثين في صورة برامج متكاملة وشاملة، فإن الباحث يوصي كذلك الجهات البحثية المسؤولة بتناول مثل تلك الموضوعات بشكل متكامل وتقديمها لجهات الدولة المسؤولة عن قطاع الإعلام والثقافة والتربية والتعليم والشباب لعلها تستفيد منها.

وبالنسبة للتربية الاجتماعية:

بالإضافة إلى ما قدمه الباحث من توصيات وتوجيهات للآباء والمربين

والمراهقين، فإن الأمر يستلزم استكمال ذلك بتقديم بعض التوصيات التي لم ترد عند مناقشة التربية الاجتماعية في الفصل الخامس. ومن هذه التوصيات والتوجيهات:

١ ـ يجب على الأجهزة المسؤولة عن رعاية الشباب: التوسع في إنشاء وتدعيم أجهزتها التي ترعى الشباب رياضياً واجتماعياً في مختلف قطاعات المجتمع ومؤسساته، والتي تهدف إلى:

ـ إطلاق طاقات الشباب وصقل مواهبهم وتنمية قدراتهم على التفكير.

ـ العمل على تدريبهم على القيادة وتحمل المسؤولية الاجتماعية واحتلال مكانة اجتماعية تشعرهم بقيمتهم عن طريق برامج ومشروعات الأنشطة الرياضية والاجتماعية والثقافية والفنية التي يقومون بالإعداد لها والمشاركة فيها تحت إشراف الأجهزة الفنية المختلفة بوزارة الشباب والرياضة، في خلال الدراسة وأثناء العطلات على السواء.

٢ ـ يجب على الآباء والمربين والأخصائيين الاهتمام بتوجيه الشباب بخصوص الخطوبة والزواج ومراعاة الأسس المطلوبة، ومنها نضج الخطيبين جسمياً وعقلياً وانفعالياً، ونشأتهما في ميولهما واتجاهاتهما، وفي معتقداتهما الدينية، وفي نشأتهما التربوية والثقافية، وفي مستوى المعيشة.

٣ ـ على الآباء أن يدركوا أن للمراهق حقوقاً يجب أن يتمتع بها، ولكنها ليست مطلقة، بل في إطار من حسن التوجيه والنصح وهذه الحقوق هي[1]:

ـ حق الحرية في اختيار أصدقائه، وأوجه نشاطه الرياضي وملابسه، وهواياته، والتعبير عن آرائه.

ـ حق ارتكاب بعض الأخطاء أحياناً.

ـ حق التمتع بحرية أكبر والسعي نحو الاستقلال.

---

(١) حامد عبد السلام زهران: مرجع سابق، ص. ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠.

ـ حق التمتع بثقة الوالدين واطلاعه على شؤون الأسرة.

ـ حق التربية الجنسية العلمية.

ـ حق التمتع بوقت يخلو فيه إلى نفسه يمارس قراءته وأحلامه، وعمله، وهواياته، ولعبه، ولقاء أصدقائه.

ـ حق الخصوصية: في غرفة خاصة كلما أمكن ذلك أو دولاب خاص، وعدم فتح خطاباته.

٤ ـ على الآباء مراعاة إقامة علاقات قوية مثمرة ومستمرة مع أبنائهم المراهقين، يكون أساسها الفهم المتبادل والثقة، مما يساعد أبناءهم على النمو السوي للذات، والوقاية من الانحراف. كما أن إقامة هذه العلاقات السوية والصحية بداية للمناقشات مع الأبناء بقلب مفتوح وعقل متنور، والمثل العامي يقول:

«إن كبر ابنك خاويه».

قائمة المراجع

١ ـ القرآن الكريم: تنزيل من الرحمن الرحيم

كتب الحديث والتفسير والسيرة

١ ـ ابن اسحاق (أبو عبد الله محمد بن اسحاق): **سيرة النبي ﷺ** هذبها أبو محمد عبد الملك بن هشام، حققها وضبطها وعلق عليها محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٩٦٣.

٢ ـ ابن الأثير الجزري: **جامع الأصول من أحاديث الرسول**، جـ٤٧ مطابع السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥١.

٣ ـ ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري): **الطبقات الكبرى**، جزءان، بيروت، ١٩٦٠.

٤ ـ ابن عبد البر (أبو عمر يوسف النمري القرطبي الأندلسي): **جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله**. جزءان، ضبطه وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، ط ٢، القاهرة، ١٩٦٨.

٥ ـ ابن كثير (عماد الدين أبو الفدا إسماعيل): **تفسير القرآن العظيم**. مطبعة صاحب المنار، القاهرة، ١٣٤٧ هـ.

٦ ـ ابن ماجة: **السنن**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٣.

٧ ـ أبو داود (سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدري): **سنن أبي داود**. المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٣٥.

٨ ـ أحمد بن حنبل: **المسند**، ستة أجزاء، ط ١، دار الصياد للطباعة بيروت، ١٩٦٩، ونسخة أخرى لدار المعارف، ١٩٤٦.

٩ ـ البخاري (أبو عبد الله بن إسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبة): **الصحيح**. تسعة أجزاء، دار مطابع الشعب، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.

١٠ ـ ـــــــ: **متن البخاري بحاشية السندي**. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. تـ.

١١ ـ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي): **السنن الكبرى**. مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٥٤ هـ.

١٢ ـ البيهقي: **دلائل النبوة**، جـ ١، تقديم وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، القاهرة، ١٩٦٩ م.

١٣ ـ الترمذي (أبو عيس الترمذي): **صحيح الترمذي**. بشرح الإمام ابن العربي المالكي. دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.

١٤ ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): **«تفسير الطبري» جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. حققه وعلق على حواشيه محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر. دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.

١٥ ـ الشيباني (عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني): **تيسيرالوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول**. دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٧. (وله طبعة أخرى ٤ اجزاء في مجلدين) طبعة البابي الحلبي.

١٦ ـ السيوطي: (عبد الرحمن جلال الدين: **جمع الجوامع**، مجمع البحوث الإسلامية.

١٧ ـ ـــــــ: القاهرة، ١٩٧٤: **الجامع الصغير**: مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٦ هـ.

١٨ ـ العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني): **فتح الباري بشرح البخاري**، ١٨ جزءاً، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٩ م.

١٩ ـ المتقي الهندي: **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**. المطبعة اليمنية بمصر، القاهرة، ١٣١٢ هـ، وطبعة مؤسسة الرسالة بيروت، ١٩٧٩.

٢٠ ـ النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب): **السنن**. دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٢١ ـ النووي (الإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف النووي): **رياض الصالحين**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

٢٢ ـ الهيثمي (نور الدين علي بن أبي بكر): **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. مكتبة القدس، القاهرة، د.ت.

٢٣ ـ أ. ي. ونسنك: **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي**. ليدن، مكتبة بريل، ١٩٣٦ م.

٢٤ ـ محمد صديق حسن خان البخاري: **حسن الأسوة بما ثبت من الله ورسوله في النسوة**، حققه وعلق عليه مصطفى سعيد الخن، ومحيي الدين مستو. ط ٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٢٥ ـ مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري): **الصحيح**، ثمانية أجزاء، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، القاهرة، د.ت.

٢٦ ـ ناصف (منصور علي ناصف): **التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول**، ط ٤، دار الفكر، القاهرة، ١٩٧٥.

كتب عربية

١ ـ ابن سينا: **القانون في الطب**، جـ١، طبعة بولاق جديدة، نشر مؤسسة البابي الحلبي، القاهرة، ١٢٩٤ هـ.

٢ ـ ابن قيم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبي بكر): **تحفة المودود بأحكام المولود**. المكتبة التجارية، القاهرة، ١٩٧٧ م.

٣ ـ ـــــــــ: **الفروسية**. طبع بعناية السيد عزت العطار الحسيني، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٤ ـ ابن مسكويه(أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب الملقب مسكويه أو ابن مسكويه): **تهذيب الأخلاق**. تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٦.

٥ ـ ابن منظور: **لسان العرب**، جـ ١، الدار المصرية للتأليف والنشر مصورة عن مطبعة بولاق، القاهرة، د. ت.

٦ ـ ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي: **مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧.

٧ ـ أحمد حافظ نجم: **حقوق الإنسان بين القرآن والقانون**. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٧.

٨ ـ أحمد رضا: **معجم متن اللغة**. جـ٣، مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٨.

٩ ـ أحمد زكي صالح: **علم النفس التربوي**. ط ١٠، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢.

١٠ ـ أحمد عزت راجح: **أصول علم النفس**. مطابع الأهرام التجارية، القاهرة د.ت.

١١ ـ الزمخشري: **أساس البلاغة**. جـ ١، محمد مصطفى الكتبي، القاهرة. ١٣٢٧ هـ.

١٢ ـ الغزالي (محمد بن محمد بن أحمد الغزالي): **إحياء علوم الدين**. جـ ٣، طبعة البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٧.

١٣ ـ الفيروز آبادي: **القاموس المحيط**، جـ٣، المطبعة الحسينية المصرية، القاهرة، ١٣٣ هـ.

١٤ ـ ايفان جونسر: **رسائل الآباء إلى الأولاد**. ترجمة لطفي الخولي ومحمد الأمين. دار التضامن، بغداد، ١٩٦٢ م.

١٥ ـ بول منرو: **المرجع في تاريخ التربية**. ترجمة صالح عبد العزيز، ط ٢، مكتبة

النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٨.

١٦ - بنجامين سيرك: **دستور الأم**، ترجمة كمال سعيد، جـ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٥.

١٧ - جابر عبد الحميد جابر: **علم النفس التربوي**. دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٧.

١٨ - جميل صليبا: **المعجم الفلسفي**. جـ٢، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩.

١٩ - جون كنجر وآخرون: **سيكلوجية الطفولة والشخصية**. ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة وجابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٠.

٢٠ - حامد عبد العزيز الفقي: **دراسات في سيكلوجية النمو**، ط٣، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.

٢١ - حامد عبد السلام زهران: **علم نفس النمو**، ط ٥، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٢.

٢٢ - درويس أودلم: **رحلة عبر المراهقة**. ترجمة فاخر عاقل، ط ٢، دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧.

٢٣ - زيدان عبد الباقي: **علم الاجتماع الحضري والمدن المصرية**، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧.

٢٤ - ـــــــ: **الأسرة والطفل**. مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٨٠.

٢٥ - روبرت شيدر: **الطفل في السنوات الخمس الأولى**. ترجمة محمد مصطفى الشعبيني وآخرون، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٦.

٢٦ - سعيد إسماعيل علي: **أصول التربية الإسلامية**. دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٤.

٢٧ - سعيد عبد الله حارب: **دور الأسرة في التربية**. دار الأمة، الكويت، ١٩٨٧.

٢٨ - سيد إبراهيم الحيار: **التربية ومشكلات المجتمع**. ط ٢، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٠.

٢٩ ـ صالح عبد العزيز: **التربية وطرق التدريس**. جـ ٢، ط ٩، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٥.

٣٠ ـ ــــــ: عبد العزيز عبد المجيد: **التربية وطرق التدريس**. جـ ١، ط ١٢. دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦.

٣١ ـ صلاح الفوال: **التصوير القرآني للمجتمع**، ج ١، القاهرة، ١٩٨٦ م.

٣٢ ـ طه عبد الله عفيفي: **من وصايا الرسول ﷺ**، دار الاعتصام، القاهرة، د. ت.

٣٣ ـ عبد الجليل محمد المحجوب: **هكذا نربي**. الشركة التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٨ م.

٣٤ ـ عبد الجواد سيد بكر: **فلسفة التربية الإسلامية في الحديث الشريف**. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٣.

٣٥ ـ عبد الحميد الصيد الزنتاني: **أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية**. الدار العربية للكتاب. ليبيا ـ تونس، ١٩٨٤.

٣٦ ـ عبد العزيز القوصي: **أسس الصحة النفسية**. ط ٩، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٩.

٣٧ ـ عبد الفتاح أحمد فؤاد: **في الأصول الفلسفية للتربية عند مفكري الإسلام**. منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣.

٣٨ ـ عبد الرحمن النحلاوي: **أصول التربية الإسلامية وأساليبها**. دار الفكر، دمشق، ١٣٩٩ هـ.

٣٩ ـ عبد الرحمن محمد عيسوي: **دراسات سيكلوجية**. منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣.

٤٠ ـ عبد الله عبد الدائم: **التربية عبر التاريخ**. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٣.

٤١ ـ عبد الله علوان: **تربية الأولاد في الإسلام**. ط ٢، دار السلام للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٨.

٤٢ ـ عبد اللطيف فؤاد: **أصول علم النفس**. جـ ١، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧١.

٤٣ ـ عبد المجيد نشواتي: **علم النفس التربوي**. ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧.

٤٤ ـ عدنان السبيعي: **سيكلوجية الأمومة والطفولة**. جـ ٢، الشركة المتحدة للتوزيع، د. ت.

٤٥ ـ عزيز حنا داود، زكريا اثناسيوس: **دراسات في علم النفس**. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧١.

٤٦ ـ علي زيعور: **التربية وعلم نفس الولد في الذات العربية**، دار الأندلس، بيروت، ١٩٨٥.

٤٧ ـ علي عبد الحليم محمود: **المسجد وأثره في المجتمع الإسلامي**. دار المعارف، القاهرة. ١٩٧٦.

٤٨ ـ علي عبد الواحد وافي: **الأسرة والمجتمع**. ط ٧، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٧.

٤٩ ـ عمر محمد التومي الشيباني: **فلسفة التربية الإسلامية**. ط ٢، الشركة العامة للنشر والتوزيع، طرابلس، ليبيا، ١٩٧٨.

٥٠ ـ فاخر عاقل: **علم النفسي التربوي**. ط ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٢.

٥١ ـ فتحية حسن سليمان: **التربية في المجتمعين اليوناني والروماني**. دار النهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٠.

٥٢ ـ فرانسيس ل. ايلغ، لويز ب. ايمز: **سلوك الطفل**، ترجمة فاخر عاقل. ط ٢. دار طلاس، دمشق، ١٩٨٧.

٥٣ ـ فرنسيس عبد النور: **التربية والمناهج**. دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٧.

٥٤ ـ فوزية دياب: نمو الطفل وتنشئته بين الأسرة ودور الحضانة، مكتبة النهضة

المصرية، القاهرة، ١٩٧٨.

٥٥ ـ محمد أبو زهرة: **الإسلام وتنظيم الأسرة**. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥.

٥٦ ـ محمد البهي: **الإسلام في حياة المسلم**. ط ٢، مكتبة وهبه، القاهرة، ١٩٧٣.

٥٧ ـ محمد السيد الزعبلاوي: **الأمومة في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥.

٥٨ ـ محمد الغزالي: **خلق المسلم**. ط ٧، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٤.

٥٩ ـ محمد الناصف: **آراء في التربية**. الشركة التونسية للتوزيع. د.ت.

٦٠ ـ محمد تقي فلسفي: **الطفل بين الوراثة والبيئة**. تعريب فاضل الحسين الميلاني، جـ ١، ط ٣، مؤسسة الأعلمي، بيروت، د.ت. نقلاً عن علي خليل مصطفى أبو العينين: الاهتمامات التربوية في فكر جعفر الصادق، منشور في كتاب: من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد ٢، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٩٨٨.

٦١ ـ مجمع اللغة العربية: **الوسيط**. جـ ٢، القاهرة، ١٩٦٠.

٦٢ ـ محمد حسن: **الأسرة ومشكلاتها**. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨١.

٦٣ ـ محمد رفعت: **كيف تربين أولادك**. دار المعرفة، بيروت، ١٩٧٧.

٦٤ ـ محمد رواس قلعة جي: **موسوعة فقه عمر بن الخطاب**، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨١.

٦٥ ـ محمد سعيد فياض: **الآداب الاجتماعية في الإسلام**. دار المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٨.

٦٦ ـ محمد عبد الظاهر الطيب وآخرون: **الطفل في مرحلة ما قبل المدرسة**. سلسلة تحت إشراف عزيز حنا داود، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٣.

٦٧ ـ ـــــــ: **مشكلات الأبناء من الجنين إلى المراهق**. دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٩.

٦٨ ـ محمد عثمان نجاتي: **الحديث النبوي وعلم النفس**. دار الشروق، القاهرة، ١٩٨٩.

٦٩ ـ محمد علي الخولي: **قاموس التربية**. دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨١.

٧٠ ـ محمد علي حسن: **علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جناح الأحداث**، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٠.

٧١ ـ محمد علم الدين: **التربية الجنسية بين الواقع وعلم النفس**. الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٩٧٠.

٧٢ ـ محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون: **كيف نربي أطفالنا، التنشئة الاجتماعية للطفل في الأسرة العربية**. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤.

٧٣ ـ محمد فاضل الجمالي: **تربية الإنسان الجديد**. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ١٩٦٧.

٧٤ ـ ــــــــ: **نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي**. الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٧٠.

٧٥ ـ محمد متولى الشعراوي: القضاء والقدر، معجزات الرسول، إعجاز القرآن مكانة المرأة في الإسلام. إعداد وتقديم: أحمد فراج، دار الشروق، بيروت، ١٩٧٩.

٧٦ ـ مصطفى عبد الواحد: **الإسلام والمشكلة الجنسية**. ط ٢، مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٧٢.

٧٧ ـ مصطفى فهمي: **سيكولوجية الطفولة والمراهقة**. مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

٧٨ ـ معروف زريق: **كيف نربي أبناءنا**. ط ٢، دار الفكر، دمشق، ١٩٨٣.

٧٩ ـ ملاك جرجس: **مشاكل الأطفال النفسية**. جـ ٢، كتاب اليوم الطبي يصدر عن مؤسسة أخبار اليوم، القاهرة، ع (٨٧)، يونيه، ١٩٨٩.

٨٠ ـ منير البعلبكي: **قاموس المورد**. دار العلم للملايين. بيروت، ١٩٦٧.

٨١ ـ منيرة حلمي: **مشكلات الفتيات المراهقات وحاجاتها الإرشادية**، دار النهضة

العربية، القاهرة، ١٩٦٦.

٨٢ ـ نبيل عبد الحليم متولي: **أخطار الإيديولوجية الصهيونية والإيديولوجية الأخرى على المجتمع العربي الإسلامي**. منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ١٩٩٠.

٨٣ ـ نجيب اسكندر وآخرون: **قيمنا الإجتماعية وأثرها في تكوين الشخصية**. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٢.

٨٤ ـ نوري حافظ: **المراهق**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١.

٨٥ ـ هـ. هـ. ريمرز، س.ج، هاكيت: **دعنا نفهم مشكلات الشباب**. ترجمة عطية محمود هنا، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ١٩٦١.

٨٦ ـ وهيب سمعان: **دراسات في التربية المقارنة**. النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥.

٨٧ ـ ياسين محمد يحيى: **المجتمع الإسلامي في ضوء الكتاب والسنة**. منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٤.

٨٨ ـ يوسف القرضاوي: **الإيمان والحياة**. دار المعرفة، الدار البيضاء، د. ت.

مجلات ودوريات.

١ ـ أم جابر: «٧ ملايين جريمة قتل سنوياً». **مجلة منار الإسلام**، أبو ظبي، ع (١)، س (١٥)، محرم. ١٤١٠ هـ اغسطس ١٩٨٩.

٢ ـ ــــــ «الأطفال والحضارة». **مجلة منار الإسلام**. ع (١)، س (٥)، محرم ١٤١٠ هـ اغسطس ١٩٨٩.

٣ ـ ــــــ «مجلس حرب مصغر للتصدي لظاهرة اختطاف الأطفال في فرنسا. **مجلة منار الإسلام**، ع (٧)، س (١٤)، رجب ١٤٠٩ هـ فبراير ١٩٨٩.

٤ ـ أم جابر «التلاميذ والحضارة». **مجلة منار الإسلام**، ع (١١)، ص (١٤)، ذو القعدة ١٤٠٩ هـ يونيه ١٩٨٩ م.

٥ ـ جريدة الأهرام، القاهرة، في ١٩٨٧/٣/١٤ .

٦ ـ ــــــ، القاهرة، في ١٩٩٠/٣/٨ .

٧ ـ عاطف شحاته «الأسرة المسلمة والقيم التربوية الغائبة» **مجلة منار الإسلام**، ع (٤)، س (١٥)، ربيع الآخر ١٤١٠ هـ نوفمبر ١٩٨٩ م.

٨ ـ عبد الفتاح القرشي : **حوليات كلية الآداب**، الحولية السابعة، الرساسة (٣٥)، جامعة الكويت، ١٩٨٦ .

٩ ـ عمر محمد التومي الشيباني «أهمية الإنسان ومفهومه وأبعاد الطبيعة البشرية في الفكر الإسلامي» **مجلة كلية الدعوة الإسلامية**، طرابلس، ع (٤)، ١٩٨٧ م.

١٠ ـ ــــــ «الاتجاهات الحديثة في مفهوم التربية» **مجلة كلية التربية جامعة الفاتح**، طرابلس، ع (٢)، ١٩٧٠ .

١١ ـ علي نوح «التعليم المختلط من خلال رؤية اجتماعية تربوية. **مجلة الوحدة**، الرباط، س (٢)، نوفمبر، ١٩٨٥ .

١٢ ـ مجلة الشاهد، قبرص، س (٣)، ع (٣٠)، فبراير ١٩٨٨ .

١٣ ـ محمد الصالح عمر عزيز « حقوق أطفالنا تبدأ قبل الميلاد.» **مجلة الوعي الإسلامي**، الكويت، ع (٢٨٨)، ذو الحجة ١٤٠٨ هـ اغسطس ١٩٨١ م.

١٤ ـ محمد عماد الدين اسماعيل: «الأطفال مرآة المجتمع.» **عالم المعرفة**، الكويت.

١٥ ـ هيئة التحرير «أبناء المسلمين الأمريكيين في خطر، **مجلة منار الإسلام**، ع (١)، س (١٥) محرم ١٤١٠ هـ اغسطس ١٩٨٩ م.

أبحاث

١ ـ إبراهيم حميد حسين: التكافل الاجتماعي في مجال الأسرة، بحث مطبوع على الآلة الكاتبة.

٢ ـ ابن الجزار: سياسة الصبيان وتدبيرهم. تحقيق الحبيب النصيلة، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٦٨. نقلاً عن علي إدريس سياسة الصبيان وتدبيرهم لابن الجزار القيرواني، بحث منشور في كتاب المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد ٢، ١٩٨٨.

٣ ـ بدران أبو العينين: حقوق الأولاد في الشريعة الإسلامية. دار المعارف الاسْكندرية، ١٩٧١ م.

٤ ـ عبد البديع عبد العزيز الخولي: التربية الوجدانية في القرآن والسنة. بحث منشور في: الفكر التربوي العربي الإسلامي، الأصول والمبادىء (اليسكو)، تونس، ١٩٨٧.

٥ ـ فائز محمد علي الحاج: أبو حامد الغزالي. بحث منشور في كتاب. من أعلام التربية العربية الإسلامية، اليسكو، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، المجلد ٣، ١٩٨٨.

٦ ـ محمد عثمان نجاتي: ابن سينا. بحث منشور في كتاب: اليسكو بالاشتراك مع مكتب التربية العربي لدول الخليج: من أعلام التربية العربية الإسلامية، المجلد ٣، الرياض، ١٩٨٨.

٧ ـ محمود أبو سمرة: التربية الجسمية في القرآن والسنة. بحث منشور في كتاب اليسكو: الفكر التربوي العربي الإسلامي المبادىء والأصول، المنظمة، تونس ١٩٨٧.

كتب أجنبية:

1 - (Adolescence), **Encyclopedia Br.**,1973, Vol.,

2 - A. Jersild: **The Psychology of Adolescence.** New York, The Mac millan Co., 1958.

3 - E. B. Hurlock: **Developmental Psychology.** New Yord, Mc, Graw Hill Book Co., INC., 1953.

4 - Ford and Beach: **Encyclopedia of Social Science,** Vol. I.

5 - Pikunas and E.J. Albrecht: **Psychology of Human Development,** New York, Mc Grow Hill Book Co., INC.1961.

6 - puberty, **Encyclopedia Am.,** 1975, Vol. XXII.

قائمة المحتويات

- إهداء ٥
- شكر وتقدير ٧

الفصل الأول
مشكلة البحث

- مقدمة ١١
- مشكلة البحث ١٩
- هدف البحث ١٩
- الدراسات السابقة ٢٠
- أهمية البحث ٢٠
- مصطلحات البحث ٢٢
- حدود البحث ٢٣
- المنهج ٢٤
- خطة البحث ٢٤

الفصل الثاني
حقوق الأبناء على الآباء في مرحلة ما قبل الانجاب

أولاً : الزواج في الإسلام والهدف منه ٣٠

ثانياً: معايير اختيار الأم ٤٤
١ ـ الاختيار على أساس الدين ٤٦
٢ ـ الاغتراب في الزواج ٤٦
٣ ـ سلامة الزوجين من الأمراض ٤٦
ثالثاً: حالة الأم النفسية أثناء الحمل والولادة ٥٠
رابعاً: الزواج المبكر وسلبياته ٥٢
١ ـ محاذير الزواج المبكر بيولوجياً ٥٢
٢ ـ محاذير الزواج المبكر اجتماعياً ٥٢
٣ ـ محازذير الزواج المبكر نفسياً ٥٣
ـ تعليق عام ٥٥

الفصل الثالث
واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة
ما قبل المدرسة من الميلاد حتى ست سنوات

أولاً: التربية الجسمية ٦٣
١ ـ تقبل الطفل ٦٤
٢ ـ اختيار اسم حسن ٦٧
٣ ـ الختان ٦٧
٤ ـ الرضاعة ٦٩
٥ ـ اللعب ٧٧
٦ ـ آداب الطعام والشراب ٨٥
ثانياً: التربية الاجتماعية ٨٩
١ ـ التعامل بالرحمة مع الأبناء ٩٠
٢ ـ معاملة الأطفال بالرفق واللين في غير إسراف ٩١
٣ ـ إتاحة فرص اللعب الجماعي ٩٣
ـ مراعاة الطفل اليتيم في الإسلام ٩٤

ثالثاً : التربية الوجدانية ٩٦
١ ـ الخوف ٩٩
٢ ـ نوبات الغضب ١٠٦
ـ تعليق عام ١٠٩

الفصل الرابع
واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المدرسة الابتدائية

أولاً : التربية الجسمية ١٢١
ثانياً : التربية الاجتماعية ١٢٦
١ ـ علاقات الطفل بأعضاء أسرته وجماعات الكبار ١٢٦
٢ ـ علاقته بجماعة الرفاق ١٢٧
٣ ـ الشعور بفرديته ١٢٨
٤ ـ التوحد مع الدور الجنس المناسب ١٢٨
٥ ـ الميل إلى عدم الاختلاط ١٢٩
٦ ـ الاتجاهات الوالدية نحو الطفل ١٢٩
٧ ـ اللعب ١٣٠
٨ ـ اكتساب المفاهيم الأساسية للمجتمع ١٣١
ـ التربية الإسلامية والجانب الاجتماعي للتربية ١٣١
ثالثاً: التربية الإيمانية ١٤٧
١ ـ مفهوم التربية الإيمانية ١٤٨
٢ ـ أهمية التربية الإيمانية وضرورتها ١٥٠
٣ ـ وسائل التربية الإيمانية ١٥٢
٤ ـ انعكاسات التربية الإيمانية ونتائجها ١٥٧
رابعاً: التربية العقلية ١٥٨
ـ مفهوم التربية العقلية وأسسها ١٦١

- كيفية تحقيق التربية العقلية ووسائلها ١٦٣
- نتائج وآثار التربية العقلية للطفل........................ ١٦٧

الفصل الخامس
واجبات الآباء تجاه أبنائهم في مرحلة المراهقة

- معنى البلوغ والمراهقة ١٧١
أولاً: التربية الجسمية........................ ١٧٦
- النمو الفسيلوجي ١٧٧
- النمو الجسمي ١٨٤
- مظاهر اهتمام الإسلام بالتربية الجسمية........................ ١٩٠
١ - التغذية........................ ١٩١
٢ - النظافة الشخصية ١٩٣
٣ - التربية البدنية ١٩٨
ثانياً: التربية الاجتماعية........................ ٢٠٢
- خصائص السلوك الاجتماعي للمراهق........................ ٢٠٣
- التربية الاجتماعية في ضوء القرآن والسنة ٢١٥
١ - معاملة الأبناء باللين والرفق والرحمة ٢١٥
٢ - حسن اختيار الأصدقاء........................ ٢١٧
٣ - مراعاة الآداب الاجتماعية العامة ٢١٩
٤ - مظاهر الانحراف الاجتماعي للشباب ٢٢٣
ثالثاً: التربية الجنسية ٢٣٢
١ - تعريف التربية الجنسية ٢٣٦
٢ - أهداف التربية الجنسية ٢٣٧
٣ - برنامج التربية الجنسية........................ ٢٣٨

الفصل السادس
التوصيات

ـ في مرحلة ما قبل الانجاب ٢٤٥

ـ في مرحلة طفل ما قبل المدرسة ٢٥٥

ـ في مرحلة طفل المدرسة الابتدائية ٢٦٣

ـ في مرحلة المراهقة ٢٦٦

ـ قائمة المراجع ٢٧٣

